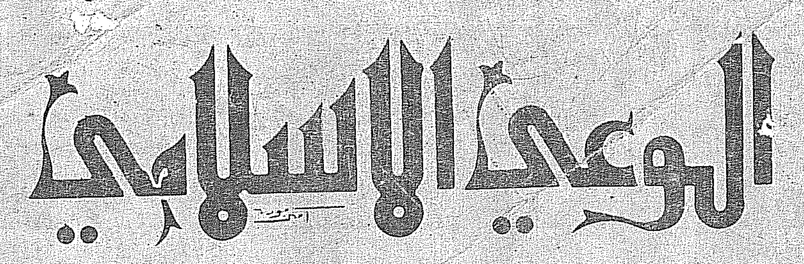
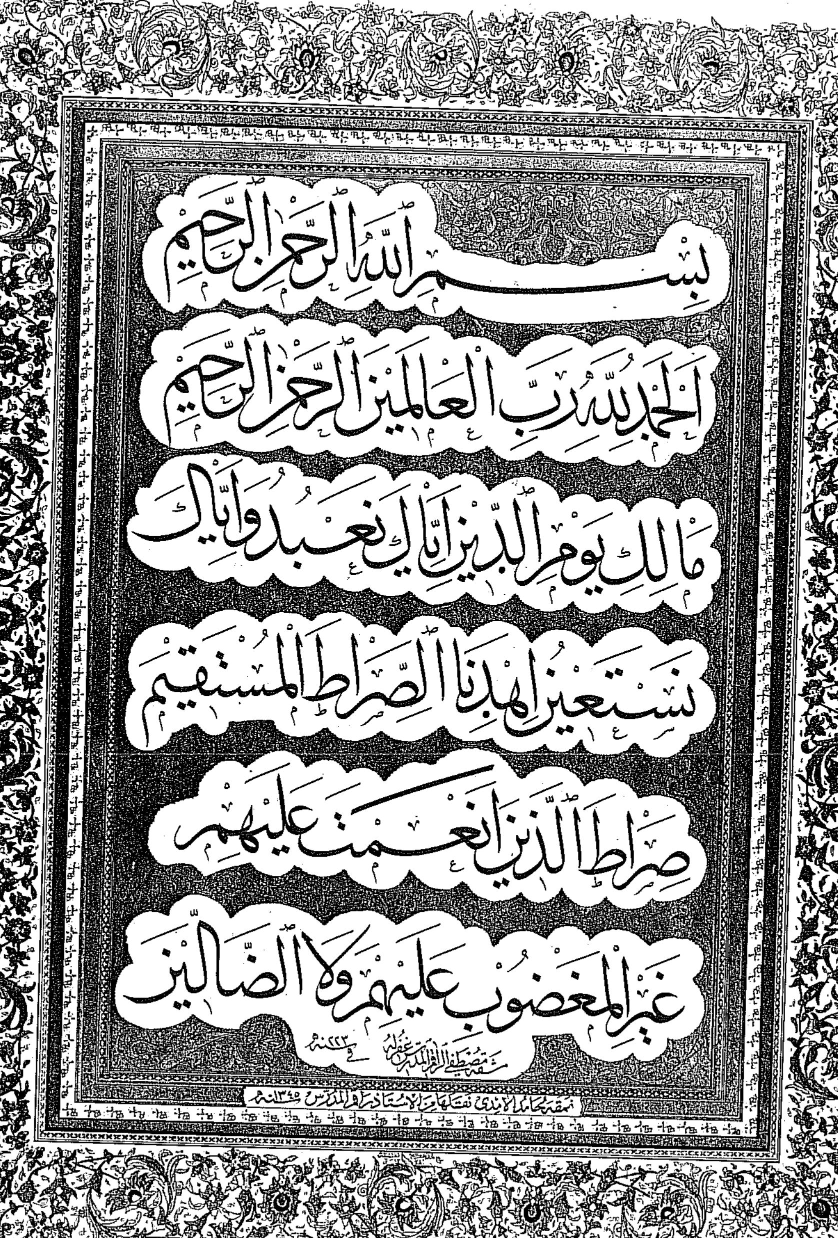


إسلامية ثقافية شهرية

السنة التاسعة ــ العدد ٩٨ ــ غرة صفر ١٣٩٣ هـ ــ ٥ مارس ١٩٧٣ م


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك
نستعين اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين

مسجد الخليفة

أحد مساجد الكويت الجامعة ، ويمتاز ببساطته وموقعه على شارع الخليج العربي .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة التاسعة

العدد (٩٨)

غرة صفر ١٣٩٣ هـ

٥ مارس ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

أما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطر



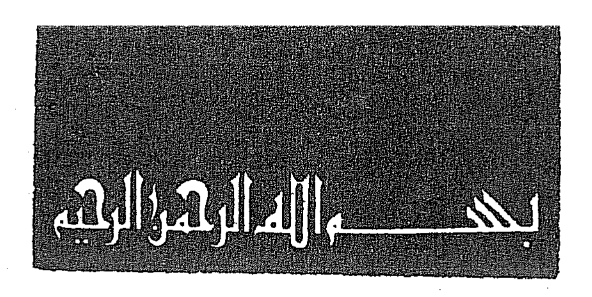
الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي ـ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ ـ كويت ـ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨



ذكرى الجهاد العظيم

احتفلت وزارة الأوقاف والشـؤون الإسلامية بذكرى الهجرة النبوية الشريفة ــ على صاحبها افضل الصلاة والسلام ــ وذلك في مسجد السوق الكبير ، وقد القى معالي الوزير الأستاذ راشـد عبد الله الفرحان الكلمة التالية في الحفل :

ايها السادة إنه ليسعدني ان اتحدث إليكم في هــذه المناسبة الكريمة مناسبة هجرة محمد صلوات الله وسلامه عليه من مكة الى المدينة ، وانا إذ نحتفــل بهذه الذكرى انما نحتفــل بنبينا محمد وزعيمنا وقائدنا وباني نهضتنا .. فاعظم به من نبي رسول واكرم به من مناضل شريف عظيم .

ايها الأخــوة :

لقد اوذي محمد صلى الله عليه وسلم هو اصحابه في مكة فصبر وثبت ، وناضل بشجاعة وشرف وصدق ، ولكم قاسى من الحرب النفسية الوانا وصنوفا ، وهذه قصة الصحيفة يذكرها التاريخ فعندما احست قريش بان اصدقاء محمد بدأوا يكثرون وبان دعوة محمد بدأت تنتشر في الأرض فمــا كان منهم بعد أن أسلم عمر وحمـــزة الا ان اجتمعوا وائتمروا على محاصرة بني هاشم فامروهم بالخروج من مكة فخرجوا الى شعب ابى طالب في جبل من جبال مكة ، وهناك تم الحصار عليهم مدة من الزمن ، وبلغ بهم الجهد والنبي صلى الله عليه وسلم معهم ، ولكن الله مع الصابرين فاخبر النبي صلى اللهعليه وسلم اصحابه بأن الصحيفة التي كتبت فيها المؤامرة والتي ذكرت فيها المعاهدة اكلتها الأرضة ، اكلت الظلم والجور منها ولم يبق فيها إلا



باسمك اللهم فقط ، فعلمت قريش بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وأهله وصحابته وعشيرته من هذا الحصار وكان قد واجه ألوانا وصنوفا شتى من الأذى والعذاب ولكنه كان يقابل كل ذلك بصبر وحزم ، وكان يقول دائما : اللهم أهد قومي فانهم لا يعلمون ، ثم سار إلى المدينة ووصلها فوجد الجبهة مفككة مفرقة ووجد الاختلاف ، وجد قبيلتي الأوس والخزرج تتقاتلان . ووجد مشكلة إيواء المهاجرين . ووجد الفقر في الانصار ، ووجد الفتن ، فتن اليهود ومؤامراتهم ضد الدولة ، وكانت الحرب النفسية على أشدها : ((الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء)) .

فكان أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أوجد الوحدة بين الأوس والخزرج ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وعقد بينهم أخوة ثبتت أركان الدولة على أساس من الحرية ، حرية العقيدة وحرمة الحياة ، وحرمة المال ، وتحريم الجريمة ، وبذلك قضى على فتن اليهود ومؤامراتهم ضد الدولة عندما تحققت الوحدة ، لأن بالوحدة يمكن أن يعمل القائد ، وبالوحدة يمكن للأمة أن تنتصر ، وتم له النصر على المشركين فأقام الدولة ونشر الرسالة .

أيها السادة :

إن الاسلام عقيدة وشريعة وطريقة وفكرة .

اما الفكرة فهي ذلك النظام العظيم وتلك الحضارة التي وصلت الى المشرق والمغرب وأنارت الدنيا بأسرها .

إن رسالة محمد التي نحتفل بذكرى مؤسسها هي خلق جديد للعالم ، هي خلق جديد للانسانية ، خلقت انسانا كاملا ، أعلى شان الحضارة الانسانية والحضارة العربية .. انها لم تأت بطقوس وأمور مفككة مفرقة لا أساس لها ، وإنما جاءت بأسس وأركان وفكر عظيم فأول ما خاطب الانسان بالفكر والعقل والقلب فقال لهم القرآن : ((أفلا تذكرون)) ، ((أفلا تعقلون)) ((أفلا يتدبرون القرآن)) وبلغ عدد الآيات التي تخاطب القلب والفكر مائتين وخمسا وسبعين مرة في القرآن ، ثم دعاهم الى العلم : ((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)) . ((انما يخشى الله من عباده العلماء)) . ووردت كلمة العلم في القرآن نحو سبعمائة وستين مرة ، وجاء بعد ذلك النظر في السموات والأرض بعد أن يعمل الفكر والقلب يجب أن يتحرك النظر ((قل انظروا ماذا في السموات والأرض)) وليس النظر المقصود في الآية هو مجرد العين وانما يجب أن ينظر الى ما في السموات من كواكب وما فيها من نجوم وما فيها من طبقات وما فيها من علم . يجب أن نعرف الفلك ويجب أن نتعلم ما في الفضاء حتى نعرف ما معنى ((أنظروا ماذا في السموات)) وأنظروا ماذا في الأرض أنظروا الى طبقات الأرض ، أخرجوا من الأرض المعادن التي فيها حياتكم وفيها معاشكم . وبلغ العدد في هذا الخصوص مائتى مرة في القرآن . ويوجه القرآن الناس الى دراسة أحوال الأمم السابقة : ((قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)) . أدرسوا علم التاريخ ، أدرسوا علم الآثار ، أنظروا ((قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)) ((قل سيروا في الأرض ثم أنظروا كيف كان عاقبة المكذبين)) ((قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل)) ووردت في هذا الخصص أثنا عشر مرة تحث على النظر . والسير المقصود والنظر هنا ليس المقصود به هو السياحة لأن آيات السياحة وردت في غير هذا المقام ، ثم بعد النظر وبعد تقليب الفكر والعلم يكون العمل : ((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله)) وردت في هذا الخصوص — أي العمل — ثلاثمائة وثمانون مرة تحث على العمل .

إن رسالة الاسلام لم تأت للعبادة فقط . ولم تأت للرهبنة . وإنما جاءت للعلم والعمل والتفكر والنظر .

هكذا يراد للمسلمين ، وهكذا يراد لأمة الاسلام أن تتحرك ، لأن الاسلام دين وعمل ، فكان العلماء من رسالة الاسـلام ، كان الأطباء وكان المهندسون وكان الصيادلة وكان المؤرخـون ، وقامت المساجد ، وقامت المدارس ، وقامت المستشـفيات وقامت الدولة العربية الاسلامية التى هزت المشرق والمغرب ولا يزال المستشرقون يترجمون كتب العرب والمسلمين الى وقتنا الحاضر .

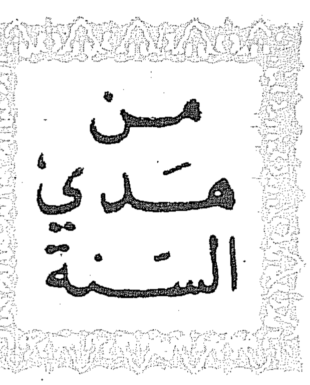
والآن أيها المسلمون أصبحت حالنا غير حالنا بالأمس فقـد تفرقنـا وبعدنا عن رسالة الاسـلام ، وصرنا نذهب الى المشرق والمغرب نلتمس العلم ، ولا بأس فى ذلك ، أن نلتمس العلم ((أطلبوا العـلم ولو فى الصين)) ولكننـا يجب أن نلتمس العـلم النافع والعمل الصالح .

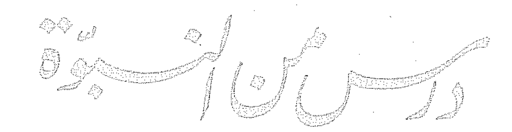
وفى هذه المناسبة أود أن أقول فى هذه الذكرى ذكرى الجهـاد العظيم والنضال المرير يجب أن يتعلم أصحاب الأفكار والاتجاهـات اليسارية المتطرفة وأصحاب الأفكار والاتجاهات اليمينية الرجعية ، يجب أن يتعلموا كيف يكون النضال وكيف يكون الجهاد وكيف تكون خدمة الأوطان والاخـلاص للأمة ، يجب أن يسلكوا طريقـا شريفا ، ويجب أن يصدقوا فى أقوالهم وأعمالهم حتى يكونوا قدوة لغيرهم .

وأود أن يتذكر الذين أنعم الله عليهم بالمال من الدول والأفراد يجب أن يتذكروا بأن لهم اخوانا مسلمين فى المشرق والمغرب وفى جنوب آسيا وفى أفريقيا وفى أوروبا وفى جميع انحاء العالم هم فى حاجة لمساعدتهم المادية والمعنوية ، فيجب أن يسهم من أنعم الله عليهم بالمال فى الدعوة الاسلامية بأموالهم وأن يوظفوا رءوس أموالهم فى البلاد الاسلامية بدلا من أن يوظفوها فى البلاد الكافرة الاجنبية فان لهم فى ذلك خيرا فى الدنيا وأجرا فى الآخرة .

وانى أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيد علينا هذه الذكرى وقد اجتمعت كلمتنا وتوحدت صفوفنا وتناسى زعماؤنا ورؤساؤنا خلافاتهم فاننا بتوحيد الصف نتغلب على أعدائنا ، نسأل الله سبحانه وتعالى العزة والنصر والوحدة ، وحدة الكلمة ، ووحـدة الصف ، والله سبحانه وتعالى هو مجيب الدعوات وهو خير الناصرين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .





للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد

« اخرج ابو داود عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا فى سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه فى راسه ، ثم احتلم ، فسأل اصحابه : فقال : هل تجدون لى رخصة فى التيمم .. ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء ، فاغتسل فمات ، فلما قدمنا على النبى صلى الله عليه وسلم اخبر(١) بذلك فقال : « قتلوه قتلهم الله ، الا سألوا اذا لم يعلموا ، فانما شفاء العى(٢) السؤال ، انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده » .

وفى مسند الإمام احمد عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رجلا اصابه جرح فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصابه احتلام ، فامر بالاغتسال فمات ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « قتلوه قتلهم الله ، الم يكن شفاء العى السؤال » (٣) .

١ — درس نعم هو ، وإرشاد كريم ما اقومه ، فكم قتل الجهل اقواما ، وكم أحيا العلم آخرين ، ومصدر التوجيه هنا هو من كانت حركاته وسكناته ، ونومه ويقظته ، وسيره وتوقفه ، وجهاد وسلمه ، وجده ومزحه ، سنة وهداية وقدوة واسوة ، فما حظيت الانسانية قمة الكائنات بمثل يشابهه او يقاربه فى حدبه عليها ورفقه بها ، وعطفه على مسيئها ، وحبه لمحسنها ، وقف عليه افضل الصلاة وازكى السلام جهوده على تعليم البشرية وارشادها صادعا بأمر ربه

الذى اصطفاه وختم برسالته رســـالات السماء ، وما تركها الا على المحجة البيضاء ، حين جاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس فى دين اله افواجا ، واكمل الله الدين وأتم نعمته ، ورضي للبشرية الاســـلام دينا ، حاطه بالعلم وأوجب التعمق فى النظر ، والزم متابعة الدرس ومواصلة البحث ، والنفوذ الى أغوار الأشياء والخلوص الى اسبابها ومسبباتها ، ومداخلها ومخارجها ، ففى كل شىء له آية ، وفى كل اثر برهان يفتح الأذهان ويزيد الإيمان ويجلى للعيان آثار قدرة الرحمن وما عليك لكى تدرك مدى حرص سيد الرسل صلى الله عليه وســـلم على إرشاد أصحابه وحملهم على المعرفة حملا قويا إلا ان تراجع قليلا احواله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فى مجالسه معهم وأقواله الملقاة اليهم ، وطيب الكلم الذى صدر عنه فى أسلوب سهل واعجاز ما فاقه إلا إعجاز القرآن ، حيث تجد العبارة المنتقاة التى تأخذ طريقها الى القلوب فى يسر ورفق ، فتعمل عملها المبتغى ، ويظهر أثرها المرتجى انعكاس خير على المجتمع الذى تسيطر عليـــه والقوم تحميهم من غائلة انفسهم وعاديات الخصم الألد الا وهو الجهل وما الجهل إلا (مكروب) فتاك وداء قتال وعودة الى مسارى الغابات وعيش فى دياجير ظلام ، وسد حائل دون كل كريمة ، ودافع قوى ضد كل رقى ، استمع الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : فيما رواه الإمام أحمد وأخرجه البخارى وغيرهما : ((من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين)) . ودين دون فقه غباء وبلاء وتخبط فى عمياء مجهل .

ويروى ابن ماجه والترمذى قوله عليه الصلاة والسلام : ((فقيه واحد اشد على الشيطان من ألف عابد)) فالعابد لنفسه عمل وربما ضل الطريق لأنه لم يدرس معالمها قبل الولوج فيها ، وأما الفقيه الفاقه للدين فشـــمس تبعث الحياة فى الوجود ، وتقشع غياهب الظلام ، وتوضح للسالك دروب سبيله ، والفقيه ناج يأخذ بيد غيره الى النجاة ، ويجنبه مهاوى الهلاك ، وقد جعل سيد الخلق طلب العلم فريضة على كل مسلم فى خلاصة حديث رواه أنس وأورده ابن ماجه فى سننه ، ولم يكن فيما أوجبه من العلم على المسلم اقتصار قط على علوم الدين البحتة ، بل ألزم عمليا بعض أصحابه بتعلم ما يوصل الى كل معرفة كونية ، وما يبين عن علوم الآخرين فى ثقة وأمانة ، ولو كان هذا فى غير لغة القرآن وبعيدا عن مسالك يعرب ولسان قحطان وفصاحة قريش ، فها هو ذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يعجب ويسر بزيد بن ثابت ويرى عليه دلائل النبوغ واضحة فى حفظه لبعض سور التنزيل ، وهو لا يزال فى سن مبكرة يقول له : ((يا زيد تعلم لى كتاب يهود ، فإنى والله ما آمن يهود على كتابى)) وفى وجه آخر من الرواية يقول له : ((إنى أكتب الى قوم فأخاف أن يزيدوا على او ينقصوا ، فتعلم السريانية)) قال زيد : ((فتعلمتها فى سبعة عشر يوما)) ويرد هذا الخبر وأكثر منه فى طبقات ابن سعد وتاريخ دمشـــق لابن عساكر .

٢ — وأول مكان نستطيع ان نطلق عليه اسم مدرسة هو المـــكان الذى قامت فيـــه دار الأرقم بن الأرقام باعتبار المدرســـة هى المكان الذى تتلقى فيه دروس محدودة المعالم واضحة الأهداف بينة المناهج يقوم عليهـــا معلم أو معلمون يحسنون التوجيه ، ويجيدون الأداء ، ويفقهون كل ما يلقون الى تلاميذهم ويحرصون على استيعابهم لكل ما تحتوى عليه مناهج دراساتهم ، فقد كانت

تلك الدار مكان اجتماع الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه الأوائل حين كانت الدعوة تدب في مكة دبيب البرء في السقم فتشفي عقــولا مستعدة من امراضها الجاهلية ، وكانت تتلقى الدروس سرا ، حيث كان الحواريون الأول يتذاكرون ما ينزل من كتاب الله ، ورسول الله يعلمهم مبادىء الاسلام ، ويأمرهم بحفظ ما يســـتطيعون حفظه عن ظهر قلب غيب ، ومن هذه الدار دار الأرقم خرج رسول الله بين صفين من المسلمين ، يتصدر أحدهما حمزة بن عبد المطلب ، والثاني عمر بن الخطاب ، وكان لهما كديد ككديد الطحين « أى غبار متصاعد يشبه ما يتصاعد من الطحين » وبعدها صارت الدعوة جهارا نهارا ، وأصبح بيت رسول الله هو الندوة التى يتلاقى فيها المسلمون ، وظلت كذلك حتى هاجر الجميع الهجرة الكبرى الى المدينة المنورة (يثرب) وهناك بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقامت دور نسائه أمهات المؤمنين الى جواره ، فكان من أثره في حياة المسلمين ما جعل كل أحوالهم عبـــادة وطاعة يتلقون الكتاب والحكمة ، ويطبقون ما اشتملا عليه من تشريعات وأحكام تطبيقا دقيقا بكل ما اشتملت عليه الدقة من معان ، وكان جوابهم على كل ما يسمعون من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » ، وما كان تعليم الرسول لأصحابه ليتحدد بمكان أو زمان ، فقد حفلت دور المهاجرين بلقاءات معه صلى الله عليه وسلم ومجالسهم الخاصة وطرق المدينة وحوائطها ، فكلما التقى فرد برسول الله وجهه الى الخير ودعاه الى اجادة العمل ، وأوضح له ما أغلق عليه ، وبين له ما أشكل ، تستوقفه عجوز فيتحدث اليها ، ويلقى غيرها فلا يغادره حتى يبدأ بالمسير ، ويمد يده مصافحا ، وتبدى قسمات وجهه الشريف نورا يجذب الناس إليه ويكأكئهم عليه ، وهو دائمـــا صابر محتسب مبتسم لا يثقل على أصحابه ، وإنما يتخولهم بالموعظة ليستطيعوا استيعاب ما يلقى اليهم فعن ابن مســـعود رضى الله عنه قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا » كما ورد في مسند الإمام أحمد ، كما كان سيد الخلق يتحدث الى كل فئة من الناس بما يناسبهم ، وبما يستطيعون إدراكه إدراكا تاما ، فله صلى الله عليه وسلم مع البدوى أسلوب يغاير أسلوبه مع الحضرى ، كما كان يضرب الأمثال شرحا لغامض أو جلاء لخاف أو فتحا لمستغلق أو تفهما لمن حال استعداده دون إدراك ما يلقى اليه بادىء ذى بدء ، فقد جاء في صحيح مســـلم ما نصه : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل من بنى فزارة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن امرأتى ولدت غلاما أسود وإنى أنكرته ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « هل لك من إبل ؟ » قال : نعم ، قال : « فما ألوانها ؟ » قال : حمر . قال : « هل فيهما أورق »(٤) ؟ قال : إن فيها لورقا . قال « فأنى أتاها ذلك ؟ » قال : عسى أن يكون نزعه عرق . قال : « وهذا عسى أن يكون نزعه عرق » .

وكان هذا جوابا شافيا حاسما في موضوع السؤال لا يمكن للسائل أن يعقب عليه بنفى أو إنكار ، فقد حاوره المصطفى محاورة تركزت على ما يجرى في بيئته ، ويتحرك أمام عينيه وتلمسه حواســـه ، فهل له بعد ذلك أن يكرر « وإنى أنكرته » ؟ .

ذلك لعمر الحق برهان واضح على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ، وأن ما يلقى اليه إن هو إلا وحى يوحى ، وإلا فبأى شيء يوصف ما يصدر عنه من قول حكيم ، وتطبيق مستقيم ، وتوجيه ما له نظير ، أتلك عبقرية ، أذلك سلامة فطرة ، وإن كانت فمن وهبها ومن فطرها ومن هداها في تلك الحقب القفراء من العلم والمعلم ، من الكتاب والكاتب ، من النضوج العقلى وفقه العقلاء لا محيص أن نقول مصدر كل ذلك هو العليم الخبير الذى اصطفى وعلم واختار وأرشد ، وأرسل رسوله وآتاه الحجة البالغة ، ومنحه الحكمة وفصل الخطاب ، ولجمال ذلك الأسلوب فى التعليم والتوجيه نسوق مثالا آخر أورده الطبرانى فى الكبير : « قال الراوى : اتى النبى صلى الله عليه وسلم فتى من قريش فقال : يا رسول الله ائذن لى فى الزنا فأقبل القوم عليه وزجروه ، فقالوا : مه مه !! (لكن سيدنا الحبيب المصطفى) قال : ادنه فدنا منه قريبا ، فقال : « أتحبه لأمك ؟ » قال : لا والله ، جعلنى الله فداك . قال : « ولا الناس يحبونه لأمهاتهم » قال : « أفتحبه لابنتك ؟ » قال : لا .. والله .. يا رسول الله جعلنى الله فداك .. قال : « ولا الناس يحبونه لبناتهم » — ثم ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخته وعمته وخالته ، وفى كل ذلك يقول الفتى مقالته : لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك — قال : فوضع يده عليه وقال : « اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه » قال الراوى : فلم يكن هذا الفتى يلتفت بعد ذلك الى شيء » كما ورد عن البخارى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم يكرر القول ثلاثا لكى يفهم عنه ، وعن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يسرد الكلام كسردكم ولكن كان إذا نطق تكلم بكلام فصل(٥) يحفظه من سمعه ..

وفى رواية أخرى : إنما كان النبى يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه ، ولم يقبل أبدا عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام أن يطريه أصحابه أو يطيلوا الثناء عليه « إلا بالصيغ التى صحت عنه » ففى مسند أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه يوما : « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » .. وأنه — وإن كان كل توجيه وحكم وتعليم وارد فى الكتاب والسنة منه ما يعم النساء والرجال جميعا ، وإن ورد الخطاب للمذكر وخاصة فى العقائد وأصول الدين — فمع هذا نجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خص النساء بمجالس خاصة حين قلن له : يا رسول الله ما نقدر عليك فى مجلسك من الرجال فواعدنا منك يوما نأتيك فيه ؟ قال : « موعدكن بيت فلان » وهناك لقيهن وتحدث اليهن مجيبا عن كل ما وجهن من أسئلة ، كما حكى ذلك البخارى ومسلم وغيرها ، وقد قالت عائشة رضى الله عنها : « نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين » فقد كن لا يتحرجن فى الاسئلة مهما كانت ما دامت ترمى الى فهم ما استغلق عليهن من أمور دينهن رضى الله عنهن جميعا ، روى البخارى أن امرأة (٦) جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : « يا رسول الله ، إن الله لا يستحى من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت » ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا رأت الماء » فغطت أم سلمة — تعنى وجهها — وقالت : يا رسول الله ، أوتحتلم المرأة ؟ قال : « نعم تربت يمينك فبم يشبهها ولدها ؟ » .

٣ — والحديث الشريف موضوع البحث يكشف عن خبيئة نفس المتطاول الى مستوى لم يهيأ له ، ولا تسمو به مؤهلاته اليه ، فهو يريد الصدارة وما تليق

به إلا المؤخرة ، وتلك صورة تمر كثيرا فى حقب الزمان المتباينة ، وبين كل أرباب الوظائف والحرف المختلفة ، فكم من صريع على يد مدعى النطاسة ، وكم من جاهل يبدى للعامة أنه نقريس(٧) ، وما أكثر ما يتصدرون للفتيا وهم من الجهالة بمكان ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ، وهذه أحوال يجب أن يبتعد عنها وينفر منها من ينتسب الى الاسلام دين الحق الواضح والعلم النـــافع ، ولهذا نجد ونلحظ هنا فى حديث سيدنا الحبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء بالموت والهلاك لأولئك الذين افتوا بغير علم فاماتوا صاحبهم ، ويقول فى جلاء واشراق ما معناه : هلا اســتعملوا من غيرهم ممن هو أدرى منهم بالحـــكم إذ جهلوا وحين اغلق عليهم الأمر ، ويشرح حالهم المتهافت ، وأنهم لا يستحقون الحياة ، لأنهم هم مرضى وجهلة ، ومع هذا لم يحاولوا شفاءعيهم ويتغلبوا على قصور معارفهم بسؤال من يعلم : « قتلوه ، قتلهم الله ، الا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العى الســؤال » ولعل الذين يتجــرأون على الله ، ويفتون بما لا يعلمون أن يتخلوا عن كبريائهم المتكلف حتى لا يكونوا وقودا للنار ، فقد ورد فى الأثر : أن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنه كان إذا ســئل أحال السائل على سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فيقال له فى ذلك فيقول : « أتريدون أن تجعلوا ظهورنا جسورا يوم القيامة تقولون أفتانا بهـــا ابن عمر » ولن يغض من قيمة المسئول حتى العالم أن يقول لا أدرى ، فقد روى عن مالك بن أنس رضى الله عنـــه أنه قال : « من قال لا أدرى فقد أفتى واســتبرأ لدينه » وهذا إذا لم يتعين الافتـــاء على هيئة أو شخص فحينئذ يستعين الله ويتحرى الصواب ، ويتقى الله ويعلمه الله إنه سبحانه نعم الهادى الى سواء السبيل ..

---

(١) بالبناء للمجهول ..

(٢) عى بالامر عيا وهو عيى : عجز عنه ولم يطق إحكامه .. والرجل يتكلف عملا فيعيا به وعنه اذا لم يهتد لوجه عمله .. وعييت فلانا أعياه اى جهلته .. الخ « تراجع مادة : عيا » فى لسان العرب ..

(٣) ورد هذا النص فى مسند الامام أحمد باسناد صحيح ، والنص السابق رواه أبو داود فى سننه والغاية فى النصين واحدة وان اختلفت الرواية .

(٤) الاورق من الابل الذى فى لونه بياض الى سواد ، والورقة (بضم الواو وسكون الراء) سواد فى غبرة (بضم الغين المعجمة) وقيل سواد وبياض كدخان الرمث يكون ذلك فى أنواع البهائم وأكثر ذلك الابل ــ « لسان العرب مادة : ورق » .

(٥) فى لسان العرب مادة (فصل) : وفى صفة كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : فصل لا نزر ولا هذر : أى فاصل قاطع .

(٦) فى فتح البارى بشرح البخارى تأليف : الحافظ شهاب الدين أبى الفضل العسقلانى المعروف بابن حجر : ان السائلة هى : أم سليم بنت ملحان والدة أنس بن مالك وأن أم سلمة رضى الله عنها زوج الرسول صلى الله عليه وسلم كانت حاضرة المجلس .

(٧) يقال : نطاسى للطبيب الحاذق بالطب العـــالم بفنونه ، كما يطلق نقريس : على الفطن للامور الفاقه لها ــ « لسان العرب مادة : نطس » .

نظرة فاحصة حول



الإباحة عند الأصوليين والفقهاء

د. محمد سلام مدكور

الإباحة من باح بمعنى ظهر .. يقول الآمدى : إن المباح مشتق من الإباحة وهى الإظهار والإعلان ، وقد ترد بمعنى الإطلاق والإذن(١) . وقد ذكر الاصوليون عدة تعريفات لها ، وللمباح والذى انتهينا الى اختياره(٢) هو ما ذهب اليه الآمدى من أن المباح : ما دل الدليل السمعى على خطاب الشارع بالتخيير فيه بين الفعل وتركه من غير بدل .. وأن الإباحة على هذا دلالة خطاب الشارع على التخيير بين فعل الشىء وتركه من غير بدل .. وبذا يخرج عن دائرة الإباحة هنا تخيير العباد فى الكفارات عن حقيقة الإباحة لأنه تخيير بين أمور يجب فعل واحد منها أى تخيير الى بدل .. لأن التخيير فى الإباحة تخيير بين مطلق الفعل ومطلق الترك دون ترتب ثواب او عقاب على الفعل أو على الترك ..

وعلى هذا التعريف يكون المناط فى الإباحة ان يخير الشارع بين الفعل والترك بقطع النظر عما يترتب على ذلك من مصلحة أو مفسدة لأن التشريع فى جميع الأحكام مرتبط بالأدلة الشرعية ومساير لدلالتها فما دل الدليل على وجوبه فواجب ، وما دل على تحريمه فحرام ، وما دل على إباحته فمباح من غير نظر لما يترتب على ذلك من مصلحة فى اعتبارنا أو مفسدة ..

وفى التقييد بأن ذلك يكون عن طريق الدليل السمعى ــ نصا أو استنباطا عن طريق الامارات التى وضعها الشارع لبيان أحكامه لأهل الذكر ــ احتراس أيضا عن مذهب

المعتزلة فى التحسين والتقبيح العقليين ، ودعوى أن الأحكام تدرك بالعقل من غير توقف على دليل الشرع ، وأن الشرع إنما يجىء مؤيدا لها ..

والإباحة الشرعية داخلة فى الحكم الشرعى وقسم من أقسامه .. لأن الحكم الشرعى هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الطلب أو التخيير أو الوضع(٣) ، ويندرج تحت الطلب الواجب والمندوب والحرام والمكروه مما يطلق عليه الحكم التكليفى ، ويندرج تحت الوضع السبب والمانع والشرط مما يطلق عليه الحكم الوضعى .. أما الحكم التخييرى فهو الإباحة الشرعية ..

وإنما قيدنا الإباحة هنا بأنها شرعية لنخرج الإباحة الأصلية ، التى لم يرد فى شأنها حكم شرعى وقرر الفقهاء أن الأصل فى الأشياء الإباحة وإن كانوا قد اختلفوا حول ذلك تبعا لاختلاف الموضوع ، ومع هذا فيمكن القول بأن الإباحة الأصلية أيضا تدخل تحت نطاق الأحكام الشرعية باعتبار أنها مستفادة من بعض النصوص كقوله تعالى : « خلق لكم ما فى الارض جميعا » .

ويستعمل الفقهاء لفظ الاباحة كثيرا فى مقابلة الخطر ، فقالوا : إن المباح ما أجيز للمكلف فعله وتركه بلا استحقاق ثواب ولا عقاب أو مأخذ فيه ، ويذكر بعض الفقهاء الإباحة بمعنى ما يقابل التحريم فتكون شاملة على هذا المكروه ، وتكون على هذا قريبة من الجواز إذ قالوا : جائز مع الكراهة . وقال ابن قدامة الحنبلى فى شأن النثار — أى نثر الحلوى ومثلها فى الأفراح والموالد — : إن الخلاف إنما هو فى كراهيته وأما إباحته فلا خلاف فيها(٤) ، فهو صريح فى أن الإباحة لا تنافى الكراهة ، وممن جعل الإباحة فى مقابلة الخطر الذى هو المنع . الفقيه الحنفى العينى(٥) ، وقاضى زاده(٦) ، وشيخ زاده(٧) وغيرهم ، فقال هؤلاء : هى الإطلاق فى مقابلة الخطر . ولفظ الإطلاق يتناول الإطلاق من جانب الله والإطلاق من جانب العباد بعضهم مع بعض . والإباحة على هذا تكون بمعنى الإذن . ولذا نجد الجرجانى فى تعريفاته يقول : الإباحة الإذن بإتيان الفعل كيف شاء الفاعل(٨) .

والإذن من الشارع يكون فى الاستيلاء على المال المباح وهو كل ما خلقه الله لينتفع به الناس على وجه معتاد وليس فى حيازة أحد مع إمكان حيازته ، والمال المباح بإذن من الشارع قد يكون حيوانا بريا وبحريا وطيرا ويكون نباتا حشائش وأعشابا حطبا ، ويكون جمادا وأرضا مواتا ونارا وماء وهواء ، وفى هذا يقول الرسول عليه السلام : « الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلأ والنار » وبالاستيلاء على المال المباح تنشأ عليه ملكية تامة دون اعتبار للأهلية فى شخص من استولى عليه لأنه سبب فعلى للملكية .

وكذلك فان إذن الشارع يكون فى مجرد الانتفاع دون تملك لرقبة الشىء المنتفع به كالإذن فى الانتفاع بالمساجد والطرقات العامة ، ونحوها وكذا الرباطات على الوجه الذى شرعت له ، ويدخل فى ذلك إباحة الانتفاع بأشعة الشمس وضوء القمر .. ونحو ذلك ..

والإذن من الأفراد بعضهم لبعض على سبيل الاستهلاك كمن ينثر النقود والحلوى فى الأفراح ، ويقدم الشراب والطعام للأضياف .. فان ملكيته للمأذون له لا تكون إلا بالتناول .. بل ذهب البعض الى أنه يستهلكها وهى على ملك صاحبها ، ويكون إذن العباد بعضهم لبعض على سبيل

الانتفاع فقط مع بقاء الرقبة على ملك صاحبها كمن يدعوك لركوب سيارته أو السماع من مذياعه أو مشاهدة مسرحية عنده ، أو التفرج بصور فى معرضه الى غير ذلك من صور إباحة المنافع ..

ويشترط فى الإذن من العباد ليفيد الإباحة أن لا يكون على وجه يفيد التمليك إذ أن الإباحة بطبيعتها لا تفيد تمليكا على **ما سنبينه فى مقال آخر** ، كما يشترط أن يكون الإذن على وجه لا يأباه الشرع ، فلو أذن شخص غير مسلم لصديق له مسلم فى تناول قدح عنده من الخمر كان هذا الإذن غير معتبر ، وكذا لو اباحت امراة نفسها او اباحها زوجها فإن ذلك الإذن لا يبيح عرضها للغير وإنما هو منكر وإثم ولا يعفيه إذنه أو إذنها أو إذن زوجها من استحقاق العقاب اذا ما شرب الخمر او فعل الفاحشة .. فإذن العبد دائما متوقف على إذن الشرع .. فهو وحده لا يحقق الإباحة الشرعية ..

مع أن القوانين الوضعية غير الاسلامية تجعل إذن المراة البالغة العاقلة الرشيدة غير المتزوجة محققا للإباحة ومانعا من المسئولية ما دام الفعل غير خارج على النظام العام ، ولا مخالف له .

والواقع أن ربط الأعمال جميعا بإذن الشارع وترخيصه ولا سيما فى مثل هذه الجزئية أمر له مزيته وخطره فى تحقيق سعادة الفرد والمجتمع . ولعل ما حدث فى أوروبا والبلاد الغربية يؤيد نظرية الشريعةالاسلامية فى هذه الجزئية .. فقد تحللت الجماعات الاوروبية والامريكية ومن على شاكلتهما بشيوع الفاحشة والإباحة فيها .. وما كان ذلك إلا لإباحة الجنس واعتباره حقا شخصيا لا يمس صالح الجماعة ..

ومن الغريب أن القوانين الوضعية لا تعتبر كل وطء محرم زنا ، واغلبها يعاقب بصفة خاصة على الزنا الحاصل من الزوجة ، ويعتبر إتيان من عدا الزوجة وقاعا أو هتك عرض ، ولا يعاقبون على الوقاع إلا فى حال الاغتصاب ، فإن كان بالتراضي — اى بإذن منها بأن أباحت له نفسها — فلا عقاب عليه ما لم يكن الرضا معيبا ..

ولعلك يا أخى القارىء أدركت ما فى التشريع الاسلامى من أصالة ، وما لفقهاء المسلمين من عمق فى البحث وبعد نظر حينما اشترطوا لإعتبار إذن العباد بعضهم لبعض أن يكون على مرفق الشرع غير خارج على قواعده وآدابه العامة ..

وأما إذن الشارع وحده فإنه لا يتوقف على إذن العباد إلا بالقدر الذى يحفظ النظام ويمنع التشاحن ، ومع هذا فإن من حق المأذون له من الشارع أن يستوفى ما أذن له فيه سواء أذن الناس أم أبوا ، فالمضطر لأخذ الفائض من طعام غيره أو شرابه لينقذ به حياة نفسه أو حياة من يعول حق له الأخذ ولو جبرا عن صاحبه دفعا للاضطرار لقوله تعالى « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » ومع هذا فإن حق العبد فى الضمان لا يسقط بإذن الشرع .

ومع توقف الإباحة فى إذن العباد على إذن الشارع فإننا جعلنا إذن العباد قسما مقابلا لإذن الشارع باعتبار أن إذن العباد فيه هو الأساس ، وأن الشارع جعله كذلك ، وجعل إذنه فيه متوقفا على إباحة صاحبه وإذنه ، ولهذا وجدت جزئيات كثيرة يتحقق فيها الإذنان ، وينفصل بعض تلك الجزئيات عن بعض انفصالا نوعيا بناء على هذا التقسيم . وهو أنه وإن كان المعول فيها على إذن الله وحده كما فى نوم المعتكف فى المسجد واكله وشربه فاننا نعتبره من

قبيل إذن الله لأننا لا نبالى بأن يوافق العبد أو لا يوافق ، بخلاف مثل التناول من طعام الغير إذا أذن فيه صاحبه كما لا يخفى ، وكذلك استحلال البضع بكلمة الله فإن الله سبحانه أحل الزواج وأذن فيه ، ولا يتم ذلك إلا بالتعاقد والرضا من الزوجين .

فحق الله(٩) ليس مجالا لإذن العبد ولا ترخيصه ، وبناء على هذا لم يعتبر الترخيص بالزنا وإن كان الحق فيه قد يلتبس بما هو حق العبد وملكه بناء على ما يقولون من أن منفعة البضع ملك الزوج ، كما يصرحون فى تعريف النكاح بأنه عقد يرد على ملك المتعة .. وهذا يلتقى مع ما قلناه فى شأن إذن العبد ولا يختلف عنه لأن كل تصرف لا بد أن يكون فى حدود ما أباح الشارع وأذن به . فملك المتعة من المرأة لا يقضى بحرية التصرف فيه مطلقا بل لا بد أن يكون ذلك التصرف فى حدود ما أذن الشارع به .

فالزوج وإن كان مالكا للانتفاع بالبضع إلا أن التصرف فيه مقيد بإذن الشارع .. لأن ملك المتعة من قبيل ملك الانتفاع لا ملك المنفعة ، وملك الانتفاع يقتصر التصرف فيه على المالك بخصوصه بخلاف ملك المنفعة .. ولهذا فسره الحصكفى فى الدر بقوله(١٠) : ملك المتعة وهو اختصاص الزوج بمنافع بضعها وسائر أعضائها على سبيل الاستمتاع الشخصى ، وفى حاشية قليوبى وعميره على شرح منهاج الطالبين « إن النكاح شرعا عقد يتضمن إباحة ربط ، بلفظ نكاح أو تزويج فهو ملك انتفاع لا ملك منفعة » وفى الإقناع(١١) : هل النكاح يفيد ملكا أم إباحة ؟ وجهان : أوجههما الثانى . على أن القول بأنه ملك يمكن أن يفسر بأنه ملك انتفاع لا ملك منفعة ، وملك الانتفاع فيما يبدو مرادف للإباحة .

هذا والإباحة التى مصدرها إذن العباد بعضهم لبعض ، قد تكون بما لا وجوب فيه على العبد كما فى التبرع بدعوة شخص إلى طعام أو شراب أو مبيت وغير ذلك ، وقد تكون إسقاطا لواجب أو خروجا من عهدة كما فى النذر ونحوه من الكفارات ، وكما فى الضيافة الواجبة ، عند بعض الفقهاء ، ولا منافاة بين كون الفعل إباحة وكونه خروجا من عهدة، فان الإباحة هنا يكون معناها الإخلاء بين الفقير وبين تناول الطعام من غير تمليكه إياه وفرق بين الأمرين .. والخروج من العهدة كما يتحقق بالتمليك يتحقق بالإباحة فى الجملة ، وهذا فى الحقيقة من قبيل الواجب المخير الذى يسقط فيه الواجب ويخرج عن العهدة بفعل البعض .

يقول الفقهاء : إن من عجز عن الصوم فى كفارة الظهار أطعم ستين مسكينا إما على سبيل التمليك بدفع الطعام الذى هو نصف صاع من بر أو صاع من شعير أو دقيق ، وإما على سبيل الإباحة بأن يغديهم ويعشيهم ، وإما على سبيل الجمع بين الإباحة والتمليك بأن يغديهم ويعطيهم قيمة العشاء أو بالعكس لأنه جمع بين شيئين جائزين على الانفراد ، وقالوا : إنه لو أباح واحد أكل الطعام فى يوم واحد دفعة واحدة أجزاه عن يوم واحد فقط .

جاء فى التنوير وشرحه وحاشيته : « تصح الإباحة بشرط الشبع فى طعام الكفارات سوى القتل فإنه لا إطعام فيه فلا إباحة »(١٢) والضابط فيما نرى أن ما شرع بلفظ إطعام وطعام جاز فيه الإباحة ، وما شرع بلفظ إيتاء أو أراد شرط فيه التمليك .

وقد يكون ذلك الإذن فى صور مما ندب إليه الشارع وحث عليه كما فى الولائم والعقائق والتضييف ، ومما ندب إليه الشارع وحث عليه

خلط المسافرين أزوادهم فى السفر ، ولا سيما إذا نفذ زاد بعضهم وقد ورد هذا فى حديث الصحيحين(١٣) عن أبى موسى الأشعرى ونصه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الأشعريين إذا أرملوا — أى فنى طعامهم — فى الغزو ، أو قل طعام عيالهم فى المدينة ، جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية . فهم منى وأنا منهم » . قال النووى فى شرح مسلم : وليس المراد القسمة المعروفة فى كتب الفقه ، وإنما المراد إباحة بعضهم بعضا ومواساتهم بالموجود . ويقول الكرمانى فى شرحه لصحيح البخارى إن هذا من باب الإباحة ..

وقد ورد هذا فى الفتاوى الهندية فى باب الكراهية فى الأكل وعباراتها(١٤) « المسافرون إذا خلطوا أزوادهم أو اخرج كل واحد منهم درهما واشتروا طعاما وأكلوا فإنه يجوز وإن تفاوتوا فى الأكل » . ونقله عن الوجيز ، كما أورده أيضا ابن قدامة الحنبلى فى كتابه المغنى فقال(١٥) : ولا بأس أن يخلط المسافرون أزوادهم ويأكلوا جميعا ؛ وإن أكل بعضهم من بعض فلا بأس ، وقد كان السلف يتناهدون فى الغزو والحج .. أى يرعى بعضهم بعضا .

وما اعتبره كل من النووى والكرمانى ومن ذكرنا من الفقهاء من كون هذا من قبيل الإباحة شرح فقهى دقيق وهو المتقدح لأنه إذن عرفى دارج فى الاستعمال فبعد أن خلطوا الزاد بعضه ببعض وجلسوا للأكل كان ذلك إذنا من كل واحد منهم للآخرين ولا معنى لهذا إلا أن كلا منهم أباح ما خلطه من طعام للآخرين .

ولا فرق بين هذا وبين صورة الضيافة لأن كلا من الضيف والمسافر مع زميله ، أو المواسى مع من يواسيه يبذل ما عنده ويجود به ، ولهذا شبهه صاحب المغنى الحنبلى بالنثار ، وفرق بينهما بأن النثار نهبة وتسالبا وتجاذبا بخلاف هذا فإنه عن رضى وطمأنينة . فهو عندنا أقرب الى معنى الضيافة وهى لا خلاف فى أنها إباحة ..

هذا وقد يتصف إذن العباد بعضهم لبعض بالكراهة كما فى الضيافة المشتملة على الاسراف أو التى أساسها التفاخر والمباهاة ، أو الخروج بها عن حدود الآداب دون أن تصل الى مرتبة الحرمة ، وإلا كانت خارجة عما نحن بصدده وهو ما كان على وجه لا يأباه الشارع .

ومقتضى مسلك الأصوليين فى الجملة — ما عدا الحنفية — أن المكروه ليس على وجه يأباه الشارع، على أنهم يختلفون فى كونه منهيا عنه أو غير منهى عنه ، وكونه من الأحكام التكليفية .. أو من غيرها(١٦) ، والتحديد بين المكروه والمحرم فى مثل هذا أمر يختلف باختلاف ما يشتمل عليه الفعل من المفسدة والضرر واختلاف المنفق ، ويمكن لفقيه أن يدركه بالنظر فى الجزئيات واختلاف بعضها عن بعض فى هذه الناحية .

يقول الشاطبى فى الموافقات(١٧) : ليس فى الإسراف حد يوقف دونه ، وأن الإنسان يرى بعض المباحات بالنسبة الى حاله داخلا تحت الإسراف فيتركه ، وأن النفقة فى المباح بالنسبة الى الإسراف وعدمه والعمل على ذلك مطلوب .

ومما أوردناه يتبين أن المأذون فيه من العباد بعضهم لبعض تتوارد عليه جميع الأحكام الشرعية عدا الحرام لأن ما عداه هو الذى يكون لا يأباه الشارع . أما الحرام فلا كلام فى أنه لا يعرض المباح بهذا المعنى .

وينبغى قبل أن نختم هذا المقال أن نقول : إن الإباحة ليست اجراء

تعاقديا فهى لا تحتاج الى الإيجاب والقبول ، وإنما توجد بمجرد وجود الإذن القولى أو العملى ، كما انه لا يشترط فيها أن يكون المـأذون له معينـــا معلوما للآذن وقت الإذن لا بشخصه ولا باسمه ، فمن يضع الماء فى الجوابى والأباريق ويضعها على قارعة الطريق ، ومن يخصصون سبيل ماء للشرب يلحقونه بدورهم . فإنهم يبيحون بذلك لكل من يمر أن يشرب منها دون تعيين للمأذون لهم لا بالاسم ولا بالوصف .

وكذلك فإن الإباحة جائزة كما يقرر ابن حزم الظاهرى فى المجهول(١٨) بخلاف العطية والهدية والصـــدقة والعمرى والرقبى والحبس الموقوف وغيره ، وكذلك كطعام يدعى اليه قوم يباح لهم أكله ولا يدرى كم يأكل منهم .

وإنى أعد القارىء أن أقدم له فى المقال التالى « أســـاليب الإباحة والصـــلة بينها وبين التخيير والحل والجواز » ثم أختتم الموضوع بمقال عن « أســباب الإباحة وأثرها فى التملك والضمان » .. والله الموفق .

---

(١) الاحكام فى اصـــول الاحكام هـ ٤ص ١٣١ .

(٢) راجع تفصيل عموم الموضـــوع فىكتابنا « الاباحة عند الاصوليين والفقهاء » .

(٣) انظر لنا فى موضوع الحكم كتـــاب« مباحث الحكم عند الاصوليين » .

(٤) المغنى هـ ٧ ص ١٣ .

(٥) فى كتابه رمز الحقائق هـ ٢ ص ٢٦٥ .

(٦) فى كتابه نتائج الافكار هـ ٨ ص ٧٩ .

(٧) فى كتابه مجمع الانهر هـ ٢ ص ٥٢٣ .

(٨) التعريفات للجرجانى ص ٢ .

(٩) يرى الحنفية ومن تابعهم ان حق اللههو ما يتعلق به النفع العام للعالم وحفظ النظام العام فيه ، فهو شامل للمصلحة العـامةالدنيوية والمصلحة الاخروية فلا يختص به أحد انما نسب الى الله تعظيما ولتشريف ما قوىنفعه وعظم خطره ومثلوا لذلك بحرمة الزنا التى يتعلق بها عموم النفع من سلامة الأنسابوصيانة الفراش ومنع الضغائن بين الناس كما عرفوا حق العبد بانه ما تتعلق به مصلحةخاصة دنيوية كحرمة مال الغير فانه حق العبد لتعلق صيانة ماله ولهذا فانه يستباح باباحةالمالك .. وعلى هذا فالمراعى فى الحقين هو مصالح العباد عامة وخاصة ..

لكن الشاطبى يرى ان كل حكم شرعى فيهحق الله وهو جهة التعبد بالفعل ، وفيـه حق العبد وهو ما روعيت فيه مصلحة دنيويةكانت أو اخروية ..

(١٠) هـ ٢ ص ٢٨٠ .

(١١) هـ ٤ ص ٢٠٦ .

(١٢) شرح الدر بحاشية ابن عابدين هـ ٢ص ٦٢٢ .

(١٣) البخارى فى باب الشركة فى الطعاموالنهد هـ ١١ ص ٥٠ ، مسلم فى باب فضائل الاشعريين هـ ١٦ ص ٦١ .

(١٤) هـ ٥ ص ٣٤١ .

(١٥) هـ ٧ ص ١٤ .

(١٦) انظر الاحكام للآمدى هـ ١ ص ١٧٤وانظر لنا كتاب مباحث الحكم عند الاصوليين ص ٩٢ ، ١٠٦ .

(١٧) هـ ١ ص ٧٨ .

(١٨) المحلى هـ ٩ ص ١٦٣ .

المركز الثقافي الإسلامي في اسكندنافيا

* تأسس المركز الثقافى الاسلامى بكوبنهاجن فى الدنمارك لخدمة المسلمين الموجودين فى هذه المنطقة ومساعدتهم وتغذية الروابط بالاضافة الى تعميق المفاهيم الاسلامية لديهم لأنهم فى أمس الحاجة الى تفهم الاسلام وسط الظروف الروحية السيئة التى يعيشون فيها .

* ان عدد المسلمين فى الدنمرك حوالى (١٢) الف مسلم وهم يحتاجون الى مكان تقام فيه الصلاة والاحتفال بالمناسبات الدينية التى تمر بهم دون أن يشعروا بها وقد يضطر بعضهم الى مطالبة الجهات المسئولة لاعارتهم صالات الألعاب الرياضية لاقامة الصلوات الدينية بها ، وهذه الجهات لا توافق إلا على اعطاء الأماكن البعيدة أو غير المناسبة على الأقل فى أوقات غير مناسبة .

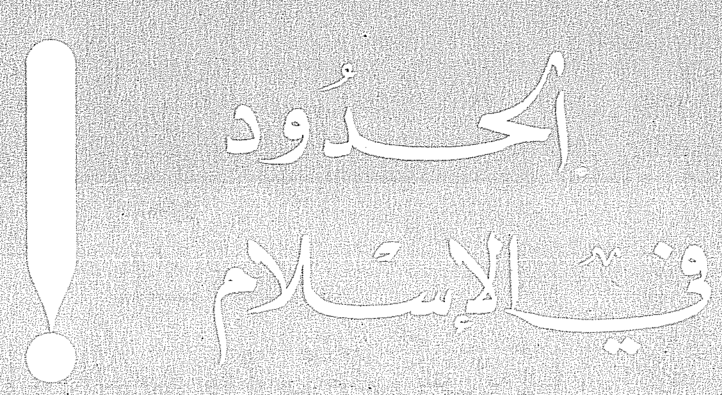
* فى عيد الاضحى الماضى لم تقم صلاة العيد المشروعة لعدم الحصول على مكان تقام فيه الصلاة ويسهل الوصول اليه بحجة شغل كل الأماكن .

* وتوجد مشكلة الأطفال الذين يفقدون لغتهم نظرا لدراستهم باللغة الدنمركية ، ولا يجدون أى جهة تدرس لهم اللغة العربية ، ويتلقون منها شيئا من الاسلام . الأمر الذى يفقدهم كل ارتباط بالاسلام .

* لقد تأسس المركز الثقافى الاسلامى تحت رعاية سفراء الدول الاسلامية ليقوم بالواجبات المحددة به ، ومقره الحالى غرفة صغيرة فى الدور الثالث لا تزيد مساحتها عن عشرين مترا يجتمع فيها الاعضاء وتستعمل للصلاة ، وأخيرا افتتحت حانة فى الدور الارضى من البناية .

* ان واقع المسلمين فى هذه المنطقة سيىء وهم فى حاجة الى من يساعدهم ويشد أزرهم فغالبيتهم عمال تتقاسم أجورهم الضرائب الباهظة والأسعار المرتفعة بالاضافة الى التزاماتهم المادية نحو أهليهم ببلدانهم الاصلية .

* والمركز فى كتابه الى المجلة يطلب العون من المسلمين ، ويناشدهم أن يؤدوا حق الله عليهم . . ان رحمة الله قريب من المحسنين .



الأستاذ عبد الكريم الخطيب

(١)

تعتبر الحدود التى رصدها الاسلام قصاصا من الخــارجين على احكام شريعته ، والمعتدين على حرمات الجماعة ، من دماء واموال ، واعراض ـ تعتبر هذه الحدود مدخلا واســعا الى محاولات محمومة مستميتة ، من المستشرقين ، والمتتلمذين منا عليهم ، للنيل من الاسلام ، والتشويش عليه ، وتعكير موارده الصافية ، وذلك باصطناع اساليب خبيثة ماكرة ، تتستر بستار خادع ، يدخل على عقول الســذج وذوى الغفلة ، تحت اسم التحرر العقلى ، او التفكير الوجودى ، الذى يطلق فيه المرء عقله من كل عرف ، او قانون وضعى او سماوى ، ليبنى وجوده من ذات نفسه ، ومما تفرزه مشاعره ، ووجداناته ، ومنازعه ، كما يفرز العنكبوت من لعابه الخيوط التى يبنى منها عالمه الذى يعيش فيه .. !!

وبكلمات محفوظة مرددة يقايس هؤلاء المستشرقون واتباعهم بين تعاليم الاسلام ، وبين حياة البادية التى ظهر فيهــا ، وما فيها من جفــاف ، وجفاء ، وجدب ، وخشونة ، وجهل ، وبدائية لا تبعد حدود الانسان فيها كثيرا عن عالم الحيوان الذى يعيش معه فى تلك المواطن !! هكذا يقولون .. !

فالقرآن فى اســاليبه ومعــانيه ، وفى احكامه وآدابه ، وفى اخبــاره وقصصه ، هو صورة لحياة البادية ، وما يجرى فى تفكير سكانها ، وما يدور فى اخيلتهم ، او يداعب احلامهم ..

وعلى هذا ، فإن النجاح الذى صادفته الدعوة الاسلامية فى اول امرها ، انما هو ـ حسب هذا الفهم المغلوط ـ نتيجة للاءمة الدعوة لحياة المجتمع الذى ألتقت به فى الجزيرة العربية ، وتجاوبها معه ، ووقوفها عند حدوده ، مكانا وزمانا ، بحيث لو خرجت هذه الدعوة عن حدود هذا الزمان وذلك المــكان ، لما تقبلتها النفوس ، ولما استجابت لها العقول ، ولما قامت لها قائمة بين الناس !

وقد كان لهذه المقولات الخادعة المضللة دور كبير فى التسلط على عقول شبابنا ، وفى خلق هذا الشعور القلق ، المجافى للدين ، والمستخف بتعاليمــه ، وخاصة عند اولئك الذين تلقوا دراساتهم فى الجامعات الأوروبية والأمريكية ، والذين خدعتهم الحياة هناك ببهرجها المادى ، وزينتهــا ، فانطلى عليهم هذا الزور ، فلم يأخذوه مأخذ الشك والحذر ، ولم يراجعوه على حقائق الاسلام ، ويعرضوه على احكامه وتعاليمه ، إذ اعجلهم حب اللحاق بموكب المدنية الغربية

الصاخب ، عن النظر فى شىء من هذا الذى تحمله الشريعة الاسلامية من حقائق عليا ، ترفع أبناء هذه الأرض عن عالم التراب ، الى عالم الحق والنور ، عالم الملأ الأعلى ، فإذا هم بشر يحلقون فى السماء ، أو ملائكة يمشون على الارض ! ولكن حب العاجلة قد أخذ بألباب المفتونين منا ببريق المدنية الغربية ، ولمعان بروقها الخلب ، فقصروا نظرهم القاصر على واقع الحال منا اليوم ، فى مواجهة المدنية الغربية ، وما يملك أهلها من أسبابها ووسائلها ، التى خلت أيدينا منها ، فبان من خلال هذه النظرة بُعدُ ما بيننا وبين القوم هناك ، حيث يملكون من مظاهر الحياة المادية ما لا نملك ، ويأخذون من متع الحياة كل ما يشاءون ، فى حين اننا لم نأخذ من الحياة إلا الفتات من فضل ما يلقون به إلينا .. !! وقد وجد المخدوعون منا فى هذه الموازنة بين حياتنا وحياة القوم ، شاهدا محسوسا لا ترد شهادته فى تخلفنا وتقدمهم ، وشقائنا وسعادتهم ، فقبلوا هذه الشهادة ، على الاسلام ، وعلى المسلمين معا ، وأقاموا حساب الاسلام فى أحكامه وتعاليمه على الميزان الذى أقاموا عليه المسلمين فى تخلفهم ، وضعفهم .. ومن هنا كان منهم هذا الموقف الجافى للاسلام ، المستخف بتعاليمه ، الخارج على حدوده ..

(٢)

ويكفى فى هذا المقام أن نسوق مقولة من تلك المقولات المضللة لأحد المستشرقين ، وهو المستشرق النرويجى (جولد تسيهر) الذى يعد فى نظرنا أكثر المستشرقين اعتدالا واتزانا .. وأقلهم تعصبا على الاسلام ، وأصدقهم نية فى البحث عن الحقيقة ، وإن يكن قصر به علمه عن إدراك حقائق الاسلام العليا بعقله المادى المشبع بمادية الحياة التى رضع من ثديها صغيرا ، وتربى فى حجرها كبيرا .. !

يقول (جولد تسيهر) فى حديثه عن القرآن ، وفى التعريض به كدستور يحكم مجتمعا يدين به :

« من الخطأ أن ينسب الى القرآن أكبر القيم فى بيان طابع الاسلام بوجه عام ، كما أننا من باب أولى لا نستطيع أن نؤسس حكمنا على الاسلام مستندين فى ذلك على هذا الكتاب وحده لدى الأمة الاسلامية .. » !!

ثم يقول : « وهكذا يظهر انه غير صحيح ما يقال من أن الاسلام فى كل العلاقات جاء الى الناس بطريقة كاملة ! بل على العكس ، فإن الاسلام والقرآن لم يتمما كل شىء ، وكان الإكمال نتيجة لعمل الأجيال اللاحقة » !!

ويتدرج (جولد تسيهر) من هذا التلميح الى التصريح فيقول :

« والقرآن نفسه لم يعط من الأحكام إلا القليل ، ولا يمكن أن تكون أحكامه شاملة لهذه العلاقات غير المنتظرة كلها ، مما جاء من الفتوح .. فقد كان — أى القرآن — مقصورا على حالات العرب الساذجة ، ومعنيا بها ، بحيث لا يكفى لهذا الوضع الجديد !!

« والواقع أن هذا الكتاب لم يحكم المسلمين إلا فى خلال العشرين سنة الأولى من نموه !!

« ففى خلال حياة الاسلام التاريخية كلها ، ظل القرآن فى رأى أتباع دين محمد (كذا) عملا اساسيا محترما باعتباره موحى به من عند الله ، كما ظل كذلك موضع إعجاب عظيم الى حد لم يظفر به أى عمل من الأعمال الأدبية » !!

ثم يمضى قائلا :

« ولكن بالرغم من أن الاسلام فى أطوار نموه التالية قد اتخذ القرآن أساسا ، وهو أمر طبيعى ، وبالرغم من أنه كان يوزن به جميع منتجات العصور المتأخرة ، وبالرغم من أن كل شىء قد تصُوِّر على أنه متفق معه ، أو حوول تصور ذلك ، بالرغم من هذا كله فإنه لا يمكن أن نتناسى أن القرآن بعيد كل البعد عن أن يكفى وحده لمواجهة عقلية الاسلام التاريخية » !!

ثم يضرب الكاتب لهذا مثلا فيقول : « إن الرسول نفسه قد اضطر لتطوره الداخلى (كذا) وبحكم الظروف التى أحاطت به ، الى تجاوز بعض الوحى القرآنى الى وحى جديد فى الحقيقة ، كما اضطر الى أن يعترف أنه ينسخ بأمر الله ما سبق أن أوحاه الله إليه » !!

ثم يقول معقبا على هذا : « فإذا كان الامر كذلك فى عصر (محمد) فمن باب أولى أن يكون كذلك ، بل وأكثر من ذلك عندما تجاوز الاسلام حدود البلاد العربية ، وتأهب لكى يكون قوة دولية » (العقيدة والشريعة لجولد تسيهر) ص ٤١ وما بعدها ..

وهذا كلام واضح صريح فى القول بأن القرآن عمل أدبى ، من عمل محمد أشبه بالمعلقات مثلا، وأنه حين يتطور محمد فى آرائه ومنازعه من خلال نظرته الى الحياة ، تتطور آراؤه وأفكاره ، ومنازعه ، فيضطر الى تنقيح هذا العمل الأدبى بالحذف والاضافة ، شأنه فى هذا شأن كل أديب حيال أعماله الفنية ! حيث تظهر بصمات الزمن عليها ، كما تظهر بصماتها على قسمات وجهه ، ولون شعره .. !!

بهذه العقلية ينظر (جولد تسيهر) الى القرآن الكريم ، ولا يستسيغ عقله أن يفهم معنى النسخ فى القرآن ، ولا أن يعد الآيات القرآنية التى قيل بنسخها قرآنا متعبدا به ، وعاملا فى بناء الشريعة الاسلامية ، كما لا يستسيغ عقله أن يقبل أن محمدا كان رسولا من عند الله الى الناس ، يبلغ ما يتلقى من آيات الله وكلماته ، فلا يتحرك حركة فى مجال الرسالة ، ولا ينطق بكلمة فى محيطها إلا عن وحى ، وعن أمر من رب العالمين : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى » (٣ و ٤ : سورة النجم) وأنه ، وهو رسول الله ما كان له أن يكذب على الله ، وأن يقول من ذات نفسه قولا ثم ينسبه الى الله ، والله سبحانه وتعالى يقول : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين » (٤٤ ــ ٤٧ : الحاقة) وهذا فى مقام الرد على مزاعم المشركين ، وقولهم فيما ذكره القرآن عنهم : « وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه ، وأعانه عليه قوم آخرون » (٤ : الفرقان) .

هذا مثل من أمثلة كثيرة ، تتجاوز فى الافتراء ، والتضليل ، وسوء الفهم ، أو سوء النية ، هذا الذى نقلناه عن المستشرق (جولد تسيهر) الذى قلنا عنه ، أنه أهدى جماعة المستشرقين سبيلا ، وأقومهم طريقا ، وإن كانوا جميعا على غير طريق الحق والعدل .. !!

وندع هذا لنلتقى ببعض أحكام الشريعة الاسلامية ، وشغب الشاغبين عليها ، وجهل الجاهلين بها ، ومنازعة المنازعين فيها ..

ولا يتسع المقام هنا لعرض هذه الأحكام على ميزان الحق والإنصاف ، وردّ ما ورد عليها من تلك المقولات الضالة المضللة ، وبحسبنا أن نعرض — وفى إيجاز — للحدود التى فرضها الاسلام قصاصا من الخارجين على شريعة الله ، المعتدين على حرمات الدماء ، والأموال والأعراض ، كما أشرنا الى ذلك فى مطلع هذا الحديث .. وتتمثل هذه الحدود فى الجرائم الآتية :

أولا : جريمة الزنا ، وما يلحق بها من قذف المحصنات .
ثانيا : جريمة القتل العمد .
ثالثا : جريمة السرقة .
رابعا : جريمة شرب الخمر .

(٤)

وربما كانت داعية هذا الحديث عن الحدود فى الاسلام فى هذا الوقت بالذات ، أن بعض الدول الاسلامية ، قد أخذت تصحو من رقادها ، وتسترجع وجودها فى ظل شريعة الله التى تدين بدينها ، فبدأت تطبق أحكام هذه الشريعة فى المعاملات ، وفى الجنـــايات المتعلقة بالعدوان على الأنفس والأموال ، والأعراض وذلك فى الوقت الذى أخذت فيه بعض دول الغرب ، فى أوروبا وفى أمريكا ، تدخل على قوانينها الوضعية من التعديلات ، ما يكاد يتطابق مع كثير من أحكام الشريعة الاسلامية ، حيث قامت دعوات المصلحين هناك تنادى منذرة بالأخطار الماحقة التى تهدد المجتمعات ، من آفات الربا ، والخمر ، والميسر ، والقتل ، والسرقة ، والزنا ، وترى الا خلاص من هذه الآفات إلا بتحريم الربا ، والميسر والخمر ، وإلا بإعدام القاتل ، وقطع يد السارق ، وفضح الزانى ..

وهكذا تكشف الأيام عن وجه الحق من دين الله ، ويذهب جفاء هذا الزبد ، الذى تعلل به القوم زمنا ، كما يتعلل الظمآن بالسراب يحسبه ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .. !!

(٥)

ونقف هنـــا عند جريمة الزنا ، التى ينكرها كل دين ، وينكرها العقـــلاء الراشدون من الناس ، كما تنكرها المدنية الغربية جهرا ، وترضى بها وعنها سرا ، وذلك لما فيها من عدوان على حقوق الأزواج ، ومن اختلاط للأنساب ، وحل لروابط الأسرة ، وقتل لما فى قلوب الآباء من عطف وحنان على الأبناء ، ورعاية وبذل سخى لهم بما يبلغ حد التضحية بالراحة ، وبالنفس .. الامر الذى لا يكون إلا إذا ملأت عاطفة الإبوة قلوب الآباء ، وذلك لا يكون إلا إذا وقع فى قلوب الآباء وقوعا محققا أن هؤلاء الأبناء من أصلابهم .. ! ولذلك لا تعجب لما تقرأ من الأخبار الواردة إلينا من أمريكا وأوروبا عن آباء قتلوا أولادهم بأيديهم ، وأتوا على الأسرة كلها فى لحظة واحدة ، دون أن ينبض فيهم شعور بالتردد قبل الجريمة ، أو الندم بعدها ، وذلك شفاء لما فى نفوسهم من شكوك فى صحة نسب هؤلاء الأبناء إليهم .

ومع هذا ، فإن الاسلام إذ حارب هذه الجريمة ، وإذ رصد لها العقوبة الرادعة ، وهى الرجم للمحصن ، والجلد لغير المحصن ، إذ فعل الاسلام هذا ، كان ذلك عند أعداء الاسلام تهمة شنيعة يرمونه بها ، ويحاكمونه عليهـــا ، ليخرجوه من حدود الانسانية المتحضرة الى سكان الأدغال ، ورعاة الإبل والشاء فى الصـــحارى .. إذ قالوا كيف تبلغ الوحشية والقســوة والضراوة بمجتمع

يستبيح جلد الانسان ، وإهدار آدميته على اعين الناس .. ؟ ثم كيف تصل هذه الوحشية في قسوتها وضراوتها الى أن يلقى بالإنسان فى حفرة ، ثم تتناوله الأيدى رجما بالحجارة الى ان يموت .. ؟ إن عالم الحيوان ليحترم حياة الكائن الحى فى بنى جنسه ، فلا يفعل به ما تفعله هذه الشريعة بأتباعها ، وبإهدار آدمية الآدميين فيها .. !!

هكذا يقولون .. و « كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا » .

(٦)

ولا ننكر أن فى الشريعة الاسلامية جلدا ، ورجما ! فهذا حكم من أحكام الشريعة لا جدال فيه .. ففى القرآن الكريم يقول الله تعالى : « الزانية والزانى ، فأجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (٢ : سورة النور) .. هذا عن الجلد ، أما الرجم ، فقد جاءت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر من ربه ، كما سنعرض لذلك فيما بعد ، ونبين الحكمة فى أن كان الجلد بنص من القرآن ، على حين كان الرجم بنص وعمل من رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه .. والاسلام نظام مجتمع ، وأسلوب حياة ، ومنهج عمل وسلوك ، قبل أن يكون مجرد دستور من الاحكام والوصايا ومجموعة من الزواجر والأوامر ..

فما غاية الاسلام من رسالته فى الناس إلا ان يقيمهم على طريق الحق والعدل ، وان يجمعهم على الإخاء والرحمة والمودة ، وأن يسعى بهم الى مواطن الخير ، وأن ينزلهم منازل الأمن والسكينة والسلام ..

والضمير فى الانسان ، هو جوهر الانسان ، بل هو الانسان مصغرا ، إذ هو تلخيص أمين للانسان كله ، بخيره وشره ، فإذا صلح الضمير صلح الانسان كله ، وإذا فسد لم يكن للانسان ثمة سبيل الى صلاح أبدا ..

ولهذا عنى الاسلام العناية كلها بتربية هذا الضمير ، والتمكين لسلطانه فى كيان الانسان ، ومده بأسباب القوى العلوية القدسية التى تقيم مؤشره دائما على افق الحق ، والعدل ، والاحسان .. فإذا انحرف هذا الضمير ، يمنة أو يسرة ، وجد صاحبه لذلك نخسة فى قلبه ، وضيقا وقلقا فى صدره ، فلا ينام ولا ينيم حتى يتخلص مما علق به من إثم أو طاف به من منكر .

وقد كشف الرسول الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — عن هذا الجهاز العجيب المندس في كيان الانسان ، والذى يضع بصماته على كل ما يأتى وما يذر من أقوال وأفعال ، فيقول : « استفت قلبك .. البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن به القلب ، والإثم ما حاك فى النفس ، وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » .

ولقد استطاع الاسلام بهديه القويم ، وتعاليمه الرشيدة ، وتربيته الحكيمة ، أن يخرج من الانسانية مثلا عليا ، تحمل هذا الضمير الحى اليقظ ، الذى يقوم فى كيان الانسان حارسا لا يغفل ابدا ، وان يقدم للحياة نماذج كريمة للانسان العظيم الذى خلقه الله فى أحسن تقويم ، والذى استأهل أن تسجد الملائكة لمولده ، وأن يكون خليفة الله فى الارض .. !!

اتريد لهذا شاهدا ينطق بالحق الذى تعنو له الجباه ، وتخضع لجلاله الأعناق .. ؟

إذن ، فإليك شاهدين ، لا شاهدا واحدا ..

أولهما يحكي قصة رجل ، والآخر يصور موقف امرأة .. !

أما الرجل ، فهو (ماعز بن مالك) عربي بدوي ، خرج من بطن الصحراء ، والتقى بدين الله ، وعاش تحت سماء النبوة ، واستضاء بأنوار آيات الله ، وهدي رسول الله ، فكان (ماعز) هذا المثل المضروب للناس في مقام التسامي والعظمة .. !

ولقد كان من (ماعز) ضعف أمام شهوة من شـــــهوات النفس الأمارة بالسوء ، فوقع في هذا الإثم الغليظ ، وهو (الزنا) ..

وكان من الممكن أن ينفرد (ماعز) بجريمته تلك ، ويرجع الى الله تائبا ، حيث لم يره أحد على تلك الفاحشة ، ولكنه أبى إلا أن ينتقم من نفسه ، وأن يوردها هذا المورد المهلك ، حتى يضمن بهذا القصاص محو هذا المنكر .. وهنا فزع (ماعز) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : « يا رسول الله .. طهرني ! » .

فقال له الرسول الرحيم : « ويحك .. ارجع فاستغفر الله وتب إليه » .

فرجع غير بعيد ، ثم عاد فقال : « يا رسول الله طهرني ! » .

فقال الرسول الكريم : « ارجع واستغفر الله ، وتب إليه » .

ثم رجع ، وعاد ليقول : « يا رسول الله طهرني ! » .

ويجيبه الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « ارجع واستغفر الله وتب إليه » ..

وعاد للمرة الرابعة ليقول : « يا رسول الله طهرني ! » .

وهنا يقول له الرسول الكريم : « ففيم أطهرك ؟ » .. فيقول : من الزنا !

فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « أزنيت ؟ » ويجيب : أن نعم .

فقال الرسول الرحيم : أبه جنون ؟ فيقول أصحابه : ليس بمجنون ..

ويقول صلى الله عليه وسلم : أشرب خمرا ؟ فقام رجل فشمه ، فلم يجد ريح خمر !

وهنا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بماعز ، فرجم ..

فكان الناس في ماعز يومئذ فرقتين : فقائل يقول : لقد هلك ماعز .. لقد أحاطت به خطيئته ، وقائل يقول : ما توبة أفضل من توبة ماعز .. إنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده ثم قال : اقتلني بالحجارة !!

ولبثوا في هذا الخلاف من أمر (ماعز) يومين أو ثلاثة ، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس ، فسلم ثم جلس ، فقال : « اســـتغفروا لماعز بن مالك » فقالوا : « غفر الله لماعز بن مالك !! » .

هذا ماعز بن مالك ، الرجل العربي ، البدوي ، وذلك موقفه من حساب النفس ، وسلطان الضمير !!

أما المرأة ، فهي عربية بدوية أيضا ، معاصرة لماعز بن مالك ، وقد فعلت مثل فعلته ، ووقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل موقفه ..

إنها امرأة من (غامد) وغامد بطن من بطون (الأزد) وهي قبيلة من قبائل العرب المعروفة .. جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : « يا رسول الله .. إني زنيت فطهرني » .. فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فلما كان الغد جاءت فقالت : « يا رسول الله ، لِمَ تردني ؟ لعلك أن تردني كما رددتماعزا ؟ فوالله إني لحبلى » .. فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « فاذهبي حتى تلدي ! » فلما ولدت جاءت النبي الكريم ، وبين يديها وليدها ، ثم قالت : « هذا قد ولدته ، فطهرني !! » فقال صلوات الله

وســلامه عليه : « اذهبى فأرضــعيه حتى تفطميه » فلما فطمته ، جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعها الصبى فى يده كسرة ، ثم قالت : « هذا يا نبى الله قد فطمته ، وقد اكل الطعام فطهرنى !! » .

فدفع النبى صلى الله عليه وسلم بالصبى الى رجل من المسلمين ليكفله ، ثم امر بها فرجمت .. واقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى به رأسها ، فانتضح الدم على وجهه ، فسبها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مهلا يا خالد ، لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من اهل المدينة لوسعتهم » ، ثم أمر بهــا فصلى عليها ، ودفنت ..

إنها عظمة إنسانية تقف دونها كل عظمة عرفها الناس ..

وإنها لشهادة مشرقة للاسلام ، يبيض لها وجه كل مسلم ، ويستروح من انسامها العطرة ريح الجلال والعظمة فى هذا الدين الجليل العظيم ..

لا تستطيع الانسانية فى ماضيها او حاضرها ، أو مســــتقبلها أن تقدم للتاريخ امراة أخرى تقف الى جوار هذه المراة ، التى تقف هذا الموقف العظيم الفريد فى حســـاب ضميرها هذا الحساب الذى لم يتــأثر بفعل الزمن ، ولا بعواطف الأمومة وحنانها ، ولا بحب النفس والحرص على الحياة .. فلقد مضى على فعلة هذه المراة نحو ثلاث سنوات ، يتحرك وليدها فى احشـــائها ، ثم تحمله بين يديها ، وترضعه من ثديها ، ومع هذا فإن جرح الجريمة لم يلتئم ، ووخز الضــمير لم يهدأ ، وإصرارها على التطهر من ذنبهــا يزداد مع الأيام مضاء وقوة .. !

(٧)

ونعود بعد هذا لننظر فى موقف الشريعة الاسلامية من جريمة (الزنا) والعقوبة التى رصدتها لمن يأتون هذا المنكر الغليظ ..

والاسلام مع حرصه على تربية الضمير ، وخلق الوازع القوى فى كيان الانسان ، لم يغفل عن أن يقيم الى جانب هذا الوازع الذاتى ، وازعا يأتى من خارج الذات ، وهو وازع السلطان ، بحيث إذا غفل وازع الضمير ، قام مقامه وازع السلطان ، وبهذا تكمل الرقابة على الانسان وتقفل الدائرة التى يمكن أن ينفذ منها الى البغى والعدوان .. يقول عثمان بن عفان رضى الله عنه : « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » . ذلك أن سلطان السلطان قائم بين أعين الناس ، ومن وقع ليده لم يفلت من عقابه .. أما سلطان الضمير ، فهو سلطة غيبية ، لا يراه إلا الذين يؤمنون بالغيب ، ويراقبون الله ، ويخشــون بأسه .. وهم فى الناس قليل من كثير .. فكان لا بد من ســلطان مادى يقوم على الناس جميعا ..

وفى جريمة الزنا ، فرق الاسلام ــ كما قلنا ــ بين المحصنين ، وغير المحصنين ، لما بين الفريقين من اختلاف فى الحاجة ، وقوة الدافع ..

فالمحصن ــ وهو المتزوج ــ قد جعل الاسلام عقوبته الرجم ، ســواء فى هذا الرجل والمرأة لأن الزواج من شأنه أن يكسر حدة الشهوة المتسلطة على الانسان ، فإقدام المحصن على الزنا ليس مثل إقدام غير المحصن الذى تتسلط عليه شهوة قاهرة ، إن قدر على مغالبتها فالمحصن أولى منه بالتغلب عليها .. ومن هنا كانت عقوبة غير المحصن الجلد مائة جلدة ، على حين كان حد المحصن الرجم ..

ومن جهة اخرى ، فإن المحصن عادة يكون قد بلغ مبلغ الرجال ، وسكن الى اسرة تضم زوجه وابناءه ، الأمر الذى يدعوه الى أن يجنب نفسه الخزى والفضيحة بين أهله وابنائه ، فلا يقدم على هذه الفاحشة .. ولهذا لم تثبت جريمة الزنا على المحصن او المحصنة إلا بإقرارهما ، لا بشهادة الشهود عليهما ، كما كان الشأن فى (ماعز) وفى المرأة الغامدية .

وهنا تتضح لنا حكمة نص القرآن على (الجلد) وهو العقوبة المفروضة على غير المحصنين ، إذ كان غير المحصنين هم الكثرة الواقعة تحت حكم الزنا ، على تلك الصورة المكشوفة المفضوحة التى توجب الحد ، وإذ هم أدنى الى مواقعة هذا الإثم على صورته تلك ، من المحصنين الذين يكاد الاسلام لا يفترض لهم وجودا ، لأنهم إذا وجدوا على تلك الصورة التى توجب الحد — وهو الرجم — كانوا من الندرة النادرة التى لا يتوجه إليها حكم عام ، ومن هنا تولت السنة المطهرة بيان حكم المحصنين ..

كذلك تتضح حكمة هذا التقدير الذى قدره الاسلام لعقوبة هذا الجرم فى مجاليه معا — الاحصان وغير الاحصان — وهو تقدير عادل رحيم ، لا تخف موازينه أبدا فى أى مجتمع إنسانى يحترم وجوده ، ويكرم إنسانيته ، ويرعى حرماتها ، ويحتفظ بالقدر الانسانى من حيائه ومروءته ..

والجلد مضافا إليه الفضح على الملأ ، هو عقوبة غير المحصن والمحصنة .. وهذا الجلد ، غير منكور ما فيه من استخفاف بإنسانية الانسان ، وامتهان لكرامته ، وإسقاط لمروءته ..

ونعم ، أن الاسلام يأخذ هذا (الانسان) بكل هذا التجريم ، والتجريح ، والامتهان ، فى مقابل جنايته التى جناها على المجتمع ، الذى لم يرع له حرمة ، ولم يفترض له وجودا ، فجاء على أعين الناس يفعل هذا المنكر ، دون حياء أو خجل .. !!

والا فليعلم أولئك الذين يتباكون على الانسانية التى أهدرها الاسلام ، وساقها مساق الحيوان بالسياط — ان الاسلام لم يفعل هذا إلا بأناس تخلوا عن آدميتهم ، ونزلوا الى الدرك الذى لم ينزل إليه كثير من الحيوانات التى لا يتصل ذكورها بإناثها إلا فى تستر وخفاء .. !!

والا فليعلم هؤلاء الذين يتهمون الاسلام بالقسوة والوحشية ، أن الشريعة الاسلامية لم تنزل هذه العقوبة بأحد إلا بعد أن تستنفد كل وسيلة لدرئها .. وكان من تدبير الشريعة فى هذا :

اولا : أنها لم تحاول أن تكشف ستر من ستروا أنفسهم على منكر ، إذ جعلت حسابهم فى هذا على الله سبحانه وتعالى ، وفى الحديث الشريف : « من رأى عورة فسترها ، كان كمن أحيا موءودة من قبرها » .

وثانيا : أنها جعلت إثبات هذه الجريمة لا يتم إلا بشهادة أربعة شهود ، يشهدون بأنهم رأوا من الرجل والمرأة ، ما يكون بين الزوج وزوجه من اتصال مباشر ، الأمر الذى لا يكاد يراه أحد .. !

وثالثا : أن الشريعة الاسلامية تقرر درء الحدود بالشبهات ، بمعنى أن أى شك فى شهادة الشهود ، يفسر لصالح المتهم ، فيسقط بذلك الحد .. وفى الحديث : « ادرءوا الحدود بالشبهات » .

ورابعا : فرضت الشريعة عقوبة الجلد ثمانين جلدة على من قذف محصنة ، ثم لم يأت بأربعة يشهدون بأنهم رأوا منها ومن المقذوف بها ما يكون بين الزوج وزوجه ، فقال تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء

فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاســـقون »
(٤ : النور) .

وخامسا : رغبت الشريعة الاسلامية فى التستر على عورات المسلمين ، وإمساك الألسنة عن القول فيما يراه الرائى من منكرات أتوها فى ستر وخفاء ، وتوعد الله تعالى أولئك الذين يحبون إشاعة الفاحشة ، وفضح الناس بها ، فقال سبحانه : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم ، وأنتم لا تعلمون » (١٩ : النور) وفى الحديث : « لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من يتبع عوراتهم يتتبع الله عورته ، ومن يتتبع الله عورته يفضحه » .

ثم أبعد هذا يتخرص متخرص فيقول : إن الاسلام يظلم الانسان ، ويهدر آدميته ، حين يأخذ أولئك الذين يأتون الفاحشة على أعين بما يأخذهم به من جلد بالسياط ، وفضح بين الملأ من الناس .. ؟

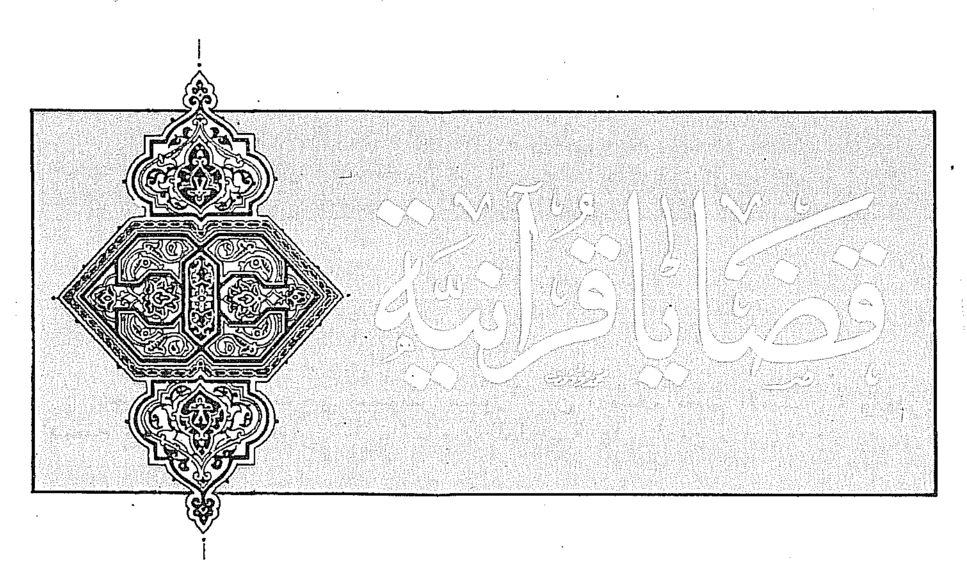
أفلا يسأل هؤلاء المتخرصون أنفسهم ، ماذا يبقى للانســـان من آدميته وكرامته ، بل ووجوده ، إذا تركت هذه الفاحشة يعالن بها بعض الآدميين فى غير اســـتحياء ، ثم لا يضرب على أيديهم أحد ، ولا يسوء وجوههم ســـلطان سماوى أو وضعى .. ؟

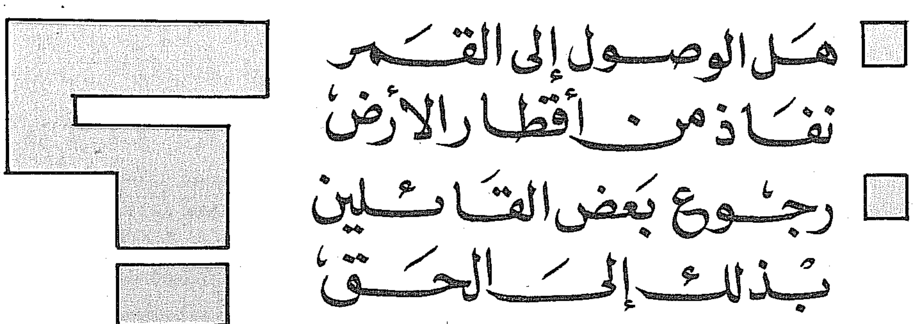
أما رجم المحصن ، فهو امتداد بالحد المفروض على غير المحصـــنين الى غايتـــه ، بمعنى أن حد الزنا العلنى الذى يأتيـــه من يأتونه جهرة ، عراة ، لا يسترهم عن أعين الناس شىء ، كان مفروضا على المجتمع أن يكون رجما بالحجارة حتى الموت ، وحتى يقام من هذه الحجارة ساتر يستر هذه الفاحشة وأهلها ، ويكون عليهم قبرا ، سواء فى هذا المحصنون ، وغير المحصـــنين ، ولكن رحمة الله تعالى فرقت بين المحصنين وغير المحصنين ، فجعلت على هؤلاء الرجم ، وعلى أولئك الجلد .. !!

إن الحد الذى فرضه الاسلام على (الزنا) العلنى ، وعلى تلك الصورة التى يوجب فيها إقامة الحد ، هو فى الواقع دون ما يقضى به ناموس المجتمع الانسانى السليم ، الذى يعرف كرامة الانسان ، ويحترم مشاعره .. إن أى مجتمع إنسانى سليم ، لا يقبل مثل هذا العدوان الصـــارخ على حرماته ، ولا يستسلم لهذا التحدى السافر المجنون لأعرافه ومواضعاته ، دون أن ينتقم لكرامته ، ويثأر لحرماته ، ويلبس ثوب الذل والهوان والضـــياع من أراد أن يلبســه الذل والهوان والضياع .. !

وهكذا يلتقى الاسلام على طريق سواء محفوف بالعدل والرحمة والاحسان، مع منازع الانسانية السليمة الكريمة ، ومع مواضعات المجتمع الانسانى الكريم السليم ، ليشارك فى حماية المجتمع الانسانى من هذا الوباء الوبيل ، الذى إن تمكن من جماعة ، أفسد نظامها ، وأتى على بنيانها من القواعد .

أما موقف الاسلام من جرائم القتل والسرقة ، وشرب الخمر ، فبيانه الى حديث تال إن شاء الله ..





هل الوصول إلى القمر نفاذ من أقطار الأرض
رجوع بعض القائلين بذلك إلى الحق

للأستاذ احمد محمد جمال

فى أول رمضان ١٣٩١ هـ دعيت الى القاء محاضرة بمناسبة أسبوع القرآن الذى أحيته مديرية التعليم بمكة المكرمة فلبيت الدعوة وألقيت محاضرة موضوعها (قضـــايا قرآنية) تناولت فيها بعض ما يثار حول آيات من القرآن وصلتها بالنظريات العلمية الحديثة ..

منها قضية الوصول الى القمر ومحاولة بعض المفكرين المسلمين تطبيق ما جاء في سورة الرحمن من قوله تعالي ((يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان)) ..

قلت فى تلك المحاضرة ..

تتردد منذ أربع سنوات حتى الآن على الألسنة فى الاذاعة والصحافة والتلفاز قضية الوصول الى القمر مرتبطة بآية من سورة الرحمن يحملها المتحدثون ما لا تحمل من معنى ويقولونها مالا تقل من رأى . يقولون : إن الآيــة القــرآنية (يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) تبدو فيها إشارة صريحة الى امكانية نفاذ الانسان من أقطار الارض وليس الى القمر القريب منا والذى هو كوكب تابع لكوكب الارض فحسب ، بل النفاذ الى كواكب أخرى .

ولنقرأ الآية موضوع البحث . موصولة بما قبلها من آيات وبما بعدها كذلك

حتى نتبين أن القائلين بعلاقتها بالوصول الى القمر قد ابعدوا وأغربوا .

يقول عز وجل ((كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن . فبأى آء ربكما تكذبان . سنفرغ لكم أيها الثقلان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران . فبأى آلاء ربكما تكذبان)) إن القرآن هنا فى هذا المقطع من السورة يتحدث الى الجن والانس ..

أولا — عن انفراد الله تبارك وتعالى بالبقاء والخلود وان الفناء مصير كل من على الأرض من إنسان وجان وحيوان وجماد ..

ثانيا — إن الله عز وجل باعتباره الخالق الرازق والمحى المميت والمعطى المانع والمعز المذل — يسأله جميع خلقه فى السموات والأرض قضاء حاجاتهم واستجابة مسائلهم ... الفقراء منهم يرجون غنى ، والمرضى يأملون شفاء ، والعقماء يطلبون ولدا ، والفارغون ينتظرون عملا ، والمظلومون يلتمسون إنصافا، فهو تبارك وتعالى من أجل دينونة خلقه لسلطانه وقيامه على تدبير شئونهم كل يوم هو فى شأن جديد من رفع قوم ووضع آخرين وشفاء مرضى وقبض موتى واعزاز أذلاء ونصر أولياء وهزيمة أعداء .

وكما قلنا من قبل — إن القرآن يفسر بعضه بعضا فهذه الآية (كل يوم هو فى شأن) تفسرها وتؤكدها آية أخرى من سورة آل عمران هى قوله عز وجل (وتلك الأيام نداولها بين الناس ..) ..

ثالثا — بعد تقرير القرآن فى الآيتين السابقتين انفراد الخالق بالبقاء ، وانفراده ايضا بتصريف شؤون الخلق يقرر حقيقة ثالثة وهى أنه عز وجل سيتفرغ يوم القيامة لحسابهم على ما قدموا من خير أو شر . (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا)) ..

رابعا — بعد هذه الحقائق الكونية الكبرى الثلاث يربط القرآن بها حقيقة رابعة تقتضيها تلك الحقائق وتستلزمها ولا يجوز ان تنفصل عنها . هذه الحقيقة الرابعة هى أن الله عز وجل الذى انفرد بالبقاء وكل خلقه الى الفناء وانفرد بتصريف أمورهم وكلهم يسأله ويرجوه ، والذى سيفرغ يوم القيامة لمحاسبتهم ومجازاتهم — هو أيضا المهيمن عليهم المحيط بهم حيث لا يستطيعون افلاتا من سلطانه ولا هربا من قهره ولا نفاذا من أقطار السموات والارض .

أى لا يستطيع الخلق الهروب من اطرافها إلى خارجها والقمر ليس خارجا عن محيط السموات والأرض بل هو كوكب صغير تابع للارض فالوصول اليه ليس نفاذا من اقطار السموات والأرض .

أما قوله عز وجل بعد ذلك (لا تنفذون الا بسلطان)) فهو تقرير لمطلق المشيئة الالهية وقد تكرر مثل ذلك فى آيات كثيرة كقوله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى سورة الاسراء ((ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك)) وكقوله عز وجل ((قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا)) وتقرير القرآن لمطلق المشيئة الالهية موجه لافهام الناس ان الله تبارك وتعالى وان كان هو الذى وضع للكون قوانينه وسننه وخلق فى الانسان طبائعه وغرائزه الا انه سبحانه ليس محكوما ولا مقيدا بهذه القوانين والسنن فانه قادر على خرقها متى شاء وكيف أراد ، وفى القرآن نفسه أمثلة على أن الله عز وجل لا يتقيد بما وضع من سنن وقوانين وطبائع

للأشياء بل هو تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، فقد أبطل سبحانه قانون النار وهو الاحراق فكانت بردا وسلاما على ابراهيم عليه السلام ، وأبطل قانون النسل عن طريق الزوجين فخلق آدم عليه السلام من غير أبوين وخلق حواء من أب بلا أم ، وجاء المسيح عليه السلام من أم بلا أب ..

والحديث النبوى الا يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ((ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته)) يؤكد ما أسلفناه من أن الارادة الالهية مطلقة لا يقيدها شى فمحمد عليه الصلاة والسلام مع كونه خاتم الأنبياء وأفضل الرسل لم يحكم لنفسه بالجنة ولو ان سنة الله قد جرت بأن الأنبياء هم المصطفون الاخيار وانهم فى أعلى عليين .

واذن يكون معنى قوله تعالى (لا تنفذون الا بسلطان) انه لو أراد تبارك وتعالى ان يجعل للجن والأنس مهربا من أقطار السموات والأرض لفعل ، ولكنه قضى الا يجعل لهم ذلك السلطان فقال فى الآية التالية مباشرة (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) وهكذا يتجلى واضحا ان الآية بعيدة كل البعد عن موضوع الوصول الى القمر وغير القمر أيضا .

وقلت فى هامش المحاضرة تحت رقم (١) من هؤلاء القائلين بتطبيق هذه الآية على مسألة الوصول الى القمر الدكتور محمد جمال الدين الفندى فى كتابه ((لماذا أنا مؤمن ؟)) وأوردت تحت رقم (٢) بيتا لأبى العلاء المعرى يؤكد المعنى العربى الصريح للآية ومفهومه التحدى الالهى للجن والانس بالهروب من سلطان الله عز وجل وهو قوله وهل يأبق الانسان من ملك ربه فيخرج من أرض له وسماء ..

والباعث على ذكر هذه القضية هنا واستلالها من بين القضايا الأخرى فى محاضرتى هو انى قرأت فى مجلة الوعى الاسلامى (عدد ذى الحجة ١٣٩٢ مقالا للاستاذ الدكتور محمد جمال الدين الفندى يعود فيه الى الحق ويعترف بخطئه وخطأ القائلين ان آية الرحمن تعنى قدرة البشر على الصعود الى القمر وأنها من نبوءات القرآن بتقدم العلم وتفوق العلماء .

وهذه هى كلمة الدكتور الفندى بنصها : —

(لا يظن كثير من الناس خطأ وقد كنت منهم أن قول الله تعالى فى سورة الرحمن الآيات (٣٣ — ٣٥) ((يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأىآلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران)) من دلائل انطلاق الانسان الى الفضاء ولكن الحقيقة عندما نفهم معنى أقطار تماما نجد أن المعنى إشارة واضحة للتعجيز كما هو ظاهر الآية (٣٥) اما النفاذ من أقطار الارض فما من شك أن معناه اختراق الكرة الارضية عبر لبها المستعر والخروج من الجهة المقابلة ، وما من شك أن مجرد اختراق القشرة اليابسة للأرض معناه انطلاق مواد الباطن على هيئة بركان مدمر أما اختراق أقطار السموات فبالمثل معناه عبور الشموس والنجوم وسائر الوان الغبار الكونى وأحزمة الأشعة الكونية ومجاريها وهى أشد احراقا وفتكا من براكين الارض ، أما الوصول الى القمر أو المريخ أو الزهرة فليس معناه النفاذ من أقطار السموات بحال من الاحوال وقد فهمنا امتداد الكون واتساع السموات وأن أقطارها تربو وتزيد على عدة آلاف من الملايين والسنين الضوئية) وهكذا يرجع الدكتور الفندى عن رأيه الأول ، ويؤكد جزاه الله خيرا استحالته ببراهين علمية تفسر قوله تعالى ((يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران)) والحمد لله أولا وأخيرا .



إننا معشر المسلمين نعيش اليوم فى خطر داهم ، فإن الغرب يحاربنا حربا صليبية لا هوادة فيها ، ويعتبر قتالنا جهادا مقدسا بسبب ما غرسه المبشرون فى سكانه من عداوة لنا منذ نشأتهم ، فهم يعتبروننا ــ ظلما وافتراء ــ أعداء المسيح ، وأعداء الانسانية ، ويحسبون تشريعنا تشريعا همجيا ، ويصفون رسولنا محمداً ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بأنه من سفاكى الدماء ، ومحبى الشهوات ، والكذب على الله تعالى ..

كل ذلك ليحجب هؤلاء المبشرون نور الاسلام عن البشرية ، ويبقوا متمتعين بامتيازاتهم وسلطانهم .

لنستمع الآن الى ما يقوله أحد المتعصبين من الغربيين ، وما يذيعه على قومه ، وهو باحث مستشرق فرنسى يدعى (كيمون) فقد ذكر فى كتابه : (باتولوجيا الإسلام) :

للاستاذ محمود مهدى استانبولى

« ان الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هو مرض وشلل عام ، وجنون ذهولى يبعث الانسان على الخمول والكسل ، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء ويدمن على معاقرة الخمور ، ويجمع بين القبائح ، وما قبر محمد إلا عمود كهربائى يبعث على الجنون فى رؤوس المسلمين ويلجئهم الى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلى وتكرر لفظة (الله)(١) الى ما لا نهاية والتعود على عادات تنقلب الى طباع أصيلة ككراهية لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور فى اللذات »(٢) .

ويرى هذا المستشرق الخبيث وأمثاله كثيرون ، المسلمين وحوشا ضارية ويعتقد أن من الواجب إبادة خمسهم والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة وتدمير الكعبة ، ووضع ضريح محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — فى متحف اللوفر(٣) .

يا للهول .. فكيف يهنأ لنا حال ، ويهدأ لنا بال ؟ وهذا ما يذاع عن الاسلام فى ديار الغرب ، ونحن ساهون لاهون ، ثم لا تلبث أن تنصب علينا حمم وقذائف الغربيين انتقاما وتشفيا منا نتيجة هذه الدعايات والافتراءات التى لا نكلف أنفسنا الرد عليها بصورة صحيحة وعملية منتجة تصل الى جميع الأسماع والأنظار ..

وقد يعمد هؤلاء الغربيون قبل محاربتنا ماديا ، الى شن الحملات الثقافية والغزو الفكرى بين أبنائنا وبناتنا لتسميم أفكارهم عن الاسلام عن طريق مدارسهم التبشيرية والعلمانية وبوساطة البعثات والسينما والكتب والمجلات وغيرها ليكونوا حربا علينا وعلى عقيدتنا من الداخل .

إن الاسلام — والمسلمين — فى حرب إذا من الخارج والداخل ضد قوى هائلة وإذا كنا باقين على شىء من الحياة ، فلأن هؤلاء المستعمرين مختلفون فيما بينهم على اقتسام الغنيمة ، ولو اتفقوا — كما كانت الحال عقب الحرب العالمية الأولى — لعمدوا الى استعمارنا وامتصاص دمائنا ، وبالتالى الى إفنائنا

واستئصالنا ! وذلك لأن نفوسهم تغلي حقـدا على الاسلام والمسلمين بسبب التربية الإجرامية والتوجيهات الهدامة والاشـاعات الماكرة التى يتلقونها فى بيوتهم ومدارسهم ومعابدهم ، وقد رأينا مثالا من هذا الحقد فى كلام (كيمون) وقد جاء فى إحدى الأناشيد الإيطالية التى تعلم للطلبة فى المدارس :

« إنى ذاهب يا أمى الى الجهاد لمحو القرآن ، وإذا ما مت ، فلا تحزنى على ، وإن سئلت عن سبب عدم حدادك ، فقولى — وأنت فرحة — لقد استشهد فى سبيل القضاء على الاسلام » .

وقد أعلن قادة فرنسا فى مناسـبات كثيرة أن الحرب فى الجزائر بين الصليب والهلال بقصد الانتقام من المسلمين ..

والمستعمرون غالبا يخفون نواياهم الدينية — أحيانا — تحت أسـتار اقتصادية وسياسية وغيرها من الحيل ، ولكن غايتهم الحقيقيـة هى القضاء على الاسلام والمسلمين ..

وقسما بالله لو أن عرب فلسطين كانوا نصارى لما كان لهم هذا المصير وهذه شعوب البلقان النصرانية ، فإن أول ما فعلته حكومات أوروبا لما قويت ، المسارعة الى تحريرها من سلطان الدولة العثمانية المسلمة ..

كل ذلك يفعله الغربيون على الرغم من حسن معاملة المسلمين لهم فى عهود مجدهم وقوتهم ، فمدوا إليهم يد المعونة وانتذوهم من ظلمـات الجهل باعتراف علمائهم ومؤرخيهم المنصفين مما لا مجال لسرده هنا .

والآن ، ما العمل ؟ وكيف النجاة من أخطار الغربيين وغزوهم .. ؟ ريثما يتم لنا الحصول على قوة كقوتهم واستعداد كاستعدادهم .. ؟

السبيل الى ذلك التبشير بالاسـلام فى البلدان الغربية لإطلاع الغربيين على عظمة الاسلام وإنسانيته وسماحته وسـمو مبادئه ، ومبلغ حاجتهم إليه وما خسروه بسبب محاربتهم له ، وأنه صديق المسيح عليه الصلاة والسلام ، ومؤمن بنبوته ، وقد جاء هذا الدين رحمة للعالمين فاستطاع النهوض بالعرب خلال مدة قصيرة من الزمن ، فانطلقوا من باديتهم وفتحوا الدنيـا المعروفة وقتئذ وملأوها عدلا ورحمة بعد ما ملئت جورا وهمجية .. وهو لا يزال — والى الأبد — يحمل بين طياته عناصر القوة والسعادة والمعرفة ..

وينبغى أن يكون هذا التبشير على مستوى عال وبأرقى وسائل الاعلام ، ونذكر فيما يلى نماذج منها لبيان مزايا الاسلام وحاجة الغرب اليه ، كل ذلك بمختلف اللغات الأجنبية :

١ — استئجار بعض الصحف والمجلات الغربية ..
٢ — الاتصال بالعلماء والأدباء الغربيين واطلاعهم على الاسلام .
٣ — صنع الأفلام السينمائية وعرضها فى الغرب .
٤ — المسارح والفرق التمثيلية .
٥ — تأليف الكتب والنشرات المبسطة عن الاسلام .
٦ — إنشاء مجلات إسلامية وخاصة للأطفال .
٧ — التعاون مع الغربيين الذين أسلموا لوضع المخططات لنشر الاسلام .
٨ — تقوية الإذاعات العربية لإيصال صوت الاسلام الى أسماع جميع الغربيين بأساليب حديثة مشوقة .

ويحسن الى جانب ما سبق ، إعلام الغربيين بما جاء فى كتبهم الدينية من تحريف وتناقض ومعوقات عن التقدم والرقى .

كما يحسن أيضا إعلام هؤلاء الغربيين عما جاء فى هذه الكتب من توحيد الإله ونبوة المسيح ، وبعثة محمد عليهما الصلاة والسلام ..

وينبغى أن نشير بمناسبة الكلام عن التبشير الى أن الظروف الحاضرة كلها مواتية له ، فإن الغرب اليوم يعيش فى قلق مخيف وفراغ سحيق بسبب إفلاس وعجز الديانة المسيحية ومثلها جميع النظم والقيم التى وضعها الغربيون لأنفسهم .. فكانت سبب اضطرابهم .. ووقوعهم فريسة للمادة التى كرسوا حياتهم لها ، فكان مثلهم مثل عبدة الأصنام الذين صنعوا معبودهم ، فما لبث أن أذلهم وأعمى أبصارهم ..

هذا مثل الحياة المادية التى يعيشها الغربيون ، فغدوا أسرى لها ، وأفنوا أعمارهم من أجل الحصول عليها دون أن تحقق لهم الاستقرار والسعادة والطمأنينة بل كانت سبب حروب طاحنة بينهم .

واليوم شعروا بالفراغ نتيجة البعد عن القيم الروحية ، ونادى كبار علمائهم ومفكريهم بقرب انهيار حضارتهم بسبب ذلك ، وسموا هذا العصر بعصر القلق على الرغم من توفر جميع الوسائل المادية ..

ففى هذه الأزمة الروحية إذا تقدم المسلمون بالاسلام الصحيح من منبعيه الفياضين : الكتاب والسنة ، لا من الاختلافات المذهبية المضطربة ، وبالأساليب الحديثة النفسانية (السيكولوجية) وأثبتوا للغربيين استعدادهم هذا الدين وقدرته على حل جميع مشكلاتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كما اعترف بذلك كثير من علمائهم المنصفين .

أجل إذا تقدم المسلمون بالاسلام الى الغربيين بالصورة السابقة ، فإنهم لا شك سيقبلون عليه إقبال الظمآن على الماء العذب ، وسيدخلون فيه أفواجا ..

وبذلك نكون قد أنقذناهم من خطر داهم ينتظرهم من جراء فقدان المثل العليا وإستعدادهم الجهنمى الذى يهدد البشرية كلها بالفناء .

كما نكون قد أنقذنا أنفسنا وأبناءنا الذين يسيرون وراءهم ويدورون بفلكهم ..

وكذلك نكون قد أنقذنا الحضارة من شر محدق ، ووجهنا هؤلاء الغربيين العباقرة وجهة صالحة نحو الحق والخير والسلام ، وفتحنا للبشرية صفحة جديدة تحقق لها السعادة والرقى الصحيح ..

لقد بشر الله سبحانه فى القرآن العظيم بهذا اللقاء ، وبإسلام العالم أجمع فى قوله :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

وقوله : **((هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون))** .

كما بشر رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بهذا المستقبل العظيم للإسلام بقوله : « ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين ، بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزا يعز

الله به الاسلام ، وذلا يذل به الكفر » رواه أحمد والطبرانى والحافظ المقدسى وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبى .

وقد أعلن كثير من منصفى علماء الغرب وفلاسـفته عن قرب اليوم الذى يدخل فيه الغربيون الاسلام ، فقال الفيلسوف الإنكليزى (برنارد شو) :

« إن محمداً يجب أن يدعى منقذ الانسانية ، ولو أن رجلا مثله تولى قيادة العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة اللذين هو فى أشد الحاجة إليهما ، وإن الاسلام هو الدين الوحيد الذى يلوح لى أنه حائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع أن يكون جذابا ومقبولا لكل جيل من الناس ، وقد تنبأت أنه سيكون مقبولا لدى أوروبا غدا ، وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم .. وفى الوقت الحاضر كثيرون من أبناء قومى ، ومن أهل أوروبا دخلوا دين محمد ، حتى لنتمكن أن نقول — إن تحول الغرب الى الاسلام قد بدأ » (٤) .

هذا ، وإذا سـلمنا جدلا أن الغرب فى الوقت الحـاضر لا يدخل فى الاسلام فإننا نكون فى هذا التبشير قد قمنا بواجبنا الدينى ، وأطلعنا الغربيين على ديننا وعرفناهم بمبادئه ، وهم — ولا شك — سيقلعون عن محاربته وعن قتالنا ..

ومن الغريب — والغريب جدا — أن يهمل المسلمون التبشير بدينهم وقد خص الله سبحانه فى القرآن سهما معينا ومستقلا من أموال الزكاة للتبشير ، وهو سهم (المؤلفة قلوبهم) ولو استخدمه المسـلمون بوعى لانتشر الاسـلام فى كل مكان ..

وقد فهم الخليفة عمر بن الخطاب — رضى الله تعالى عنه — من هذا السهم قسما معينا من الناس ، فلما قوى الاسلام إمتنع عن إعطائه لهم ، وهو أوسع من ذلك قال الإمام ابن كثير فى تفسيره :

« وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام ، منهم من يعطى ليسلم كما أعطى النبى صلى الله عليه وآله وسلم صفوان بن أمية من غنائم حنين ، وقد كان شهدها مشركا قال : فلم يزل يعطينى حتى صار أحب الناس إلى بعد أن كان أبغض الناس إلى" . كما قال الإمام أحمد : حدثنا زكريا بن عدى ، حدثنا ابن المبارك عن يونس عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال — وذكر الحديث السابق رواه مسلم والترمذى من حديث سعيد بن يونس عن الزهرى . ومنهم من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضا جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم مائة من الإبل وقال : « إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه ، خشية أن يكبه الله على وجهه فى نار جهنم » . وفى الصحيحين عن أبى سعيد أن عليا بعث الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بذهبية فى تربتها من اليمن فقسمها بين أربعة نفر : الأقرع بن حابس ، وعيينة بن بدر ، وعلقمة بن علاثة ، وزيد الخير وقال : « أتألفهم » .

ومنهم من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائه ، ومنهم من يعطى ليجبى الصدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البـلاد ، ومحل تفصيل ذلك فى كتب الفروع والله أعلم .

وهل تعطى المؤلفة على الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ؟

فيه خلاف ، فروى عن عمر وعامر والشعبى وجماعة أنهم لا يعطون بعده ، لأن الله قد أعز الاسلام وأهله ومكن لهم فى البلاد ، واذل لهم رقاب العباد .

وقال آخرون : بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسر هوازن وهذا أمر يحتاج اليه فيصرف اليهم . » ا. هـ.

وجاء فى تفسير الإمام ابن الجوزى قوله تعالى : « والمؤلفة قلوبهم » وهم قوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على الاسلام بما يعطيهم ، وكانوا ذوى شرف ، وهم صنفان : مسلمون وكافرون ، فأما المسلمون ، فصنفان ، صنف كانت نياتهم فى الاسلام ضعيفة ، فتألفهم تقوية لنياتهم كعيينة بن الحصن ، والأقرع ، وصنف كانت نياتهم حسنة ، فأعطوا تألفا لعشائرهم من المشركين ، مثل عدى بن حاتم ، وأما المشركون ، فصنفان ، صنف يقصدون المسلمين بالأذى ، فتألفهم دفعا لأذاهم مثل عامر بن الطفيل ، وصنف كان لهم ميل الى الاسلام ، تألفهم بالعطية ليؤمنوا ، كصفوان بن أميه ، وقد ذكرت عدد المؤلفة قلوبهم فى كتاب (التلقيح) وحكمهم باق عند أحمد فى رواية ، وقال أبو حنيفة ، والشافعى : حكمهم منسوخ .

قال الزهرى : لا أعلم شيئا من نسخ حكم المؤلفة قلوبهم) . أ. هـ.

لنفكر من جديد فى سهم المؤلفة قلوبهم ، ولنصرفه كما خطط له الاسلام مما رأينا خلاصته سابقا ، فإنه كفيل بإحداث إنقلاب عظيم فى صفوف الغربيين ودخولهم فى دين الله أفواجا ، أو نجاتنا من شرهم على أقل تقدير ، والحفاظ على البقية الباقية من ثروة المسلمين من الضياع وابتلاع المستعمرين لها نتيجة إهمالنا التبشير بديننا ..

وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم كما حرص القرآن العظيم على التبشير ، فلم تصرفه مشكلاته فى المدينة المنورة بعد هجرته إليها ، وما لاقاه من مؤامرات المشركين من الخارج ، ومؤامرات اليهود والمنافقين من الداخل عن هذا التبشير ، فبعث الكتب والرسل الى الملوك والأمراء والاقيال يبلغهم دعوة الاسلام ويحثهم على الدخول فيه مع أقوامهم الذين يحملهم تبعتهم .

وقد كان هذا الرسول العظيم يعرض نفسه على القبائل قبل الهجرة فى موسم الحج ويشرح لها مبادىء الاسلام بمختلف الوسائل متحملا فى سبيل ذلك أنواع الاضطهاد والعنت ، حتى دخل الكثيرون فى الاسلام .

وقد رأيت من الطرافة — ونحن بعرض الدعوة للاسلام — أن أتحدث عن الكتب التى أرسلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما رافقها من أحداث وتطورات ، لعلها تثير فينا الحماسة وتبعثنا على التضحية فنسارع الى تبليغ دين الله تعالى الى الأمم جمعاء حتى نكون شهداء حقا عليهم يوم القيامة بأننا بلغناهم وإلا كانوا معذورين بعدم إسلامهم ، وكنا مسؤولين عن تقصيرنا ، وعما نلاقى منهم من إعتداء ..

وأول ما فعله هذا الرسول أن هيأ رسله وأعدهم لحمل هذه الكتب وقطع المسافات الشاسعة لتسليمها الى اصحابها وتحمل كل ما يتصور أن يصيبهم بسببها من اضطهاد وقتل ..

خرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم على اصحابه فقال :

« أيها الناس ، إن الله قد بعثنى رحمة للناس كافة فلا تختلفوا على كما إختلف الحواريون على عيسى بن مريم » ..

قال اصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله .. ؟

قال : « دعاهم الى الذى دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مبعثا قريبا ، فرضى وسلم ، واما من مبعثه مبعثا بعيدا ، فكره وجهه وتثاقل » .

ثم ذكر لهم أنه مرسل الى هرقل وكسرى والمقوقس والحارث الغسانى ملك الحيرة والحارث الحميرى ملك اليمن ، والى نجاشى الحبشة يدعوهم الى الإسلام ..

فأجابه اصحابه الى ما أراد ، فصنع له خاتما من فضة نقش عليه « محمد رسول الله » وأرسل الكتب مع رسله ..

ترى كيف كان مصير هذه الكتب وبماذا أجيب عنها .. ؟

روى الطبرى فى الجزء الثالث من تاريخه أنه لما وصل كتاب رسول الله الى هرقل ملك الروم ، وهو بالشام يريد العودة الى القسطنطينه ، جمع الروم وقال لهم ما ملخصه :

يا معشر الروم ، انى عارض عليكم امورا فانظروا فيما قد أردتها ، قالوا : وما هى ؟. قال : تعلمون — والله — أن هذا الرجل لنبى مرسل ، إنا نجده فى كتابنا ، نعرفه بصفته التى وصف لنا ، فهلم فلنتبعه ، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا .؟ فقالوا : نحن نكون تحت يدى العرب ، ونحن أعظم الناس ملكا واكثرهم حـالا وأفضلهم بلدا .. فلما ابوا عليه ، قال : اما والله لترون انكم قد ظفرتم اذا امتنعتم منه فى مدينتكم .. ثم جلس على بغل له ، فانطلق حتى اذا أشرف على الدرب إستقبل أرض الشام ثم قال : السلام عليك أرض سورية تسليم الوداع ، ثم ركض حتى دخل القسطنطينه ..

أما كسرى فارس فإنه ثارت ثائرته ، واشتد غضبه عندما تسلم كتاب الرسول ، وبعث الى عامله على اليمن — باذان — يأمره بأن ينهض لتأديب هذا الرجل وجاء فى إنذاره « إبعث الى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك فليأتيانى به » ..

وارسل باذان رجلين من قبله الى الرسول ، فلما وصلا إليه اخبراه ان كسرى يطلب مقابلته ، فصرفهما الرسول على أن يلتقى بهما فى الغد ..

وحان موعد الرجلين ، فذهبا لمقابلة الرسول صلى الله عليه وسـلم ، فأخبرهما بمصرع كسرى بيد إبنه شيرويه ، كما أخبره الوحى ، فدهشا من هذا الخبر . وقال لهم رسول الله : « أخبرا ملككم ذلك عنى ، وقولا له : إن دينى وسلطانى سيبلغ ما بلغ ملك كسرى .. وقولا له انك إن اسـلمت أعطيتك ما تحت يديك ، وملكتك على قومك من الأبناء » .

ولما وصل الخبر الى باذان وتحقق بعد ذلك من قتل كسرى قال : « إن هذا الرجل لرسول » .. فأسلم وأسلم من كان معه من الفرس ببلاد اليمن .

وأما المقوقس عظيم القبط فى مصر ، فقد إستقبل حامل كتاب الرسول بما يجب من إكرام وبعث معه بهدية : جاريتين وغيرهما ، أما الجاريتان فمارية التى إختارها النبى لنفسه فولدت له إبراهيم من بعد ، وسيرين التى أهداها الى شاعره حسان بن ثابت .

واما ملك الحبشة النجاشى ، فقد ذكر المؤرخون انه لما تسلم كتاب رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم وضعه على عينيه ، ونزل عن سريره وجلس على الارض ، وقال : اشهد ان لا إله إلا الله ، وان محمدا رسول الله ، وحفظ الكتاب عنده ، ثم بعث بكتاب الى رسول الله جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، من النجاشى أصحبة ، سلام عليك يا نبى الله من الله ورحمته وبركاته الذى لا إله إلا هو ، والذى هدانى للإسلام ، أما بعد ، فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه السلام ، فورب السماء والأرض إن عيسى عليه الصلاة والسلام لا يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثته إلينا وقرّبنا ابن عمك وأصحابك ، وأشهد أنك رسول الله صادقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يده لله رب العالمين ..

وقد سر النبى كثيرا لإسلام النجاشى ، ولما بلغه موته صلى عليه صلاة الغائب لعلمه أنه لم يصل عليه أحد فى الحبشة ..

أكتفى بهذا القدر من سرد مبلغ إهتمام الاسلام بالتبشير ، وقد جعله فرضا عينيا على العلماء فقال سبحانه : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير — أى الى الاسلام — ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » آل عمران ١٠٥

وفى الختام أستصرخ ضمائر المسؤولين وأصحاب الثروات فى العالم العربى الاسلامى لإعطاء موضوع التبشير بالاسلام فى ديار الغرب ما يستحقه من اهتمام ، وهو أولى من التبشير به فى أفريقيا وغيرها حيث يلقى هناك مقاومة عنيفة من جيوش المبشرين النصارى بوسائلهم المختلفة القوية .. ولا يوجد كل ذلك فى الغرب نفسه ، وهو مصدر الجريمة ..

أليس مما يبعث على الأسى والحسرة أن نرى دول الغرب القوية تتعاون على حشد كثير من إمكانياتها وثرواتها للتبشير بالنصرانية فى العالم مما أخضع لها كثيرا من الشعوب والجماعات والأفراد بينما نحن ساهمون لاهون عن هذا التبشير ، مما جعلنا نحصد جزاء تفريطنا : إستعمارا واضطهادا وجلاء وإعتداء وغيرها من الشرور لا نزال نعانى ويلاتها الى يومنا هذا .. ؟!

« إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد » ..

---

(١) أنظر كيف تسىء البدع والاوهام الى سمعة الاسلام ، فان الذكر بلفظ « الله ، الله » لم يرد فى الكتاب أو السنة ، وخاصة اذا كان مصحوبا بالرقص كما يحدث ذلك فيما يسمونه بحلقات الذكر ، مما جعل هذا المستشرق يظن أن ذلك من الاسلام وراح يسميه بمظاهر الصرع والذهول العقلى .

(٢) تاريخ الامام محمد عبده ٤٠٩/٢ .

(٣) الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر ٢٢٧/١ .

(٤) من رسالة سماها « نداء العمل » نشرت فى مجلة نور الاسلام التى كان يصدرها الجامع الازهر .



للشيخ محمد الغزالى

ربما شك بعض الناس فى حقيقة الدين الذى يعتنقه ، أو فى جدواه عليه .. !

فإن ساور هذا الخاطر احدا من خلق الله ، فإن العربى آخر امرىء يعرض له هذا الظن ، بل يقرب من المستحيل أن يساوره .. !!

ذلك أن فضل الاسلام على العرب كفضل الضياء والماء على الزرع ..

لا أقول : أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ، بل أقول : أوجدهم من عدم ، وجعل لاسمهم حقيقة ، وأقام بهم دولة وانشأ حضارة .. !

قد تكون بعض العقائد عقاقير مخدرة للنشاط البشرى .. !

لكن الاسلام لما جاء العرب شحذ هممهم ، وأنار عقولهم ، ووحد صفهم ، وطار بهم الى آفاق مادية وأدبية لم يحلم بها آباؤهم ، ولا تخيلها أصدقاؤهم او اعداؤهم .. !!

ومضى العرب فى طريق المجد الذى شقه الاسلام لهم ، فعرفهم العالم وكان من قبل يجهلهم ، وافاءوا على ماضيه القريب ما لا ينكره إلا متعصب كنود .. !

وارتبطت مكانة العرب الذاتية والعالمية بهذا الدين ، فهم يتقهقرون إذا تخلوا عنه ، ويستباح حماهم ! وهم يرتقون ويتقدمون إذا تشبثوا به، وتحترم حقوقهم .. !

على عكس ما عرف فى امم اخرى لم تستطع التحليق إلا بعد ما تخففت من مواريثها الدينية ، كلاً ، أو جزءا .. !!

وقد استطاع مسلمو الجزائر فى هذا العصر أن يستخلصوا حريتهم من براثن عاتية ، وأن يدفعوا ثمن هذا الخلاص مليونا ونصفا من الشهداء !!

وما ينبغى تقريره فى هذا المجال أن الاسلام وحده كان وقود هذا الكفاح القاسى ، الاسلام لا القومية .. !

فلما ظفر الجزائريون باستقلالهم بدءوا يستعيدون عروبتهم التى فقدوها خلال قرن وربع ، وضعت مشروعات لجعل الافراد والجماعات ينطقون بالعربية ويتفاهمون بها ، بعد ما كادت هذه اللغة تبيد أمام زحف الفرنسية وسيادتها فى الشوارع والدواوين .. !!

إن الاسلام بالنسبة الى العروبة ولى نعمتها وصانع حياتها ، وقد اعترف مسيو (جارودى) — وهو شيوعى فرنسى عاش ردحا من الزمن فى جبهة التحرير الجزائرية — قرين الإيمان .

وينصح الأمة كلها بالطاعة والإصلاح ويتهدد عدوها بالطرد والهوان ، ثم يأمرها بالمقاومة ورفض الاستسلام ، وسيكون المستقبل لها إن هى أبقت حبلها موصولا بربها : ((**يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم . إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم . فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم**)) .

الاسلام ولي نعمتنا وصانع حضارتنا
سيبقى الليل حتى يحمل العرب رسالة الاسلام

اعترف بأن الدين وحده هو الذى أوقد شرر هذا الكفاح العزيز الغالى ، وأن الاسلام يستحيل أن يوصف بأنه مخدر للشعوب .. !!

والاسلام لا يجعل من العرب شعبا مختارا يفضل غيره لسلالة معينة أو دم خاص ، كلا كلا ، إن الله اختار لعباده تعاليم راشدة وشرائع عادلة ، ثم وكل الى العرب أن يحملوا هذه التعاليم والشرائع ، ليعملوا بها وليعلموها من شاء ..

والله يأبى كل نعرة عنصرية أو استعلاء قومى ..

إنها مبادىء محددة ، تنطلق الأمة منها ، فتكون بعين الله ، أو تند عنها فيدعها الله لنفسها .. !!

بالوفاء لهذه المبادىء تصعد ، فإن فرطت هوت ..

ولذلك يقول الله للمنهزمين فى أحد : ((ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)) فالعلو

والتدبر فى هذه الآيات الثلاث يعطى فكرة بينة أن تفضيل الأمة هو تفضيل سلوك ، ومنهج ، لا تفضل دم أو لون .

وأن الإيمان الشريف والاستقامة الواضحة أساس العزة المنشودة .. وأنه مهما لاقى المسلمون من صعاب وهزائم فلا يجوز أن يقبلوا سلما مخزية ، ولا أن يعطوا الدنية من أنفسهم .

ولهم أن يركنوا الى الله ، ولن يذل جانبهم ، ما آمنوا به وعملوا له ..

واليقظة العزيزة التى صنعها الاسلام وهو يبنى الأمة يمكن أن نتابعها فى مرحلتين :

الاولى : فى العهد المكى ، يوم كان المسلمون قلة تتوقع الضيم ويتجرأ عليها الأقوياء ! لقد أمر المسلمون إبان هذه المحن أن يثبتوا ويشمخوا بحقهم ، ويتنكروا لكل

هوان ينزل بهم ، ويطلبوا ثأرهم ممن اعتدى عليهم ، فإن عفوا فعن قدرة ملحوظة لا عن ادعاء مرفوض .. !!

انظر كيف وصفت سورة الشورى المكية طلاب الآخرة الذين يؤثرون ما عند الله على هذه الدنيا ، إنهم ((**الذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين**)) .

فطلاب الآخرة ــ كما وصفتهم السورة المكية ــ ليسوا الذين يعيشون فى الدنيا أذنابا مستباحين، أو ضعافا مغموصين أو كما يقول الشاعر يصف قوما تافهين ..

ويقضى الأمر حين تغيب تيم

ولا يستأمرون وهم شهود !!

لا ، لا ، إن هؤلاء المؤمنين بالدار الآخرة يفرضون أنفسهم على هذه الحياة الدنيا ، ويكرهون العدو والصديق على أن يحسب حسابهم ويزن رضاهم وسخطهم ، ويعلم أن نتائج العدوان عليهم أذى محذور وشر مستطير .. !!

لأنهم إذا بغى عليهم ينتصرون ، ويلطمون السيئة بمثلها .. !

وليس هذا بالنسبة الى الحق الادبى للجماعة كلها ، بل هو كذلك بالنسبة الى حق الفرد فى ماله الخاص .

فقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم : أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى .. ؟

قال : لا تعطه مالك .. !
قال : أرأيت إن قاتلنى .. ؟
قال : قاتله .. !
قال : أرأيت إن قتلته .. ؟
قال : هو فى النار .. !
قال : أرأيت إن قتلنى .. ؟
قال : فأنت شهيد .. !

هل هذه الوصايا هى التى تخدّر الأفراد والجماعات .. ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

فإذا تجاوزنا العهد المكى الى العهد المدني نجد توجيها ينبع من هذه الروح الأبية الشامخة .

إن الهوان جريمة ، وقضاء الحياة فى ضعف واستكانة مرشح أول للسقوط فى الدار الآخرة ..

ومن هنا أثبت القرآن الكريم هذا الحوار بين ملائكة الموت وبين الذين عاشوا فى الدنيا سقط متاع ، وأحلاس ذل .. !

((**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا : كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا**)) .

والهجرة المفروضة هنا ، هى التحول من مكان يهدر فيه الإيمان وتضيع معالمه الى مكان يأمن فيه المرء على دينه .

ولكن حيث استقرت دار الاسلام، فلا تحول ، وإنما يبقى المسلمون حيث كانوا ليدافعوا عن ترابهم ذرة ذرة ، ولا يسلموا فى أرض التوحيد لعدو الله وعدوهم ..

والآية تحرم قبول الدنية وإلف الاستضعاف ، وتوجب المقاومة الى آخر رمق .. ومما يؤكد هذا المعنى أن القرآن أحصى الطوائف التى تـَعذَرُ فى هذا التمرد المطلوب على قوى الشر .

ومع استثنائها فإن مصيرها ذكر معلقا على رجاء المغفرة والعفو لا على توكيد ذلك .. !!

((**إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم**)) .

والتعبير بعسى هنا مثير للقلق ،

وهى إشارة مقصودة حتى لا يقعد عن مكافحة المعتدين من يقدر على إلحاق أى اذى بهم مهما قل .

إن المؤمن لن يكون أبدا ثالث الصنفين اللذين عناهما الشاعر فى قوله :

ولا يقيم على ضيم يراد به !
إلا الأذلان، عير الحى ، والوتد ..
هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشق فلا يرثى له أحد !!

المسلم لا يقبل الحياة على أية صورة وبأى ثمن ، إما أن تكون كما يبغى ، وإما رفضها وله عند ربه خير منها واشرف .. !!

ومن صيحات الكرامة والإباء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » !!

وفى حديث آخر « من قتل دون مظلمته فهو شهيد !! » .

هل رأيت استنهاضا للهمم ، واستنفارا للنضال ، واستثارة للذود عن الدماء والأموال والأعراض ، أحر من هذه المبادىء .. ؟؟

أيمكن فى منطق العقل والإنصاف أن يوصف هذا الدين بأنه مخدر للشعوب .. ؟ الا شاهت الوجوه !!

وربما اتصل بهذه التهمة المتهافتة تصور البعض أن الدين رباط مع الماضى ، وأن التطور ينافيه ..

ونتساءل نحن : ما هذا التطور ؟ إن الإلحاد ليس تطورا ! بل هو ترديد لكفر الصغار من جهلة القرون الاولى .

من ألوف السنين وقفت قبيلة عاد من رسولها موقفا كأنما لخصت فيه كل ما يقال فى هذا العصر على ألسنة الشطار من دعاة الإلحاد :

((أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ، هيهات هيهات لما توعدون إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين، إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين)) .

إن التحلل من قيود الدين وفضائله ليس تجديدا ولا ابتكارا ، بل هو خنوع للغرائز الدنيا التى أنامت ألوف الخلعاء والخبثاء من عشرات القرون ، وجعلتهم يحيون وفق شهواتهم وحدها ! فأى ارتقاء فى ذلك المسلك الرخيص .. ؟؟

يا شباب العرب اقدروا التراث النفيس الذى شرف الله به أمتكم ، واقام عليه تاريخكم ..

إن الدين الذى تنتمون اليه رفع مناركم قديما ، وهو وحده القدير على استنقاذكم من ورطات هذه الأيام !!

لا تنخدعوا بمن يزهدكم فى رسالتكم ، فهو يرسم لكم طريق الموت .. !!

إن أمما أخرى لاذت بعقائد أردأ جوهرا واسوأ منهجا ، واستطاعت أن تغالبكم وأن تنال منكم ، فعودوا سراعا الى دينكم وثقوا أنه وحده العاصم من الغرق .

كم يحزننى أن أرى شبابا عربىَّ النسب أعجمى الفكر واللغة والضمير .. !!

لا يستند الى عقيدة ، ولا يعتز بتاريخ ، ولا يستظل براية ، ولا يسير الى غاية خدعوه فقالوا : الجيل الصاعد .. ولو صدقوه لقالوا : الجيل الضائع الهابط ..

أنظر إليه مليا ، ثم أهمس فى حسرة : إنك بهذا الشرود والفراغ تصنع الهزيمة تلو الهزيمة ، وتجر الكارثة بعد الكارثة .. !

متى تعود الى كتاب ربك ، وسنة نبيك .. ؟؟

سيبقى الليل حتى تقع هذه العودة المرتقبة ، ويحمل العرب مرة أخرى رسالة الإسلام .



ان اخطر ما تواجهه المجتمعات الإسلامية فى الوقت الحاضر هو ما يسمى بالغزو الثقافى بأسلحته المتنوعة من كتب وإذاعات وصحف ومجلات وغير ذلك من الأسلحة الأخرى ، ذلك أن الاستعمار فى العصر الحديث قد غير من اساليبه القديمة لما ادركه من فشلها وعدم فعاليتها ومحاربة الشعوب واستماتتها فى الدفاع عن دينها وأوطانها ومقدراتها وتراثها ، حيث أن الأخذ بالقوة وعن طريق العنف والارهاب مما تأباه الطباع وتنفر منه النفوس لا سيما فى الأوقات الحاضرة بعد أن انتشر الوعى بين الناس واتصل الناس بعضهم ببعض وأصبح هناك منظمات وهيئات كثيرة تدافع عن حقوق الشعوب وترفض الاستعمار عن طريق القوة وتطالب بحق تقرير المصير لكل شعب ، وأن لأهل كل قطر حقهم الطبيعى فى سيادتهم على أرضهم واستثمار مواردهم وتسيير دفة الحكم فى أوطانهم حسب ميولهم ورغباتهم وطريقتهم فى الحياة وحسب ما تدين به تلك الشعوب من

معتقدات ومذاهب وأساليب مختلفة للحكم مما اضطر معه الى الخروج عن هذه الأقطار بعد قتال عنيف وصدامات مسلحة وحروب كثيرة دامية .

ولكنه قبل أن يخرج من هذه الأقطار فكر فى عدة وسائل واتخذ كثيرا من المخططات بعد دراسة واعية وتفكير طويل وتصور كامل لأبعاد هذه المخططات ومدى فعاليتها وتأثيرها والطرق التى ينبغى أن تتخذ للوصول الى الغاية التى يريد واهدافه تتلخص فى إيجاد مناهج دراسية على صلة ضعيفة بالدين مبالغة فى الدهاء والمكر والتلبيس ركز فيها على خدمة أهدافه ونشر ثقافته وترسيخ الاعجاب بما حققه فى مجال الصناعات المختلفة والمكاسب المادية فى نفوس أغلب الناس حتى اذا ما تشربت بها قلوبهم واعجبوا بمظاهر بريقها ولمعانها وعظيم ما حققته وانجزته من المكاسب الدنيوية والاختراعات العجيبة لا سيما فى صفوف الطلاب والمتعلمين الذين لا يزالون فى سن المراهقة والشباب اختارت جماعة منهم ممن انطلى عليهم سحر هذه الحضارة لاكمال تعليمهم فى الخارج فى الجامعات الأوربية والأمريكية وغيرها حيث يواجهون هناك بسلسلة طويلة من الشبهات والشهوات على أيدى المستشرقين والملحدين بشكل منظم وخطط مدروسة وأساليب ملتوية فى غاية المكر والدهاء — وحيث يواجهون الحياة الغربية بما فيها من تفسخ وتبذل وخلاعة وتفكيك ومجون وإباحية .

وهذه الأسلحة وما يصاحبها من أغراء وتشجيع وعدم وازع من دين أو سلطة قل من ينجو من شباكها ويسلم من شرورها إلا من عصم الله وهم القليل — وهؤلاء بعد اكمال دراستهم وعودتهم الى بلادهم وتسلمهم المناصب الكبيرة فى الدولة خير من يطمئن اليهم المستعمر بعد رحيله ويضع الأمانة الخسيسة فى أيديهم لينفذوها بكل دقة ، بل بوسائل وأساليب أشد عنفا وقسوة من تلك التى سلكها المستعمر كما وقع ذلك فعلا فى كثير من البلاد التى ابتليت بالاستعمار أو كانت على صلة وثيقة به .

أما الطريق الى السلامة من هذا الخطر والبعد عن مساوئه واضراره فيتلخص فيما أقدمت عليه حكومتنا السنية بعد ادراك كامل للمصلحة العامة وتقدير للمسئولية من انشاء الجامعات والكليات والمعاهد المختلفة بكافة اختصاصاتها للحد من الابتعاث الى الخارج وتدريس العلوم بكافة أنواعها فى المملكة حرصا على سلامة عقيدة هؤلاء الشباب وصيانة أخلاقهم وخوفا على مستقبلهم — وحتى يساهموا فى بناء مجتمعهم على ضوء من تعاليم الشريعة الاسلامية وحسب حاجات ومتطلبات هذه الأمة المسلمة وضيقت من نطاق الابتعاث الى الخارج وحصرته فى علوم معينة لا يتوفر فى الوقت الحاضر تدريسها فى الداخل .

وإنا لنشكر لحكومتنا السنية هذا الصنيع وحرصها الشديد على مستقبل الأمة والوطن وعلى ما حققته وأنجزته من المشاريع النافعة والمكاسب الضخمة ونسأل الله لها مزيدا من التوفيق للأعمال الصالحة والخدمات النافعة للمسلمين ولكن هذا المقام مع ما ذكرنا يحتاج الى مزيد من العناية فى اصلاح المناهج وصبغها بالصبغة الاسلامية على وجه اكمل والاستكثار من المؤسسات العلمية التى يستغنى بها أبناء البلاد عن السفر الى الخارج — واختيار المدرسات والمديرين والمديرات وأن يكون الجميع من المعروفين بالأخلاق الفاضلة والعقيدة

الطيبة والسيرة الحسنة والغيرة الاسلامية والقوة والأمانة لأن من كان بهذه الصفات أمن شره ورجي خيره وبذل وسعه في كل ما من شأنه ايصال المعلومات الى الطلبة والطالبات سليمة نقية .

اما اذا اقتضت الضرورة ابتعاث بعض الطلاب الى الخارج لعدم وجود بعض المعاهد الفنية المتخصصة لا سيما فى مجال التصنيع واشباهه فأرى أن يكون لذلك لجنة علمية أمينة لاختيار الشباب الصالح فى دينه وأخلاقه المتشبع بالثقافة والروح الاسلامية واختيار مشرف على هذه البعثة معروف بعلمه وصلاحه ونشاطه فى الدعوة ليرافق البعثة المذكورة ويقوم بالدعوة الى الله هناك ، وفى الوقت نفسه يشرف على البعثة ويتفقد أحوالها وتصرفات أفرادها ويقوم بارشادهم وتوجيههم وأجابتهم عما قد يعرض لهم من شبه وتشكيك وغير ذلك .

وينبغي أن تعقد لهم دورة قبل ابتعاثهم ولو قصيرة يدرسون فيها جميع المشاكل والشبهات التى قد تواجههم فى البلاد التى يبتعثون اليها ويبين لهم موقف الشريعة الاسلامية منها والحكمة فيها حسب ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام أهل العلم مثل أحكام الرق وتعدد الزوجات بصفة عامة وتعدد أزواج النبى (صلى الله عليه وسلم) بصفة خاصة وحكم الطلاق وحكمة الجهاد ابتداء ودفاعا وغير ذلك من الأمور التى يوردها أعداء الله على المسلمين حتى يكونوا على استعداد تام للرد على ما يعرض لهم من الشبه .

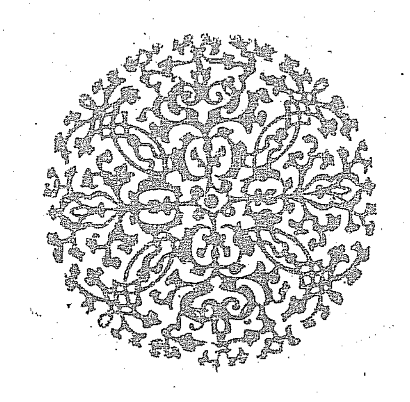
أما عن مجابهة الغزو المتمثل فى الاذاعات والكتب والصحف والمجلات والأقلام التى أبتليت بها المجتمعات الاسلامية فى هذا العصر وأخذت تشغل أكثر أوقات المرء المسلم والمراة المسلمة رغم ما تشتمل عليه فى أكثر الأحيان من السم الزعاف والدعاية المضللة والأدب الرخيص والصور العارية والدعوة الى الفساد فأرى أن من أهم علاج ذلك أن تهتم الدول الاسلامية لا سيما حكومتنا السنية بايجاد هيئة من أهل العلم والبصيرة والغيرة على الاسلام والثقافة الواسعة وتفرغ لكتابة البحوث والنشرات والمقالات النافعة والدعوة الى الاسلام والرد على الغزو الثقافى المنظم وكشف عواره وتبيين زيفه حيث أن الأعداء قد جندوا كافة أمكاناتهم وقدراتهم وأوجدو المنظمات المختلفة والوسائل المتنوعة للدس على المسلمين فلا بد من تفنيد هذه الشبهات وعرض الاسلام عقيدة وتشريعا وأحكاما واخلاقا عرضا شيقا صافيا جذابا بالأساليب الطيبة العصرية المناسبة وعن طريق الحكمة والموعظة والجدال بالتى هى أحسن فهو الدين الكامل الجامع لكل خير الكفيل بسعادة البشر وتحقيق الرقى الصالح والتقدم السليم والأمن والطمأنينة والحياة الكريمة والفوز فى الدنيا والآخرة ..

وما أصيب المسلمون إلا بسبب عدم تمسكهم بدينهم كما يجب ، وعدم فهم الأكثرين لحقيقته وما ذلك الا لاعراضهم عنه وعدم تفقههم فيه وتقصير أكثر العلماء فى شرح مزاياه وابراز محاسنه وحكمه وأسراره والصدق والصبر فى الدعوة اليه ، وتحمل الأذى فى ذلك بالأساليب والطرق المتبعة فى هذا العصر ومن أجل ذلك حصل ما حصل اليوم من الفرقة والاختلاف وجهل الأكثر لأحكام الاسلام والتباس الامور عليهم .

ومعلوم أنه لن يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها والذى صلح به

أولها هو اتباع كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم كما قال تعالى (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وقال تعالى (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) وقال سبحانه (وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) وقد وعدهم الله سبحانه على ذلك النصر المبين والعاقبة الحميدة كما قال سبحانه وهو أصدق القائلين (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وقال سبحانه (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط) وقال عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شـيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) وقال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) والآيات فى هذا المعنى كثيرة ، ولما حقق سلفنا الصالح هذه الآيات الكريمات قولا وعملا وعقيدة نصرهم الله على أعدائهم ومكن لهم فى الأرض ونشر بهم العدل ورحم بهم العباد وجعلهم قادة الأمة وأئمة الهدى ولما غير من بعدهم غير عليهم كما قال سبحانه « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

فنسأل الله سبحانه أن يرد المسلمين حكومات وشعوبا الى دينهم ردا حميدا وأن يمنحهم الفقه فيه والعمل به والحكم به وأن يجمع كلمتهم على الحق ويوفقهم للتعاون على البر والتقوى والتواصى بالحق والصبر عليه انه سميع قريب وصلى الله وسلم على نبينا وسيدنا محمد وآله وصحبه واتباعه باحسان .





اللواء الركن/محمود شيت خطاب

لا بد للمتكلم في الدين أن يؤمن إيمانا عميقا بالدين ويؤمن انه يدافع عنه دفاعا عن قضية عادلة ويدعو اليه إنقاذا للناس من شرور الدنيا الى خيراتها وفضائلها ، ومن عذاب الآخرة ونار جهنم الى جنـــة عرضهـــا السموات والأرض ..

ولا بد للمتكلم في الدين ، أن يعمل به ويجعله منهجا له في الحياة لا يحيد عنه قيد انملة ، وأن تطابق اقواله اعماله ، بل تزيد أعماله على اقواله ليكون قدوة حسنة لمريديه وسامعيه . وأعتقد أن هذين الشرطين هما أهم الشروط التي يجب أن تكون في المتكلم بالدين ــ الإيمان العميق بالدين أو (النية) والعمل بتعاليمه ، والتمسك بأهدافه والدعوة اليه والدفاع عنه .

هذان الشرطان الرئيسيان هما ــ النية والعمل .

ويقتضي أن يكون المتكلم في الدين عالما في الدين ، متقنا لفروعــه وأصوله حتى يفيد كلامه ، ويقبل الناس على سماعه .

والذي تكون بضاعته في العلوم الدينية قليلة ، تكون فائدته للمسامعين قليلة أيضا ، وقد كان السلف الصالح لا يتكلمون في الدين الا اذا بلغوا شأوا بعيدا في العلوم الدينية وسمح لهم أساتذتهم بالكلام أو الفتيا .

ومع عمق العلوم التي يستوعبها أحدهم ، فانه كان يتورع عن الكـلام في الدين الا اذا كان متأكـــدا من صحة معلوماته ودقتها ، وكان لا يتسرع في الاجابة على سؤال ديني ما لم يفتش عنه في مظانـــه من المصادر ، ويسأل عنه أهل الذكــر ..

ومن المهم أن يتقن المتكلم في الدين علوم اللغة والبيان ، فكلما كـــان المتكلم بليغا ، أثر في الذين يسمعونه والذين يأخذون عنه ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أبلغ البلغاء ، وأفصح الفصحاء وقـــد أوتي جوامـــع الـــكلم ..

وأن يتحلى المتكلم في الدين بمزية (الايجـــــاز) ..

ولا يسعني إلا أن أقف وقفة قصيرة عند مزية (الايجاز) ، فهي مزية قل أن يتحلى بها المتكلمون في الدين ــ مع الأسف الشديد في هذه الأيام .

يقف خطيب الجمعة مثلا ، وكل الدلائل تدل على أنه لم (يحضر) شيئا ليقوله ، فيبدأ بالكلام (المرتجل) ويتمادى في ارتجاله ، ويأتي بأفكار من اليمين والشمال ، اكثرها غير متساوق ، يشيع فيها الاضطراب والتناقض ،

ويقضى فى خطبته ساعة او اكثر ، غير ملتفت الى وجود أطفال وشيوخ ، ولا إلى حالة الطقس باردا أو حارا .. كل همه ان يتكلم وان يرتجل الكلام ، وأن يكون صوته مرتفعا كهزيم الرعد وان تتحرك يداه ورأسه ، ويتحرك كل بدنه ولا شىء بعد ذلك .

وطالما سألت نفسى حين أصلى الجمعة ماذا قال الخطيب ؟ وبكل أمانة لا اعرف ماذا قال .

واتهمت نفسى كثيرا ، فقلت ربما يكون مستوى الخطيب أرفع من مستواى الثقافى ... ربما اكون شارد الذهن ..

ولكننى سألت من أثق به هذا السؤال ماذا قال الخطيب ؟ فكان الجواب دائما والله لا أدرى ..

الايجاز الايجاز على أن يكون الكلام معدا ومركزا ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم من أقل الناس كلاما ، وخطبه المسجلة التى وصلت إلينا قصيرة ، ولكن فيها أعظم الفائدة ..

وهكذا فان الكلام لا يقاس بطوله ، بل يقاس بمقدار فائدته .

« ٢ »

ومن الضرورى أن يكون المتكلم بالدين دارسا عميقا ، أى أنه لا يكتفى بما حفظه من علم ، بل يدرس موضوع خطابه قبل القائه دراسة عميقة ، ولا يكتفى بمصدر واحد بل يقلب صفحات أكثر من مصدر واحد ، ولا يقتصر على المصادر القديمة بل يبحث فى المراجع الحديثة .

وافضل أن يكتب ما سيقوله ويقرأه على مكث ، ولو أن أكثر المتكلمين يفضلون الارتجال ، لأن الكلمة المكتوبة تكون مختصرة وشاملة غالبا ، ويكون المتكلم مقيدا بها .

أما الكلام المرتجل فيشرق ويغرب ويغزوه الاستطراد ، فيطول الكلام وغالبا ما يدب الى السامعين الملل والكلل والتذمر من المتكلم سرا وعلانية .

كما أن الكلام المكتوب يجبر صاحبه على الدراسة والتمحيص ، بعكس الكلام المرتجل الذى قد يخطر على بال صاحبه فى اللحظة والتو دون سابق تحضير ، وكل دراسة وتمحيص تأتى بخير وتؤدى الى بركة وكل كلام مرتجل أو عمل مرتجل غالبا لا يؤدى الى خير .

وسيقول قائل إن الكلمة المرتجلة تؤثر فى السامع أكثر من الكلمة المقروءة ، والواقع أن الكلمة المقروءة المعدة فائدتها أكبر من فائدة الكلمة المرتجلة ، والمسألة مسألة فائدة السامع ، وقد مضى الزمان الذين كان يعجب الناس بالخطيب المرتجل مهما يقل من كلام فقد أصبح الناس يزنون كلام القائل فيعجبون بما يستحق الاعجاب ، ويرفضون ما يستحق الرفض .

وهناك جامعات محترمة لا ترضى من الأستاذ أن يرتجل درسه ، بل لا بد من أن يقدم ذلك الدرس مكتوبا ، فيعرض على لجنة خاصة فتقره أو تعدله أو ترفضه . ذلك لأن تلك الجامعات تحرص على عقول طلابها ووقتهم ، وقد تعلمت بالتجربة أن الأستاذ المرتجل كثيرا ما ينسى شيئا أو يسهو عن شىء أو يقرر خطأ بعض الحقائق العلمية ، فيضر سامعيه ويفضح نفسه .

والاسلام والحمد لله واسع جدا ، فيه مجال للقول كثير ، وهو دين يصلح لكل زمان ومكان ويرفع من مستوى كل مجتمع ..

والأمة الاسلامية تعانى من غزو فكرى شنيع ، والفكر لا يقاوم الا بفكر مثله أو أحسن منه ، وفى الاسلام خير كثير يستطيع المتكلم فى الدين أن يعرضه بأسلوب حديث ، يقضى به قضاء مبرما على الأفكار الوافدة والمبادىء المستوردة ..

ولست أعنى أن كل فكر وافد لا خير فيه ، فهناك أفكار مفيدة لا بأس من تعلمها وتعليمها ، ولكننى ارفض كل فكر يناقض روح الاسلام ، ولست أشك أن مثل هذا الفكر أضر معتنقيه ويضر من يعتنقه .

والحضارة العالمية عبارة عن أفكار اشترك فيها كثير من الأمم ، والفكر الصالح هو من صميم الاسلام أما الأفكار الضارة فهى التى لا نريد أن يتورط فيها مسلم .

والمتكلم فى الدين ، يجب أن يعرف الأفكار الوافدة الضارة ، والمبادىء المستوردة التى تناقض الاسلام ، ويعرف كيف يستنبط من الدين ما يقوض به تلك الأفكار والمبادىء بأسلوب علمى حصيف ..

أما أن يبقى المتكلم فى الدين ، مصرا على الكلام عن نواقض الوضوء .. الخ ..

تلك المواضيع التى اصبحت معروفة لكل مسلم ، والذى لا يعرفهـا يستطيع أن يسأل عنها ليتعلمها خلال دقائق معدودات ..

أما أن يبقى المتكلم فى الدين حريصا على ترديد نصوص معينة من كتب معينة عفى عليها الدهر وأنكرتها الأيام ، فان النتيجة المتوقعة هى أن يكون هناك انفصال بين هذا المتكلم فى الدين ، وبين سامعيه وخاصة من الشباب .

وقد حدثنى شيخ من كرام الشيوخ ، ولكنه يعيش فى غير عصره ، ويجهل التيارات الجارفة التى تلعب بأفكار الشباب فى المدارس والمعاهد والجامعات والمجتمعات ، فذكر أن الدنيا بخير وأن الناس متمسكون بدينهم ... الخ ..

وكان ذلك الشيخ صادقا ، لأنه كان يتحدث عن المجتمع الصغير الـذى يعايشه ويختلط به .

واتذكر اننى حدثته بالواقع ، وقلت له إن هوة عميقة تفصل بينكم — بين الشيوخ والشباب — وما لم تتداركوا الأمر قبل فوات الآوان ، فان الخطـر محدق والمصير مظلم ..

إن محاولة المتكلم فى الدين كشف كنوز الاسلام العظيمة بأسلوب جديد ، هو الذى يؤدى به الى النجاح من جهة ، والى إنقاذ السامعين مما يخالجهم من أفكار خطيرة تضر بهم اشخاصا ، وتضر بالمجتمع أيضا .

وكم فى الاسلام من كنوز عظيمة بامكانها اكتساح المبادىء الوافدة ، والأفكار المستوردة التى أضرت بالذين اعتنقوها أبلغ الإضرار .

ولكن أين المتكلم فى الدين الذى يكتشف هذه الكنوز ؟

وهنا أحذر من التورط فى ادعاء كل جديد انه من الاسلام ، وأن الاسلام قد سبق إليه .

ان الاسلام هو كل لا يتجزأ ، وهو رأس ، ويجب أن يبقى رأسا ، فليس

من مصلحة الإسلام أن نلهث وراء كل مبدأ جديد يتعشقه الناس وندعي أنه من الاسلام ..

ولكن يجب أن نقول إن المبدأ الفلاني يقول كذا ، ويعالج الأمور بكذا ، والاسلام يقول كذا ، ويعالج المشاكل بكذا .. فأى المعالجتين أفضل ؟

وهنا يبرز الفرق بين الاسلام وهو من صنع الله ، وبين المبادىء مهما تكن وهى من صنع البشر .

ان المبادىء الوضعية تتبدل ، وما كان جديدا أمس ، أصبح قديما اليوم ، وما كان أمل الجماهير فى أيام سابقة أصبح موضع نقمتهم فى هذه الأيام ..

أما الاسلام ، فباق بقاء الحياة ، ثابت ثبات الراسيات ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

((٣))

وينبغى أن يقتنص المتكلم فى الدين ما يناسب الظروف الراهنة التى يعيشها المجتمع ، حتى يجد السامعون فى الدين ما يعالج مشاكلهم الراهنة ، ويناسب الظروف والأحوال ..

فاذا كانت الأمة فى حالة دفاع عن كيانها وحاضرها ومستقبلها ، كالذى تعيشه الأمة العربية وهى فى كفاح لاسرائيل ومن وراء اسرائيل من دول الاستعمار ، فلا بد للمتكلم فى الدين أن يركز على الجهاد بالأموال والأنفس ، وأسلوب إخراج الجهاد من نطاق الفتاوى الى نطاق التطبيق العملى ، وعقاب المتخلفين عن الجهاد فى الاسلام ، ودرجة الشهيد فى الاسلام وغير هذه المواضيع الحيوية التى يعج بها الدين الاسلامى الحنيف .

لقد أصغيت الى عدد من الخطباء فوجدت أكثرهم يتحدثون عن مواضيع غير الجهاد ، فما أحراهم أن يلتفتوا الى بحث الجهاد ويشبعوه بحثا وتفصيلا ، لأنه من أسس الاسلام أولا ، ولأنه يناسب الظروف الحالية ثانيا ، ولأن العسكرية الاسلامية مفخرة من مفاخر الفن العسكرى أخيرا .

والمتكلم فى الدين — بالاضافة الى كل ذلك — عليه أن يكون له رصيد ضخم من علوم الدين حفظا يستشهد بها فى أحاديثه ، ولكنه ينبغى الا يكتفى بذكر الحقائق الواردة فى الكتب ، بل عليه أن يذكر الطريقة المثلى لتطبيق تلك الحقائق لتصبح عملا ولا تبقى كلاما .

ان المتكلم فى الدين الذى يضع الحلول للمشاكل هو فى الحقيقة مدرسة سيارة ، لا تمضى عليه مدة الا ويكون له تلاميذ وطلاب وأتباع ومريدون ، يروجون لآرائه ، ويحملونها الى الناس .

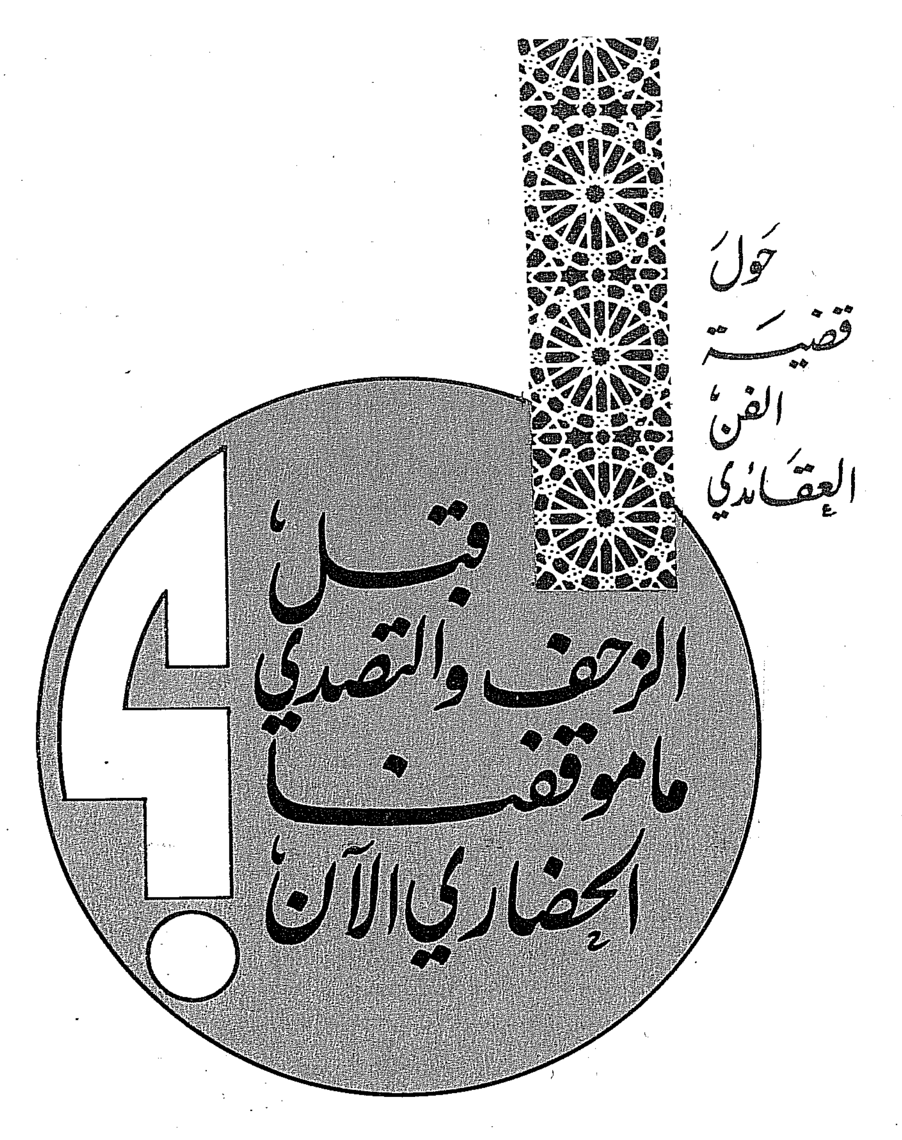
المتكلم فى الدين له رسالة ، ويجب أن يشعر بهذه الرسالة ويؤديها بكل أمانة وإخلاص فى عنقه أمانة ، فلينظر كيف يؤدى الأمانة .

وهذا الدين عظيم فلينظر كيف يبرز عظمته للعيان .

وفى هذا الدين جوانب منيرة فذة ، فلينظر كيف يبهر بنوره الألباب .

واخيرا ، فكل جهد يبذل لخدمة الاسلام والمسلمين يهون ، ، وكل سهر من اجله يحتمل ، وكل عناء بسببه يسهل ..

ومرحبا بحمل رسالة الاسلام ، وأهلا بتبليغه الى الناس ..



للأستاذ : يوسف حسن نوفل

قضية خطيرة تصدى لها باقتدار الصديق الشاعر الأستاذ « محمد أحمد العزب » حين أطلت علينا مجلة « الوعى الاسلامى » بمقاله المخلص الجاد : (هذا الزحف من يتصدى له ؟) فى عدد شوال ١٣٩١ هـ ، ١٩ من نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧١م.

وقد استللت من تدفق إخلاص مقاله مجموعة من الخواطر ناقشتها بإيجاز فى مقال نشر فى عدد صفر ١٣٩٢ هـ بعنوان : (هؤلاء المتصدون من يدعمهم ؟) ، ثم أبى تحفز شاعرنا إلا أن يعدو فى الشوط الى غايته ، فقدم — بتواضع العلماء — طرحا آخر لجانب من جوانب القضية تشوفا لمزيد من الضوء حتى تكتمل جوانب هذا البحث الجاد الذى كان له فضل بدء الحديث فيه ، وكان ذلك فى مقاله : (بل .. هذا الزحف من يتصدى له ؟) المنشور فى العدد التاسع والثمانين الصادر فى غرة جمادى الأولى عام ١٣٩٢ هـ (١٢ من يونيو (حزيران) ١٩٧٢ م) .

وقد تعمدت أن أعرف بمواطن هذه

المقالات حتى يرجع اليها من يشاء ، لأن متابعة القضية ، ومحاولة الإسهام فيها برأى لا يغنى فيه عرض لخلاصة أو تركيز لفكرة مما نوقش ، بل ينبغى الرجوع الى ما قيل .

وأجدنى فى موقف الحتم قاصدا الى خلاصة ما ذهب إليه مقاله الثانى والجأ الى سطوره الأنيقة التى تحمل نبض ما يدعو اليه .. يقول :

« هذه هى المحاور الأساسية الثلاثة فى قضيتى بلا هروب من قدر المواجهة .. **المحور الأول** : هو أن منحى القضية الصميمى يولد على خريطة الوطن الاسلامى هذا الفنان العقائدى الذى ينزع فى تحركه الفنى عن خلفية فلسفية مكتملة أو متنامية بلا جنوح للتخبط فى دياجير التناقض أو احتطاب امشاج الحلول . **والمحور الثانى** : هو أن يكون طريق هذا الفنان الى إبداعه العقائدى ليس الوعظ الدعائى بما هو مقولة مرفوضة فى منطق الفن ، وليس الخرافة المسطحة بما هى حركة ممرورة لا تستطيع أن تواجه شمس الحقيقة الكونية !!! **والمحور الثالث** : هو أن تكون هموم هذا الفنان الأمل أن يحرك فى اتجاهه ثقافة عصره وكل العصور قابضا فى حركة إبداعه على قيمة وضعيته العقائدية ، غير هارب فى أردية التوافق الجماهيرى من هويته الذاتية التى قد يوصم معها بالجمودية والرجعية والوراثية ، الى آخر ما فى جعبة الأغرار من شعارات فارغة جوفاء متآكلة الجبين !! »

ولا أجدنى فى حاجة الى التنويه بأن محاوراتنا متلاحمة لا متنافرة ، كلانا يقطع الدرب ويقصد الهدف ، ومن هنا فإن ما يبدأ به مقالى هو ما أنتهى به مقال الصديق الشاعر ، نقطة التقاط أنفاسه هى نقطة بدء انفاسى عسانا نبلغ دائرة الضوء معا .

يصيح صديقى العزب .

« فهل فى أدبنا العربى المعاصر اليوم حتى ما يوحى بميلاد مثل هذا الفنان المبدع الخالق ؟؟

وهل فى أدبنا العربى المعاصر اليوم حتى ما يومىء الى ميلاد مثل هذا الفن المغامر المدجج القابض على أمل الخلاص ؟؟ » .

ونحن فى الطريق الى شواطىء هذه التساؤلات دعنا نقدم هذه التصورات رغبة فى مزيد من الضوء .

التصور الأول :

مرت الأمة العربية والشعوب الإسلامية بعدة اختبارات حضارية عبر العصور الماضية ، استطاعت فيها أن تصمد وتحافظ على كيانها وهويتها ، وتراوحت نسبة الدفاع تبعا لاختلاف نسبة الهجوم ، وبقى فى النهاية حقيقة لا تقبل الشك وهى أن كل الموجات التى غزت شاطئها تكسرت وذابت وعادت أدراجها مترنحة متهاوية .

وكان لطبيعة أرضنا وموقعنا بل وعقيدتنا ما جعل أمتنا باستمرار ، وخلال كل حقبة ، هدفا لغزو الغزاة وتطلع المتطلمين ، ودعنا الآن من الحديث عن ميكانيكية الغزو العسكرى ، ورائحة باروده وضجيج رجاله وعتاده ، ومساحات أطماعه ، وتكتيكه واستراتيجيته ، ولنقف بعمق عند أيديولوجية الغزو أو المسخ الفكرى — يتساوى الأمران — هنا مكمن الداء — كما يقولون — وعند هذا المكمن أول الجذور لقضية حوارنا الآن (الفن العقائدى) .

الفن العقائدى بحاجة الى خلفية فلسفية تبلور عقيدة ومنهجا — كما رأى الصديق الأستاذ العزب بحق ،

وكما أوافقه بصدق — غير أن العقيدة تكمن فى خلق وتكوين هذه الخلفية ، وخصوصا إذا وضع الباحث فى اعتباره أن فساد ما بين أيدينا لا يرجع الى يوم وليلة ، بل هو ابن سنين ، ووليد عصور متلاحقة واتجاهات متضاربة لم يبق فى مواجهتها كياننا إلا لأنه صلب أصيل جوهرى ، وحتم على أنصار الفن العقائدى ودعاته الا تغيب عن بالهم هذه الحقيقة الهامة ، وهى تحليل ودرس وتقصى مظاهر المسخ الفكرى ، والتخريب العقائدى والتشويه الحضارى ، الذى تراكمت طلوله فوق جبهة أمتنا حتى عاقتها الآن عن الرؤية المستنيرة ، والاستبانة الحقة ، والنهج القويم .

وبنظرة صريحة الى واقع امتنا اليوم سنجد اننا ، وسط هذا الركام ، نملك عيونا زائغة وأقداما مهتزة تحن الى كل اتجاه ، وتأخذ بكل منهج مهما كان التضارب والتناقض ، كأننا أمة فى مرحلة الطفولة أو إن شئت قلت : مرحلة الميلاد ، ناسين أننا أمة أم ، وحضارة رئيسة ، وجذور لا غصون ، وأصول لا فروع .

أستغفر الله من لبس قد يسرع الى قارئى الكريم من أننى منغلق عن الانفتاح ، ومضاد للاتساع الحضارى والاستيعاب العالمى والتشرب المطلق بكل نتاج بشرى .

ومتى استغفرت الله من ذلك أمضى مطمئنا فأقول : إن الأخذ والتفاعل شىء ، والتقهقر والانهيار والمسخ شىء آخر ، الأول شىء محبوب مثمر خلاق ، والثانى ممقوت موقوت مخزى .

نحن الآن أمام موقف امتحان حضارى عسير ، لا تستحيل منه النجاة بل تجب النجاة منه لكن ذلك لا يكون إلا بتأصيل موقف ، وتحديد اتجاه ، ورسم ملامح ، نملك منها جذورها وفروعها ، ولسنا بحاجة الى خلق واستحداث فيها ، ومتى حافظنا على شخصيتنا وحددنا هويتنا انعكس ذلك على كل مظاهر النشاط البشرى فوق أرض أمتنا ، انعكس على الجهد المادى والجهد الروحى ، وانعكس بدوره على الأدب والأديب : شعرا ، وقصة ، ومسرحا ، بل انعكس على كل الفنون .

من هنا فإنى لا القى بما أحمل من هموم فوق رأس الأديب العربى فأغرقه من شعره الى أخمص قدميه ، واطلب منه موقفا فنيا عقائديا وفلسفة حضارية ، بل اكاد أبرىء موقف الأديب — وأقول أكاد — لأن الأديب نتاج بيئته ومجتمعه بما يحمله هذا المجتمع من مثالب ومحامد ، فإذا كان مجتمعنا فى حيرة من أمره إزاء اصطخاب عالمه بغزوات متعددة متلاحقة متناقضة متضاربة أفلا يكون شيئا حتميا أن يحار الأديب ويضطرب ؟

التصور الثانى :

أما النماذج التى أشرت اليها — فى مجال الانتاج القصصى — فلم أقصد ولا أقصد بها النموذج الأمثل لإنتاج عقائدى ، أو إن شئت قلت : لموقف حضارى ، وإنما قصدت بذلك أن أشير الى أن هناك بعض الالتفات الى الدين لدى بعض كتابنا فى حاجة الى دعم وحدب وحنو عساه يثمر شيئا ما فى المستقبل ، أو يمثل — على الأقل — بداية موقف وتشكل اتجاه .

ولم أقل : إن هناك منهجا مستقيما لفن عقائدى لدى واحد من هؤلاء ، وبهذه المناسبة فان كتابا صدر بعنوان : (الإسلام والروحية فى أدب نجيب محفوظ) كتبه الصديق القصاص الدكتور « محمد حسن عبد الله » أحد أساتذة جامعة الكويت رأى فيه أن « نجيب محفوظ » كاتب

إسلامي روحي ، ولقد حملت مجلة البيان الكويتية (ص ٣٧ العدد ٧٤ « مايو (أيار) ١٩٧٢ ») ، رسالة من القصصي المصري الى مؤلف الكتاب تحمل اغتباطه بهذا الرأي ، وهذا الكتاب ، ولهذا فإني ادعو القصاص الباحث الدكتور « محمد حسن عبد الله » الى المشاركة فى حوارنا الجاد حول منطلق فن عقائدى ، وادعو الصديق الأستاذ محمد العزب الى موازاة ذلك بما رأى ، واقتطف هذه الكلمات من صورة لرسالة نجيب محفوظ (ولم أجد تناقضا بين أحكامكم وبين نبض قلبى ، ولعل الاضطراب الناشيء بين قراءة ادبى أحيانا مصدره أن قلبى يجمع بين التطلع لله والإيمان بالعلم والإيثار للاشتراكية) .

التصور الثالث :

وانتقل من هذا الاستطراد الى تصور يتصل اتصالا وثيقا بالنتيجة التى انتهينا الى شاطئها ، وهى افتقار الأديب الى خلفية عقائدية استجابة لما عليه مجتمعه ، هذا التصور هو :

لقد نشأت مذاهب ومدارس واتجاهات فنية متعددة فى مختلف العصور ، بدءا من الكلاسيكية حتى اللامعقول بما تضمنه هذا الإنتاج البشري الضخم من مذاهب أدبية وفنية لها مبادئها ومناهجها ومواقفها ورجالها وإنتاجها ، فهل حفل نتاجنا الفنى بمثل هذا ؟ هل استطاع واحد كالدكتور طه حسين أو عباس محمود العقاد أو توفيق الحكيم أن يقدم موقفا فنيا وفلسفيا يتكيء على رصيد ثابت من الاستيعاب والدرس والتأمل والإعطاء ؟ رغم محاولة الأخير فى كتابه « التعادلية » .

واشهد أن من قبلى من اشار الى مثل هذا التساؤل وهو الشاعر المجدد صلاح عبد الصبور فى كتابه ! (ماذا يبقى منهم للتاريخ ؟) ، وصدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٦١ عن دار الثقافة العربية (أنظر ص ١٢ و ١٣) .

لكننى أسوق هذا التساؤل فى موقف يلتحم التحاما مباشرا بالمقولة السابقة عن موقف مجتمعنا مما يصطرع حوله ، إذ أن ما حدث أن كل ما قدمته الأعمال الأدبية كان قوالب مستوردة يجتهد الأديب فى اختيار ما يرى ، ويفرضه بمناصرة من حركة النقد الضحلة على قرائه الذين يلوكونه ويجترونه ثم يلوكونه ويجترونه حتى يومنا هذا ، وساعد على ذلك فقدان الموقف الفلسفى والحضارى المتأصل ، والولع بالتقليد فى حلبة التصفيق الانفعالى أو معارك الخصومة المتهوسة .

واشهد مرة أخرى أن هناك من سبقنا الى الدعوة الى استيعاب هذه المذاهب العالمية للخروج بموقف واضح ينسب الينا وننتسب اليه ، وهو المرحوم الدكتور محمد غنيمى هلال الذى رأى أنه لا بد من التأثر بالمذاهب الأدبية العالمية والكبرى ، ودراستها بوعى ، لنخرج بمذهب أدبى أصيل نساير به روح العصر (فيه تتبلور فلسفة مشتركة يصورها الكتاب فى أدبهم لترسخ فى وعى جمهورهم) . (ص ٤١٧ و ٤١٨ الأدب المقارن — محمد غنيمى هلال) .

التصور الرابع :

ثم الحق بما تقدم ما يمكن أن اسميه: : أزمة الثقافة والمثقفين ، إن الأدب يلطع على الناس ولا يقرأ ، وإن قرىء لا يترك صدى ، وذلك راجع — فى تصوري — الى أزمة القراءة وأزمة الثقافة ، وهذا بدوره

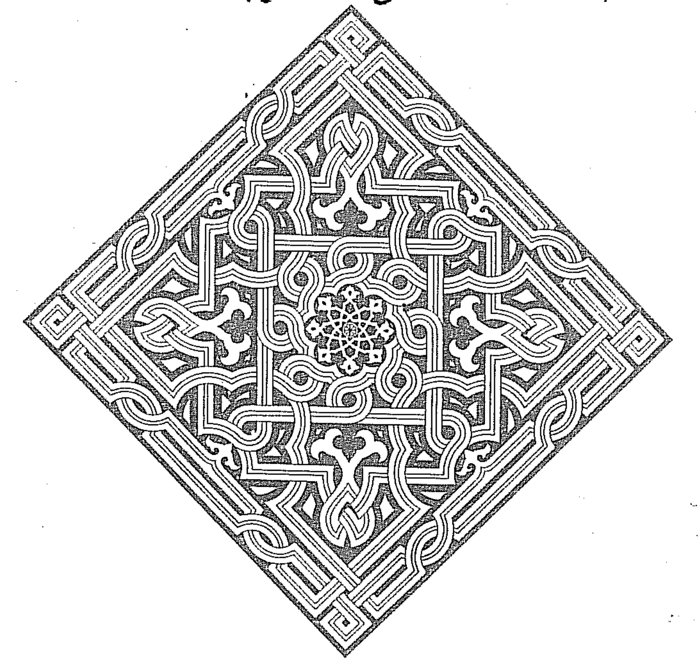
يؤدى الى نتيجة هامة هى شعور الأديب بالسلبية واللامبالاة ، لأن دائرة التفاعل التى يجب أن تتم بينه وبين متلقى فنه لا توجد ، ولهذا فان ما يتلقاه من تأثر ، وما يرتد عليه من صدى ، يصبح باهتا مخنوقا لا جدوى وراءه ، وأتصور أن الأديب الذى يكتب ويكتشف أنه لا يوجد أحد يحس به يستسلم بعد ذلك الى حالة تخبط فكرى تسلمه الى التقليد تارة ، والى الجمود تارة أخرى ، بل قد تسلمه الى تيه التخبط فى دياجير الضياع .

التصور الخامس والأخير :

وهناك حقيقة هامة وهى انه تنعدم — أو تكاد — تلك اللقاءات الهامة بين أدباء الأقطار العربية والشعوب الإسلامية ، ولا أقصد بذلك تلك المؤتمرات والمهرجانات السريعة التى تنعقد تحت لواء مناسبة أو موضوع ما ، ثم تذوب كما تتلاشى قطع الثلج ، وإنما أقصد اللقاءات الفكرية المتجددة المستمرة بين هؤلاء الأدباء فى مواسم ونادى ومجلات وصحف ، إن على الأديب التونسى أن يلتقى بالأديب الفلبينى ، والأوغندى ، والباكستانى ، إن شيئا من ذلك لم يحدث ، فكان كل أديب فى واد ، يصور من منبع خاص ، ويصب فى مصب خاص ، مسخت ملامح الأدب العقائدى فى أخطر لحظات المواجهة الحضارية العصرية .

وفى نهاية الحديث فليأذن لى الصديق الشاعر محمد احمد العزب أن أسوق تساؤلا أخيرا يطرح نفسه قبل التساؤل الذى طرحه .

كيف نصل — بعد تحليل ودرس واقعنا — الى خلق مناخ أو خلفية تساعد على وجود فنان عقائدى ذى ملامح خاصة وأهداف حية ، ذلك الفنان الذى يبحث عنه فناننا الأستاذ العزب ؟!



نظرات في سورة الاخلاص

للأستاذ : عبد العزيز العلى المطوع

قل هو الله احد : من البداهة والفطرة في الانسان وما وصل اليه من تعاليم الرسل الكرام : وحدانية الله الأزلية اللانهائية المنفردة بذاته وصفاته سبحانه ، لا رب للعالمين غيره ، ولا إله يعبد بحق سواه .

ولعله اصبح من المألوف لدى الكاتب والمتحدث والسامع والقارىء جميعا ، ان معنى كلمة أحد هو (واحد) ولكن في معناها ما هو اعمق من ذلك ، حيث لم يأت في اللغة ان معنى لفظ (أحد) هو (واحد) الا اذا كان اللفظ مضافا كما في احد الناس او إحدى النساء وكذلك في الأعداد المركبة كاحد عشر او إحدى وعشرين .

وتاتي كلمة (احد) للذوات العقلاء في ثلاثة مواطن : الاثبات ، والنفي ، والتحدي ، اما الاثبات فانه لم يرد بالنسبة لمخلوق إلا في القليل النادر ، كأن يقول قائل : ليس في البيت أحد (في حالة النفي) فاذا سمعه فرد او اكثر في الدار قال : ـ نحن هنا : ردا على هذا النفي غير الصحيح ، وبغير ذلك لاعتقد أن لها في باب الاثبات مجالا آخر .

وقد افتتحت سورة الاخلاص بالاثبات وهذا امر خاص بالله سبحانه ومن هذه الآية يتبين أن الله ذات واجبة الوجود ولا يصح إثبات الوجود المطلق إلا لله وحده ، كما لا يصح النفي على الاطلاق إلا مع الاستشمار باثبات وجود الله سبحانه في كل مكان يليق بجلال قدسه وإحاطة علمه إذ لا يستطيع انسان ما او اكثر ان يقول ليس معي أحد (في حالة النفي) او يقول لا يقدر عليَّ احد (في حالة التحدي) لأنه سبحانه مطلع على خلقه وهو معهم اينما كانوا ((وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير)) وفي الآية السابعة من سورة المجادلة ((الم ترَ انَّ الله يعلم ما في السموات وما في الارض ، مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر إلا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم)) .

وقد جاء في سورة البلد آيات اربع ابتداء من الآية الرابعة حتى السابعة وردت فيها كلمة (احد) وهي : ((لقد خلقنا الانسان في كبد . ايحسب ان لن يقدر عليه أحد . يقول اهلكت مالا لبدا . أيحسب أن لم يرَه احد)) ولا يخفى ما في ذلك من الاستفهام الاستنكاري ، فكلمة احد : للذوات العقلاء ككلمة : من : وذلك كقولنا : من في البيت ؟ بمعنى : افي البيت احد ؟ وعليه فمعنى الآية ((قل هو الله احد)) انه سبحانه ذات واجبة الوجود مهيمنة عليه ، متسنمة علي عرش كل ذرة من ذراته ، او خلية من خلاياه ، كما جاء في ختام

سورة يس : ((فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون)) وبيده سبحانه ناصية كل دابة ، مصداقا لقوله جل شانه فى سورة هود ((انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم)) (الآية ٥٦) وقوله سبحانه فى سورة المؤمنين : ((قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون)) (الآية ٨٨) .

الله الصمد : والصمد من يصمد لجميع ما يحتاج اليه الخلائق ويحفظها ويهيمن عليها ، وتطلق لغة ايضا على من لا جوف له فلا ياكل ولا يشرب ولا يحدث له ما يترتب على الاكل والشرب ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ومن معانى الصمد انه صامد للوجود كله وتصمد اليه جميع الخلائق ، وقد اورد بعض المفسرين فى تفسير كلمة الصمد ، انها تشمل صفات الكمال كلها لله جلت عظمته ، فاذا ما وجب علينا فى حالة النفى الاستشعار بوجود العلى القدير وجود هيمنة وعلم ، وجب علينا ايضا الاعتقاد بأن هذا الوجود لا يعتريه نقصان ولا زوال ولا تاخذه سنة ولا نوم ((ما تكون فى شان وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولافى السماء ولا أصغر من ذلك ولا اكبر إلا فى كتاب مبين)) (الآية ٦١ من سورة يونس) .

فاذا قال فرد أو اكثر مثلا وهو يتناول طعامه (أنه لا ياكل معى احد) فالجواب على ذلك هو الله احد معك ولكنه صمد منزه عن الاكل والشرب ، وعن كل ما لا يليق بجلال عظمته سبحانه وتعالى ، وفى باقى هذه السورة ، ما يؤيد المعنى المتقدم فكما أنه جل شانه لا ياكل ولا يشرب فانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

ولعلنا نستطيع ان نقول خلاصة لما تقدم انه سبحانه منفرد بالعلو اللانهائى فى غير بعد وبوحدانية صمدانية خلاقة وسعت كل شىء رحمة وعلما ، غنية عن الكفء قادرة على الابداع والحفظ والاعادة ، صامدة للوجود كله ، لا محل فيه لثان كند او كفو ، ((إن كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا)) الآيات (٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ من سورة مريم) .

وحدانية كمال مطلق غير محدود ، وليست وحدانية عدد لأن الواحد فى الحساب قد يفيد القلة كما يفيد الرقم الاول فقط تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ((هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم)) .

وكما جاء فى ختام سورة (الاخلاص) ((ولم يكن له كفوا أحد)) ومن آية الكرسى فى سورة البقرة ((يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم)) وقوله ايضا ((ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)) على أن الوحدانية القهارة موجودة فى كل آية من آيات كتاب الله ولا سيما السور الثلاث : الفاتحة ، والناس ، والفلق . ففى البسملة توحيد ، وفى قراءة الحمد لله رب العالمين توحيد ، وكذا الشأن فى كل آية بعد ذلك .

وقد جاء فى الاثر أن فى سورة الاخلاص صفة هذه الوحدانية وأنها أنزلت عندما قال العرب لخاتم رسل الله صف لنا ربك .

على أن هذه الوحدانية موجودة بالفطرة فى كل انسان عاقل يؤيدها العلم كلما تقدم ، فالانسان هو وعاء

العلم وبالعلم فضل آدم على الملائكة الكرام في الملأ الأعلى .

ومعنى ازدياد العلم في الانسان محاولة اكتشاف علم ما وراءه وهنا نتساءل : اذا كان ولا بد من الاعتقاد بان وراء علم هـذا الانسان علوما واسعة لم يصل الانسان الا الى النزر اليسير منها ــ فان ذلك يوحي للعالم ان وراء هـذا الكون مكوّنا ووراء هذا الابداع مبدعا يحـاول الانسان جهـده ان يكتشف ما يسـتطيع ان يكتشفه من اسرار ومكنونات ، ومن ابسط الامثلة سؤال يطـرح نفسه فهل لك ايها الانسان راى او مشاركة في خلق او في نظام ذرة واحدة من ذرات الكون اليابسة او خلية واحدة من خلاياه الرطبة ؟ فاذا كان الجواب لا : فمن هو ذا يا ترى ؟ وانه لتغلب الحيرة والبلبلة والظنة على الكثيرين، فيسمون ما يعتقدون وجوده قـوة خارقة ، وعـلم ما وراء الانسان ــ بالطبيعة تارة ، واللانهاية تارة اخرى، والدهر ثالثة، مع انهم لم يأتونابوصف او كنه لهذه الطبيعة او الـدهر او اللانهاية .

والسؤال الذى يفرض نفسه اذا كانت هذه الطبيعـة او اللانهاية او الدهر او غير ذلك من المسميات عاقلة قادرة سميعة بصيرة عالمة موصوفة بصفات الكمال كلها ، تنشىء وتطور وتكون وتبدع وتنظم وتحفظ ، فمـاذا نسميها اذا لم نسمها الله ؟ والفرق بيننا وبينهم اذن هو مجرد التسمية ، والمعبود بحق عندنا هو القوة المبدعة لهذا الوجود والمهيمنة عليه والمنظمة الحافظة له التى نسميها : الله ــ فاذا سماها الآخرون بلغاتهم باسم آخر فلا يضير ذلك عقيدة التوحيد بشيء وقد قال الاقدمون من قبـل ما قاله الطبيعيون ((تشابهت قلوبهم)) وذلك كمـا جاء في الآية ٢٤ من سـورة الجاثية : ((وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك مـن علم ان هم إلا يظنون)) .

وقد جاء في الاثـر عن الرسول صلى الله عليه وسلم : ((لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله)) اما اذا كانت الطبيعة كما يعتقدون صمـاء عمياء جاهلـة ، فان فاقد الشيء لا يعطيه ، وكيف خلقت لنا الطبيعـة سمعا وبصرا وهى لا تعرف السمع والبصر ؟

على ان العلم والفطـرة كفيلان بتوكيد وجود الخلاق العليم في تصور كل انسان شاء ام ابى ، والعلميهدى للايمان مصداق قوله سبحانـه في (الآية ٢٢ من سورة الروم) :

((ومن آياته خلق السـموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين)) .

(وفي الآية السادسة من سورة سبا) :

((ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد)) .

وفي (الآية ٢٨ من سورة فاطر) :

((ومن الناس والـدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلمـاء ان الله عـزيز غفور)) .

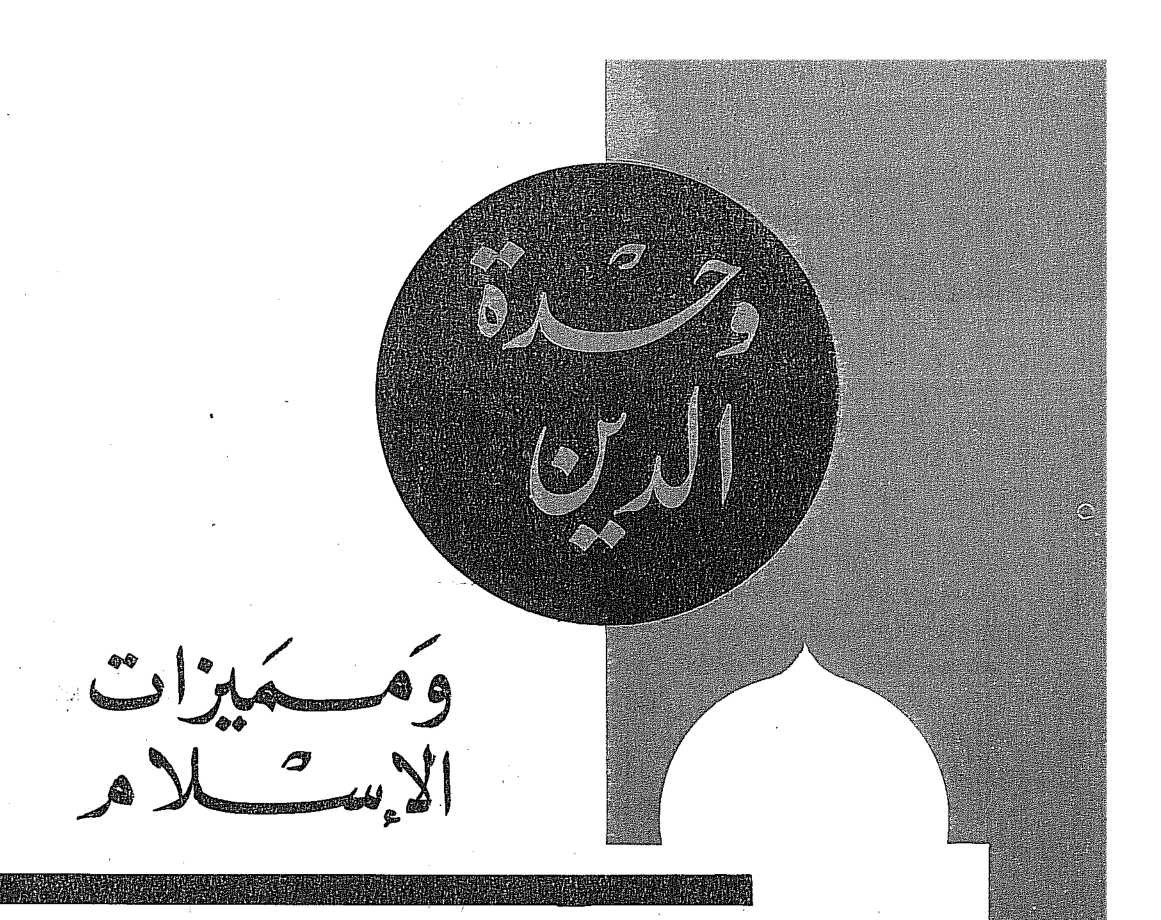
وقال جل شانه :

((قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخـرون للأذقان سجدا)). الآية (١٠٧ من سورة الاسراء) .

وقال سبحانه :

((وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد الذين آمنـوا الى صراط مستقيم)) .

(آية ٥٤ سورة الحج) .



للأستاذ محمد محمد أبو خوات

الأعمال فى نطاق التشريع الاسلامى هى الشطر الثانى من شطرى الدين ، والشطر الأول هو العقيدة اذ « الاسلام عقيدة وعمل » ، ولما كان العمل هو المظهر الانفعالى لما يسمعه الانسان ويراه ، أو لما يعتقده ويؤمن به ، كان الجزاء الدنيوى والحساب الأخروى على ما عمله الانسان هو مناط التفاضل — ولو فى الظاهر — بين انسان وانسان . قال تعالى : « وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون » (٧٢ — الزخرف) وقال تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (١٠٥ — التوبة) ، ولقد كان

العمل فى نطاق الدين مظهر شكر الله على جزيل نعمه على الشاكرين ، جاء ذلك فيما يفهم من قوله تعالى : « اعملوا آل داود شكرا ، وقليل من عبادى الشكور » (١٣ ـ سبأ) ولقد فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين وصف أحدهما بالكياسة ووصف الآخر بالعجز ، وما ذلك الا بسبب اختلافهما من حيث العمل .. قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه الترمذى عن ابى يعلى شداد بن أوس : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » ...

فللعمل ـ اذن ـ فى الاسلام خطره وأثره ، ويقوى هذا الأثر والخطر أو يضعف كل منهما بقدر مدى ارتباط العمل بمبادىء الشريعة قربا وبعدا وقوة وضعفا ..

فالعمل الذى مبعثه وغايته كلاهما طاعة الله ورسوله يسمى عملا شرعيا أو مشروعا يستند الى ما شرعه الله تعالى فى كتابه الكريم وما بينه رسول الله فى سنته الصحيحة ، وهذا النوع من الأعمال هو ما نريد الحديث فيه لنقرر أن الاسلام فى تشريعه الحكيم ، لم يخرج على القاعدة التى قررناها فى حديثنا ذاك حين تحدثنا عن العقيدة فقلنا : « إن العقيدة التى يدعى الخلق الى اعتناقها ينبغى أن تتلاقى مع نظرتهم وطبائعهم الأساسية التى لا يلحقها الاختلاف إلى حد التناقض » وكذلك لنبر بما وعدنا به آنفا من بيان أسلوب الاسلام فى أساس التكليف ويسر الاسلام وسماحته فى هذا الشطر الهام وهو الشريعة : ـ

١ ـ كان أسلوب الاسلام فى دعوته لتقبل التشريعات الاسلامية موائما لطبيعة الانسان على نحو بين واضح ، فنجده تارة يأتى بالحكم ثم يأتى بالعلة والحكمة التى ما يكاد المكلف يعرفها حتى يذعن فى يقين وحب وإقبال على الالتزام بالحكم عن رضا وطواعية ، وفى هذا المجال قد يأتى بالعلة عامة تصلح لموضوع الحكم ولغيره ، وقد يأتى بالعلة خاصة بالموضوع الذى يصدر الحكم فيه .. من الأول قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم .. لعلكم تتقون » ومن الثانى قوله تعالى فى حكم آخر من أحكام الموضوع « ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر .. يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون » .. وأكثر ما يكون هذا اللون من التعليل فى الأحكام التى لا يتقبلها غير المؤمن بسهولة ، فتحتاج الى اسهاب فى التعليل ولعل ذلك من طبائع الأشياء . ومنه قوله تعالى : « وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .. فلما كانت النفس تنفر بطبعها من الفحشاء ولا تقبل تلقائيا على ما تنكره النفوس ذات الطبع السليم ، كان نزوعها الى العمل الذى ينأى بها عنهما أمرا حبيبا إليها تكاد تتوق إليه . وذلك كله وغيره من مختلف التكاليف والأحكام الشرعية ينطلق من أصل واحد وهو قوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الدين يسر ، ولن

يشاد الدين أحد إلا غلبه » . . ومن هنا فاننا نلاحظ ان احكام الاسلام جاءت ملائمة لقدرات الانسان كانسان شأنه أن يكون قادرا على أداء هذه التكاليف فى يسر وسهولة ، فاذا عرضت له أحوال أو نزلت احداث تعوق أو تضعف قدرته على ادائها كان له هو بالذات حكم آخر يتواءم مع حاله انضواء تحت القاعدة الكلية : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » .

وينبغى هنا أن نبين ما لا بد من بيانه فى فهم هذه القاعدة . . لا بد أن نفرق هنا بين حالين . .

ا ــ أن يكون عدم السعة ناشئا عن عجز خلقى أو مرضى وبعامة « لا يصنعه الانسان لنفسه » .

ب ــ أن يكون عدم السعة والضيق بسبب تصرف خاطىء تصرفه المرء بثقة خارج نطاق التدين الصحيح . فمن خلقه الله غير مستطيع أن يركع أو يسجد لعجزه الخلقى . أو غير مستطيع أن يغسل وجهه بالماء مثلا لمرض فى وجهه . . سقط عنه التكليف بالأمرين مدة عجزه عنهما بغير معصية . . أما الرجل الذى ادمن الخمر حتى صارت احدى خصائصه ، أو المرأة التى تضع الأصباغ ذات الجرم على أظافرها أو تكوى شعرها فلا يستطيع الأول أن يؤدى فرائض الدين ، ولا تستطيع المرأة ان تتطهر من الحدثين أو أحدهما ، ثم يقول كلاهما : الدين يسر ، . .لا يكلف الله نفسا الا وسعها فهذان وأمثالهما لا يدخلان تحت هذه القاعدة لأنهما بتصرفهما الخاطىء أوقعا أنفسهما فى الضيق . ونخلص من ذلك بأن أسلوب الاسلام فى رسم أساس التكليف بالأعمال انما يقوم على أنه : لا تكليف بما لا يطاق على العموم أو على الخصوص على سواء .

٢ ــ أما يسر الاسلام وسماحته فى هذا الجانب « جانب التشريع » فأمر لا تدرك غايته وإليك القطر من البحر بما يتناسب مع المساحة التى لا ينبغى أن نطمع فى أكثر منها لمثل هذا المقال . .

من حيث النصوص العامة التي تؤيد ذلك وتؤكده ما سبق أن استشهدنا به من قوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » . . وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الدين يسر » وفى التطبيق العملى نجد الكثير الكثير : ــ ففى الصلاة مثلا تعطى الفرصة للمسافر ليقصر الصلاة الرباعية فيصلى الظهر والعصر والعشاء ركعتين فى كل منها بدل أربع ، وفى حال الخوف والقتال تربصا أو فعلا تؤدى الصلوات على وجه يتناسب مع الحال التى عليها الجيش ، حتى اذا انتهى القتال واطمأن المسلمون عاد أمر الصلاة الى ما كان عليه . وفى هذا المعنى يقول الله تعالى : « فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم . . . فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة » . . . وفى حال المرض يصلى المريض قاعدا فاذا لم يستطع يصلى مضطجعا فاذا لم يستطع يصلى راقدا فاذا لم يستطع حرك ما يستطيع من

اعضائه فاذا لم يستطع شيئا من ذلك اجرى اركان الصلاة على قلبه حتى يظل ــ وبخاصة في حال المرض ــ قريبا من ربه ذاكرا فضله شاكرا له سبحانه غير كافر وذلك غير ما يباح له من التيمم والمسح اذا لم يجد الماء أو عجز عن استعماله كما هو معروف . وفي الصيام مثلا رخص الاسلام للمريض والمسافر بجواز فطر كل منهما مع القدرة ، ووجوبه مع العجز أو تحقق الهلاك ، ولم يجز للمرأة أن تجمع بين اسباب ضعفين : ضعف الجوع الذي يمنع مدد الدم المتجدد للبناء والحركة ، وضعف النزف الذي كتبه الله على بنات حواء فحرم الصيام على المرأة حال الحيض والنفاس ، وأباح لها أن تفطر حال الحمل أو الرضاعة ان خافت على نفسها ، ولم يضيق في أمر الصيام على الشيخ الفانى والمرأة العجوز وغيرهما من كل من لا يطيق الصيام .. وفى الحج كان أمر المسلمين كما جاء فى حجة الوداع أيسر بكثير مما يفعله الحاج بنفسه في العهود المتأخرة ونكتفى فى هذا بذكر ما حدث يوم النحر فى منى حين كان الواحد من الصحابة يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله رميت ولم أذبح .. فيقول له : اذبح ولا حرج . ويأتى الآخر يقول : يا رسول الله ذبحت ولم أرم .. فيقول له : ارم ولا حرج .. يقول راوى الواقعة : فما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومها عن شيء إلا قال : افعل ولا حرج .. ولقد كان يحلو لبعض المسلمين من الزهاد أن يتباروا فى الزهد حتى ليخرجوا عن حد المألوف والمعتاد وحتى ليصلوا فى عملهم الى درجـــة تصحح وصفهم بالمتنطعين ، فيقول النبى صلى الله عليه وسلم عنهم : هلك المتنطعـون (ويكررها ثلاثا) والمتنطعون هم المتشددون فى غير موضع التشـدد . وأرى أن منهم من يقيد المباح بقيد يؤدى الى التضييق على الناس بزعم أنه الطريق الصحيح ولا صحيح ســواه ، ومنهم كذلـك من يجعل أمر السنة كأمر الفريضة يحاول أن يلزم بها نفسه وهــو فى الواقع غير مستطيع .

ولقد وصـــل بعض أصحاب رســول الله صلى الله عليه وسلم ــ على عهـده ــ الى الحـد الذى يرغبـون عنـده أن يكـونوا فى عبـادتهم وتقــواهم أكثر من رسول الله نفســه ، فألزموا أنفســهم بما لم يلزمهم به الله ولا رســوله ــ زهــدا منهم ورغبة فى رضاء الله تعالى ــ .. يروى انس رضى الله عنه قال : ــ جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها (يعنى اعتبروها قليلة) ..

وقالوا : أين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟!! قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليـل أبدا .. وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر .. وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ... فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهـم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟؟!! أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقـاكم

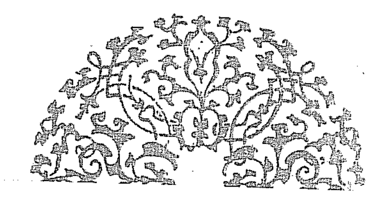
له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى .

ومن هذا القبيل ما رواه أنس رضى الله عنه أيضا من أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فاذا حبل ممدود بين الساريتين ، فقال : ما هذا الحبل ؟ قالوا هذا حبل لزينب (بنت جحش أم المؤمنين) .. تقوم تصلى فاذا فترت قامت فتعلقت به ... فقال النبى صلى الله عليه وسلم : حلوه ... ثم قال : ليُصلِّ أحدكم نشاطه فاذا فتر (تعب) فليرقد ... ولقد بلغ من حرص رسول الله على تثبيت أن الاسلام يسر فى نفوس أصحابه أنه كان يتابعهم فردا فردا فى هذا المعنى حتى تستبين شعائر الاسلام من بعد الدينين السابقين بما فيهما من تشديد فى التكاليف أو تشدد وتنطع سدا طريق التدين الصحيح أمام السالكين فمن ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قال : أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنى أقول : والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم أخبَر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟! قلت بلى يا رسول الله قال : فلا تفعل .. صم وأفطر ، ونم وقم ، فان لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا وان لزورك عليك حقا ، وان بحسبك أن تصوم فى كل شهر ثلاثة أيام ، فان لك بكل حسنة عشر أمثالها ، فاذا ذلك صيام الدهر ...

ولقد جعل عبد الله بن عمرو هذا يناقش رسول الله حتى انتهى معه الى أن يصوم يوما ويفطر يوما طول الدهر محتجا بأنه يطيق ذلك .. فلما أطال الله عمره وأحسَّ بضعف الشيخوخة وعجز الكبر قال : يا ليتنى قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وفى هذا المعنى نريد أن نتفهم أن اليُسْر فى الاسلام ليس مبعثه عدم الحث على كثرة الطاعات ودوام العبادات وإنما مردّه أمران : الأول أن رسول الله قد تعلم عن ربه أن النفس البشرية سريعة الملل ، وتعتورها أحوال ضعف لا تطيق فيها دوام الأعمال المرهقة فأخبرنا بأن أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه ، وكان يقول فى ذلك : عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يمل الله حتى تملوا .. ولما كان حمل النفس على ما يتعارض مع ما فطرت عليه يؤدى الى الانقطاع والملالة وربما يؤدى الى حديث النفس بما لا يجوز ، كان التيسير عليها وعدم إلجائها الى ما لا تطيق هو الطريق الصحيح الى تربيتها بالحب والطاعة عن رضا وقبول ... الأمر الثانى : أن هذه الرسالة لم تنزل ليتبعها قوم بأعيانهم ولا جيل من الزمان بعينه ، فكان مما لا بد منه لتحقيق ذاتها أن تكون مبنية على التيسير والتخفيف حتى يكون فيها زاد لكل مرتحل وطريق لكل سالك وأمل لكل عامل سواء فى ذلك جيل نزول الرسالة وما تلاه أو يتلوه من الأجيال الى قيام الساعة ... وبسبب هذين الأمرين كليهما أو أحدهما وردت أحاديث كثيرة فى بيان أسباب تحصيل الخير مما

يجعل ذوى النوايا الطيبة الذين لم يغرقوا فى الشرك والوان المعاصى اكثر أملا فى عفو الله ومغفرته واستحقاق رحمته. ولنقرأ أحد هذه الأحاديث عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « على كل مسلم صدقة .. قال : أرأيت إن لم يجد ؟ قال يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق .. قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف .. قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال يأمر بالمعروف أو الخير .. قال : أرأيت إن لم يفعل ؟ قال : يمسك عن الشر فانها صدقة » .. أخرجه الشيخان .

ولتنظر معى أيها القارىء : أين من هـذا اليسر ما كانت تشقى به جموع اليهود من جفاف فى العقيدة ومشقة بالغة فى تنفيـذ الأحكام التى كلفوا أن يقوموا بها عقابا لهم على شنىء الذنوب التى ارتكبوها فى حق الله نفسه وفى حق الأنبياء وفى حق الشعوب وفى حق أنفسهم ، وأين من هذا التيسير ما ألزم النصارى به أنفسهم من إلغاء طبيعة الانســان التى تقتضيه أن يبحث ويفكر ثم يعقل ثم يقتنع أو يفعل ، ومن إبطال حق النفس فى أن تأخذ بحقها اذا ظلمت ، ومن تحريم الوان من اليسر الذى أحـاط الاسلام به شئون الأسرة الى غير ذلك مما لا يحصى ، وصدق الله العظيم : « الذين يتبعون الرسول النبى الأمىّ الذى يجـدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » . والله سبحانه وتعالى يختم كبرى سور القرآن (البقرة) بآية واحدة تبدأ بالقاعدة وتفرع عليها أمور فى صورة دعـــوات تدل على كل ما قلناه : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » .. هذا ــ كما قدمت ــ قطر من بحر ، والمراد به أمثلة توضح ما قصد من العنوان الأول : « وحدة الدين ومميزات الاسلام » ولعلى أكون قد أوضحت .





رسم الاسلام للتربية منهجا متكاملا يتناول الانسان من جميع نواحيه بحيث لو طبق تطبيقا سليما . لخرج للمجتمع الاسلامي المسلم المتكامل السوى الذى يستطيع أن يحقق هدف الاسلام من التربية ، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الانسان فهو أعلم به وباحتياجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية، وهو الذى أرسل رسوله الكريم بمنهج التربية المتكامل الذى عني بجسم المسلم ، كما عني بروحه وعقله مراعيا في كل ذلك استعداداته وخصائصه واحتياجاته .

والانسان خلقه الله سبحانه وتعالى ليكون خليفة له فى الارض يقوم بتعميرها ونشر الأمن والعدل والسلام فيها (واذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة) ولذلك فقد كان أساس التربية الاسلامية دوام صلة المسلم بالله سبحانه وتعالى وكان المسلم القريب الى الله ليس هو صاحب المال ولا صاحب الشرف ولا صاحب المنصب بل كان هو الذى يسير على المنهج الذى أراده الله سبحانه وتعالى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

والانسان مزيج من الماديات والمعنويات واستخدام الانسان لطاقاته كلها يحدث توازنا بين مادياته ومعنوياته ذلك لان طغيان ناحية على ناحية يحدث أنواعا من الشذوذ على النحو الذى نراه فى المجتمعات الحديثة . فالتربية المتوازنة من الخصائص الواضحة فى منهج التربية الاسلامية .

ولقد عنى الاسلام بالطفل المسلم عناية كبيرة من قبل أن يولد وذلك باعداد البيئة المناسبة التى يتكون فيها ويتربى بين احضانها تلك هى البيئة التى تعنى به وتهيئه ليكون فردا سويا قائما بواجبه نحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه ونحو البشرية ونحو ربه الذى خلقه ، وبذلك يستشعر الرضا والسعادة فاشترط فى اختيار الوالدين الذين فقال النبى عليه الصلاة والسلام فى اختيار الزوج : (اذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) .

وقال فى اختيار الزوجة : (تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) .

للأستاذ : على القاضى

فى هذه البيئة الصالحة ينشـــأ الطفل ويتربى على الأساس الــذى رسمه الاسلام يتربى جسمه وتتربى روحه ويتربى عقله .

تربية الجسم فى الاسلام : ـــ

لكي يؤدى المسلم وظيفته فى هذه الحياة لا بد وأن تكون صحته سليمة وعضلاته قوية وحواســــه تــؤدى وظيفتها على أكمــل الوجوه بحيــث يؤدى كل عضو من أعضاء الجســم وظيفته وبحيث يكون هناك تناســق بين ذلك كله يؤدى الى حيوية الجسم والى طاقته الفعالة والى الاستفادة من ذلك كلـــه والا فما فائدة الحواس اذا لم ينتفع الانسان بها الانتفـــاع السليم الذى يميزه عن غيره مـــن الكائنات ؟ ما فائدة العين اذا كانت لا ترى الحقائق التى أمامها وما فائدة الأذن اذا كانت لا تسمع ما يفيدهـا فى حياتها وفى آخرتها ؟ ولذلك نعى القرآن الكريم على هؤلاء الذين (لهم أعين لا يبصرون بهـا ولهـم آذان لا يسمعون بها) وقال عنهم (أولئك كالانعام بل هم أضل) .

والاسلام يريد أجساما قوية يمكن أن تؤدى واجبها فى المجتمع الاسلامى ولذلك كان المؤمن القوى خيرا وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، كمـا يقول النبى عليه السلام ، ولذلك فقد أباح الطعام وبين المنهج الذى يسير عليه الاسلام فى هذا بحيث يستفيـد الجسم منه الفائدة الكاملة وبحيث لا يزيد عن حاجته فينتج منـه الضرر ، فالغذاء وسيلة لا غاية ، وسيلة تنبه المسلمين الى العناية بالاساليب التى تقوى الجسم وتهيىء المسلم لرسالته كالسباحة والمصارعة والفروسيـة وطلب أن يتعود الانسان الخشونـة « واخشوشنوا فان النعيم لا يدوم » . كما أن الاسلام وجه ويريد أيضا ذرية صالحة تؤدى وظيفتهـــا فى هـــذه الحياة فنظم الجنس لتكون ممارسته فى الحدود التى رسمها الاسلام حتى يضمن النظافة والاعتدال .

ذلك لأن الانسان أفضل مخلوقات الله سبحانه وتعالى وقد كرمه ربـه فبين له كيف يرتقى بطاقاته كلهـــا ويوفرها لاداء رسالته فى هذه الحياة وعمل على حفظهـــا من الهبـــوط والانطلاق فى ملذات الحياة ، فان ذلك يستنفد الطاقة ولا يترك رصيدا للقوة التى يؤدى بها المسلم رسالته فـى هذه الحياة .

ومن هنا فقد عمل الاسلام علـــى

تربية القوة الضابطة فى المسلم وتنميتها منذ الصغر ـ والصيام مثل واضح لوسيلة من وسائل الضبط التربوية التى شرعها الاسلام فالمسلم الذى يمتنع مختارا عن كثير من لذائذ الحياة المباحة يتعود على الارتفاع عن رغبات نفسه فيحقق بذلك كيانه وقوته وذاته ولا يصبح انسانا بغير قوة أو ارادة أو يفقد كيانه فى ناحية من النواحى التى لا يستطيع أن يتغلب فيها على نفسه وذلك مالا يرضاه الاسلام لفرد من أفراده .

والاسلام لا يترك قلب المسلم يعيش فى فراغ بل يربطه بالله سبحانه وتعالى وذلك « بمراقبته فى كل عمل من اعماله يربطه بتقواه التى يتسع معناها فتشمل كل شىء يقوم الانسان بعمله .

كما يربطه باليوم الآخر الذى فيه الجزاء الأوفى ذلك لأن الانسان اذا أحسَّ بأن الحياة الدنيا هى الفرصة الوحيدة له انطلق ينهل من لذائذها قبل فوات الأوان وإلا فإنه قد خسر بذلك كل شىء .

لكن الاسلام يبين للناس أن الحياة الدنيا فانية وأن متاعها قليل (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) .

تربيـــة الروح

نعنى بالتربية الروحية طريق التعرف على الله سبحانه وتعالى والاتصال به لتحقيق هدف الانسان فى الارض فالله خلق الجن والإنس لعبادته والطريق الذى رسمه الاسلام كله عبادة ... عبادة لا تكون مظهرا من المظاهر بل لا بد وأن تكون عميقة ذات أثر واضح فى حياة الانسان وفى سلوكه فتكون قائمة على أساس ايجاد الصلة القوية بين القلب البشرى وبين الله سبحانه وتعالى قائمة على خطة سلوك وعمل وفكر وشعور بحيث تدفع القلب البشرى الى الرجوع الى الله فى كل لحظة وهذا هو الضمان للمسلم فى عقد هذه الصلة .

وعبادة المسلم معناها أن يسير فى الطريق الذى رسمه الاسلام فالقلب يحمل شحنة قوية من الايمان والصلة بالله تدفعه الى العمل الايجابى الذى يريده الاسلام وكل عمل فى حياة المسلم يمكن أن يكون عبادة ما دام قد نوى ذلك (إنما الاعمال بالنيات) فالجهاد عبادة والسعى على العيال عبادة ومساعدة المحتاج عبادة وأداء الواجب عبادة وحتى الشهوة التى يضعها الانسان فى حلال عبادة .

والروح هى الطاقة التى يتصل الانسان بها بالغيب المحجوب عن الحواس . ووظيفتها الاتصال بالله سبحانه وتعالى فهى قبس من الله عز وجل (فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) .

وطاقة الروح لذلك كانت أكبر طاقات الانسان التى تؤثر فى سلوك الفرد كما تؤثر فى سلوك المجتمع ولذلك فقد عنى الاسلام بتربيتها بطريقة فريدة وذلك بعقد الصلة الدائمة بين الروح وبين الله سبحانه وتعالى بحيث يجعل هذه الصلة فى كل لحظة وفى كل عمل من الاعمال التى يقوم بها الانسان فى حدود طاقاته وامكاناته (فاتقوا الله ما استطعتم) وهذه الصلة تقتضى أن يكون العمل كله خالصا لله سبحانه

وتعالى والله لا يقبله الا اذا كان كذلك وهو بهذا يرفع من الضعف البشرى للانسان فيحميه من الانحدار الى مصاف الحيوانات ويبين له أن الله هو السند الحقيقى له وانه هو الذى بيده كل شىء وأن الناس لا يملكون له نفعا ولا ضرا ولا يملكون له موتا ولا حياة ولا نشورا . وفي ذلك يقول الرسول الكريم لعبد الله ابن عباس (احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك . تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف) .

فاذا ما حدث للانسان شىء يكرهه فقد يكون فيه الخير وهو لا يعرف وعليه أن يطمئن الى ذلك (وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) بل ان الشىء الذى يحبه الانسان قد يكون فيه شر وعلم ذلك كله عند الله سبحانه وتعالى الذى يتولى أموره بالعناية والرعاية وهو الذى يختار له الخير ما دام ملتجئا اليه وحده (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

وكل ما يصيب الانسان بعد ذلك له ثوابه عند الله تعالى حتى الشوكة يشاكها المسلم لها ثوابها وبذلك يستشعر الرضا الذى يشيع على حياته الأمن والطمأنينة وهذا ما تفتقده المجتمعات الحديثة ، وذلك أسمى ما يحتاج اليه الانسان فى هذه الحياة .

تربية العقل

العقل البشرى من الطاقات التى انعم الله بها على الانسان يتبين هذا فى قوله تعالى (قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) ولقد استطاع الانسان فى العصر الحديث أن يستخدم عقله على نطاق واسع فاكتشف أشياء كثيرة استخدمها استخداما واسعا فى المجتمع البشرى ولكن تربيته لم تكن متكاملة ، ولم يكن له رصيد روحى يوجه هذه الطاقة وتلك الاكتشافات الى الخير ، ففتن بما وصل اليه وطغى وتجبر ونتيجة ذلك كله أن البشرية أصبحت تعيش فى مشكلات لا نهاية لها فشقى الانسان بدل أن يسعد وأصبح العقل نقمة على البشرية بدل أن يكون نعمة تنتفع به ، والاسلام يهدف الى سعادة الانسان والى اقامة الحياة فى الارض على أساس من الحق والعدل فعمل على اصلاح القلب البشرى ووجه الطاقة العقلية الى التأمل فى حكمة الله سبحانه وتعالى (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون) كما وجهها الى حكمة التشريع الذى انزله الله ليطبق فى الارض (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب لعلكم تتقون) وطلب من المسلمين أن يكون احقاق الحق بالنسبة للناس جميعا حتى تستقر النفوس وتهدأ القلوب (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) ولكى يكون لهذا المنهج فاعليته واستمراره فقد جعل الاسلام كل فرد فى هذا المجتمع مسئولا عن المحافظة عليه فى حدود امكاناته (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) وهذه المسئولية ليست مسئولية سلبية بل هى ايجابية فالنصيحة مطلوبة (الدين النصيحة) والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان)

بل إن هذه الأمة كانت خير أمة أخرجت للناس لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فان لم تسر على هذا المنهج فانها ستكون كبنى اسرائيل الذين لعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم لأنهم (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) والمسلم مطالب بأن يكون مع الطيب ولو كان قليلا وان يبتعد عن الخبيث حتى ولو كان منتشرا مع اعجاب الناس به لانه تطور ومن مظاهر التقدم (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) .

والاسلام يقدر الطاقة العقلية ويدربها ليستخدمها المسلم فى الخير وقد وضع لذلك المنهج الصحيح للنظر العقلى فطلب تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط ولذلك فقد نعى على الانسان التقليد المطلق الذى لا يستخدم العقل (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون قال : أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) .

لذلك تميز المسلمون بالدقة العلمية فى أبحاثهم رغم قلة الامكانات التى كانت معهم .

والاسلام يوجه العقل البشرى الى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور الحقيقية فى المجتمعات ويستخدم طاقاتها الواعية فى تدبرها والبحث عن أسبابها ونتائجها (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) كما يوجهه الى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الانسان (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) .

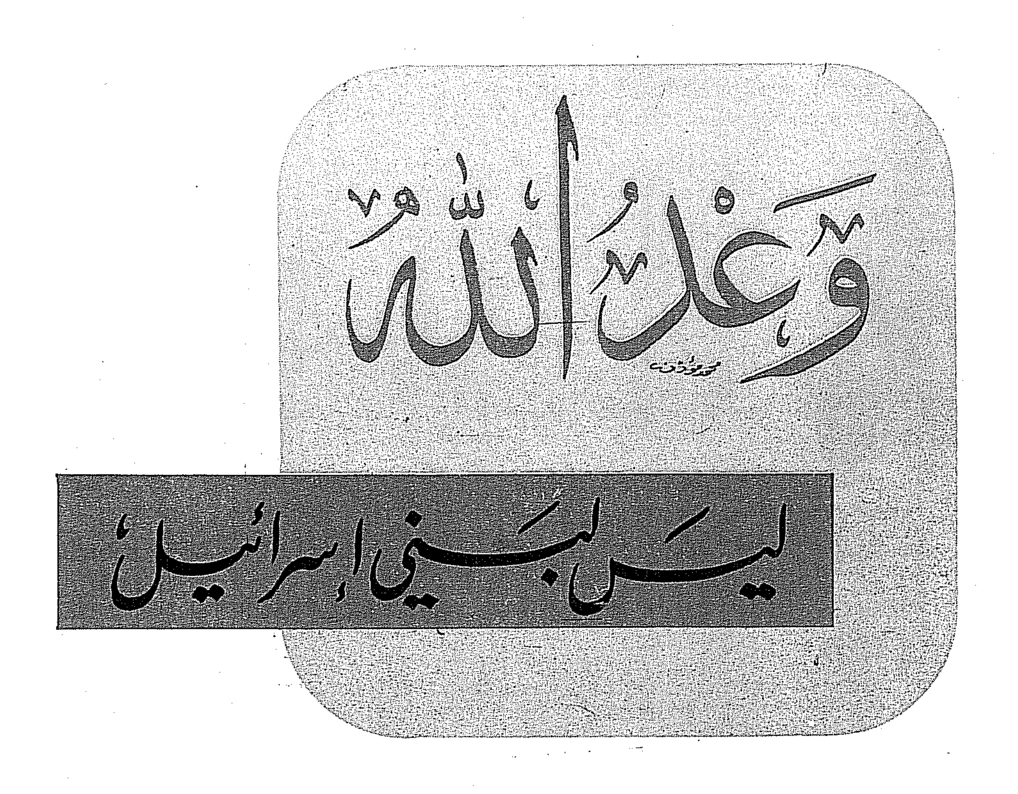
والمذهب التجريبى هو فى اصله مذهب اسلامى يقول (جب) فى كتابه « الاتجاهات الحديثة فى الاسلام » (اعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظات التفصيلية الدقيقة التى قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة وانه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبى الى أوربا فى العصور الوسطى) .

كما يقول « بريفولت » فى كتابه : (بناء الانسانية عن أصول الحضارة الغربية) : لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن كانت بطيئة .

ومما يميز هذا المنهج أن العلم سار فى ظلال العقيدة فلم ينقطع عن الروح ولذلك لم يوجد بين الدين والعلم فجوة كتلك التى نراها فى العالم الغربى .

وقد رفع الاسلام من شأن العلم والعلماء (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وقد جعل النبى الكريم العلماء ورثة الأنبياء وحث القرآن الكريم العلماء أن يعلموا غيرهم لينتشر العلم (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) .

وهكذا يكون منهج التربية فى الاسلام منهجا متكاملا يعنى بتربية الجسم والروح والعقل حتى لا تطغى ناحية من النواحى ، وبذلك ينشأ المسلم سويا قوى الصلة بالله محققا لرسالته فى هذه الحياة فيسعد المسلم وتسعد البشرية كلها .



للأستاذ : محمد عبد الرحمن عبد اللطيف

مقدمــــة :

تعتبر قضية فلسطين ذات أوجه متعددة يحار كاتب التاريخ بين الوانهـــا المتنافرة فهي قضية شعب بقدر ما هي قضية أمة ، وهي قضية دنيا بقدر ما هي قضية دين .

وسأحاول في هـــذا المقـام المحدود أن أتناول جانبا هامـا من جوانب هذه القضية ، وهو مناقشة الأساس الديني الذي قامت عليه دولة اسرائيـــل ، وادعاءاتها المتكررة في كل أسفارها بوجود وعد إلهي أبدي يمنحها فلسطين وما حولها شرقا وغربا منحة أبدية دون التزام دنيوي أو ديني .

وقد ورد الوعد الإلهي في العديد من أسفار التوراة منحـــة من الرب إلـــي أنبيائه ورسله وشعبه المختار ، وسيكون منهجي في بحث هذه القضية مناقشـــة أركانها الآتية :

أ ــ الوعد الإلهي كمنطوق ورد في أسفار التوراة .

ب ــ إله يملك القدرة بجانب صفات الألوهية ليمنح هذا الوعد .

حـ ــ أنبياء يتحملون مسئولية إبلاغ هذا الوعد وقيادة أمتهم لتحقيقه .

د ــ شعب مختار ندبته السماء لتحقيق وعدها وموعودها .

وهذه الأركان تعتبر وحدة متماسكة لا بد من قيامها جميعا لتقوم قضية الوعد على أساسها .
وسنرى مدى صدق كل ركن من هذه الأركان من وجهة النظر الاسرائيلية ، ثم نبحث نفس هذه الأركان من وجهة النظر الاسلامية لنقيمها على أساس سليم من الصحة والصدق والوضوح بين العبد وخالقه وبين العبد وغيره من بنى البشر ، او ما يمكن أن نسميه وعد ملتزم بسلوك دينى ودنيوى .

الوعـــد الإلهى :

فى سفر التكوين يقول الرب لإبراهيم : (اباركك مباركة واكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذى على شاطىء البحر ويرث نسلك باب أعدائه ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض .)
ويتطور الوعد فى سفر التثنية ليقول لبنـــى اسرائيل (كل مكان تدوســه اقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربى يكـــون تخمكم لا يقف انسان فى وجهكم . الرب إلهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كـــل الأرض التى تدوسونها كما كلمكم) .
ونحن نرى فى النموذجين السابقين وقد اخترتهمـــــا من عديد الصـــور والصياغات لمنطوق الوعد مدى ما يمكن أن نسميه التوســـع الإقليمى الذى خططته اسرائيل منذ القدم فى أسفارها .
ولا بد أن نوضح هنا مسألة هامة ترتبط بقضية الوعد وهى أن الوعـــــد الإلهى يرتبط دائمـــا بنظرية الشعب المختـــار الذى لا يلتزم بأية ميزة أخلاقيـــة أو دينيـــة .
ففى سفر التثنية يقول الرب لاسرائيل (إنك يا اسرائيل شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم ولا لأنكم اقل من سائر الشعوب بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذى أقسم لآبائـــكم) .
فنظرية الشعب المختار فى التوراة لا تقوم على أية ميزة أخلاقية أو دينية أو التزام من أى نوع ، فهى لا تقبل أى دفع من الدفوع ، ولا يمكن محاسبتها بميزان العقيدة ، لأن الرب هو الذى أقسم أن يبر هذا الشعب مهما كان سلوكه ومهما كان انحرافه .
وبدراسة السمات العامة لمنطوق الوعد فى التوراة نجد الآتى :
أ ــ الوعد يعطى لبنى اسرائيل حق ملكية أرض فلسطين وما حولها ملكية تامة .
بــ هذا الوعد ليس قاصرا على ابراهيم ، ومن جاء بعده من الأنبيـــاء ، وإنما هو لبنى اسرائيل ابد الدهر .
جـ ــ الوعد مفتوح لا حدود له ولا شروط وليس له أى التزام دينى أو أخلاقى سوى نظرية الشعب المختار .
د ــ تطور منطوق الوعد فى أسفار التوراة يجزم بالرغبة القديمة فـــــى التوسع الإقليمى لبنى اسرائيل .
هـ ــ خلا الوعد من أى مدلول دينى أو التزام أخلاقى .

و ــ من الصياغات المختلفة لنص الوعد نرى أن الرب هو الذى يحفظ العهد للبشر وليس العبد هو الذى يحفظ عهد الله وهو وضع لا نجد له مثيلا فى تاريخ الأديان والعقائد .

ونحن باستعراض هذه السمات ومع التسليم المطلق بعدالة الله واستحالة وقوع الظلم منه نرى أن الوعد بهذه الصورة يبعث على الدهشة لأن الله جل شأنه إذا كان قد اختار شعبا وميزه وجعله خليفته فى الأرض فلا بد أن يتمتع على الأقل بميزة التدين ولكن التوراة نفسها تمتلىء بكل الموبقات الدنيوية والمراسم والطقوس الوثنية وموسى عليه السلام يقوده بنفسه إلى دنيا التوحيد فلا يكاد يصل من ذلك الى شىء حتى انه يكاد يضرع إلى الله فى القرآن حين يقول : (رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى) .

كما أن الله لا يمكن أن يعطى وعدا بدون مقابل أو التزام دينى يفى به الاسرائيليون ولنا ان نتصور شعبا يعيث فى الأرض فسادا ومعه صك بتأييد لا حدود له من جانب السماء فهو خليفة الله وسيد شعوب العالمين وهو مفهوم لا يستقيم مع تصور العدالة الإلهية .

كما أن الوعد لم يوضح لإسرائيل الخطة الواجب اتباعها لتحقيق الوعد وزمن تحقيقه حتى أننا لنعجب أشد العجب حين نرى أن التوراة أيام نبى الله سليمان عليه السلام تزخر بصيغ الوعد المختلفة ورغم كل ما وهبه الله من قوة وعظمة وملك ونبوة لا يتحرك لتحقيق الوعد والاستيلاء على أراضى المنطقة من النيل إلى الفرات . فهل اختلقت هذه القضية بعد ذلك أيام الأسر البابلى ؟!

أما أن نبى الله ــ وحاشى له ذلك ــ قد تقاعس عن تنفيذ وعد الله رغم توافر كل سبل العمل أمامه لتحقيق هذا الوعد ؟!

وتلك أمور تدعو إلى القول بأن كل ذلك ينافى عدالة السماء وهى شريعة الله كما وأن الصياغة والتأليف واضحان فى أسفار التوراة وكلها أمور تهدم هذا الركن من أركان قضية الوعد ، وعلينا أن نناقش بعد ذلك الركن الثانى وهو : الله مانح الوعد .

الله فى التوراة :

ان أبسط صفات الله ــ واهب الوعد هى القدرة ولكن حتى هذه الصفة حرمتها التوراة على الله فهو إله متغير ــ صارم ــ بالغ العنف ــ رهيب مخيف ــ يدعو إلى سفك الدماء واستعباد الشعوب وامتلاك أرض الشعوب وهو إله لبنى اسرائيل دون سائر البشر .

وهو بنص كلمات التوراة يمشى فى الجنة ويقابل بها آدم وهو يبكى ويحزن ويعتريه ما يعترى الإنسان من مشاعر وعواطف وهو يتجسد أمامهم مرة فى عامود دخان ومرة فى سحاب وأخرى فى نار وهو أحيانا يرى رأى العين كما رآه موسى وسبعون معه من شيوخ بنى اسرائيل كما جاء فى سفر الخروج .

ثم هو يتقبل تعنيف موسى له حين يقول له (ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك ... فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه) .

وهو يدعو إلى التدمير والتنكيل والذبح والقسوة فيقول فى سفر التثنية (حين تقترب من مدينة .... واذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها

فتضمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك ... وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما) .

قتل وسلب ونهب وتدمير هي نصيب الأمم التي يدفعها حظها العاثر أمام بني صهيون فليس عجيبا ما نراه يجري في مدن فلسطين والأراضي المحتلة لأن كل ذلك جزء لا يتجزأ من معتقداتهم الدينية وتعاليم الرب إليهم . والرب عندهم فـي التوراة هو (يهوه) وهو إله اليهود فقط وليس لبني البشر حق في ملكوت هـذا الرب وإنما الرفعة والعلو لبني اسرائيل فقط . ففي سفر أشعيا (ويقف الأجانب ويرعون غنمكم أما أنتم فتدعون كهنة الرب تأكلون ثـروة الأمم وعلى مجدهـم تتآمرون) .

وقد أعطاهم (يهوه) هذه التعاليم والأساليب الشيطانية لأن الصهيونية جزء من الله أما باقي الشعوب فهي أشبه بالحيوان وبيوت عبادتهم ليست سوى حظائر حيوانـــات .

ومن مجمل هذه الصور نرى أن الله بهذه الصورة التي وردت في أسفـــار الصهيونية غير قادر على إعطاء وعد كبير كهذا وإذا كان قد وعد فهو غير قـــادر على تحقيق هذا الوعـــد .

ولنا أن نشك في التلازم بين الوعد والله على هذه الصورة أو أن نشك في الذين أرخوا وصوروا جوانب القصة التي لا يستطيع العقل أن يسيغها . فيكون أقرب إلى الخيال والمجاز أن نتصور وعدا مفتوحا دون شروط أو التزامات من رب له صفات بشرية وغير قادر إطلاقا بل يأتمر أحيانا بأمر رسله . ولكن يمكننا علـــى الجانب الآخر أن نرى وعدا مشروطا محددا بالتزامات دينية وخلقية وربا قادرا على كل شيء حتى يمكن للعقل أن يسيغ هذه القضية . أم أن البشرية في سيرها على درب تطورها وتقدمها الإنساني قد كتب عليها أن تنتظر إلى أن يحين تحقيق هـذا الوعد فتطأ الشراذم الصهيونية أراضي ما بين النيل والفرات وتسود الأمم كمنطوق الوعـــد .

ومجمل القول أن بني اسرائيل لم يكونوا متحمسين أو راغبين في الأخـــذ بالمسئوليات الأخلاقية والدينية ولهذا أرخوا تأريخا لا يتفق مع الحقيقة ونسبـــوا لأنفسهم ما لا حق لهم فيه .

الأنبيـــاء في التـــوراة :

لعل القاريء سينتظر أن أسرد عليه روائع الصفات التي أضفتهـــا التوراة على أنبياء بني اسرائيل الذين كانوا الواسطة بين الرب وشعبه في تبليغ الوعد وقيادة أمتهم إلى تحقيقه ولكن شيئا من ذلك لم أجده في التوراة بـــل رأيت أحط الأخلاق تلصق بهم وأخس الصفات يوصم بها سلوكهم . ولم يرق مســـتوى أي منهم الأخلاقي إلى مستوى الرجل العادي من شـــعب اسرائيـــل فمنهم الزانـــي والمارق والخائن والجبان والكافر وغير ذلك من قبيح الأوصاف وهي صفات نزه الله منها أنبياءه الذين اصطفاهم من أكرم الخلق وأطهر البشر .

فنرى أن التوراة لم تعف ابراهيم أبو الأنبياء حتى من هذا الأسلوب رغم أنه صاحب الوعد الأول .

فتذكر فى سفر التكوين انه حين نزل إلى مصر قال لزوجته : (قال لساراى امراته إني قد علمت انك امراة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أن يقولوا هذه امراته فيقتلونني ويستبقونك . قولي انك اختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسي من اجلك) .

وهى صورة غريبة فى حياة الأنبياء : رجل يعرض جمال امراته لينال من ذلك خيرا ويجبن فى الدفاع عن عرضه فينكر عقد زواجه ويدعى أن امراته هى أخته وتلك هى طبيعة المساومة الفريزية فى خلق الصهيونية .

واكاد أجزم استنادا إلى المفهوم الحقيقى لرسالات السماء أن ابراهيم وفد الى مصر كنبى يدعو إلى رسالة ربه ولم يدفعه جدب الأرض إلى ذلك كما ذكرت التوراة .

وتستطرد التوراة فى سرد أقاصيص العبث فى بيت ابراهيم الحائر بين زوجته سارة وهاجر حتى انتهى الأمر الى إلقاء هاجر وابنها اسماعيل فى هجير الصحراء وفي يدها قربة ماء وليس هنا ذكر لرحلة ابراهيم واسماعيل إلى مكة ولا حديث عن بناء الكعبة ولو بكلمة واحدة رغم ما حفلت به من صغائر الأمور وسبب ذلك أن كاتب التوراة أراد الا يلفت النظر التاريخي إلى بيت غير بيتهم فى أورشليم وإلى فرع للنبوة من نسل اسماعيل غير فرع نبوة اسحق وتلك قضية تحتاج إلى الكثير من التوضيح فى غير هذا المجال . ولكن ما يهمنا بيانه هنا هو سرد صورة ابراهيم الداكنة فى التوراة وفى نهايتها إغفال تام ربما لنصف رسالته وهى بناء الكعبة حتى لا يشاركهم أحد فى قضية الوعد كما وضعوه .

وتسترسل التوراة فى سرد مخازى الأنبياء فتخبرنا أن يعقوب أخذ عهد النبوة من ابيه اسحق بناء على مؤامرة خسيسة بينه وبين أمه خدعا فيها الأب بعد ضعف بصره .

وفى سفر التثنية نرى أن رأوبين قد زنى مع امراة أبيه يعقوب كما سرد سفر التكوين قصة الزنا التى ارتكبتها دينة ابنة يعقوب من لياة مع أحد أبناء سادة شكيم فى الأردن . وكذلك قصة الزنا بين يهوذا بن يعقوب وزوجة ابنه .

وهو مفهوم مزرى لا يمكن أن نسلم بحدوثه فى منازل الوحى وبيوت الأنبياء .

وفى سفر الملوك الأول نرى أن سليمان تزوج بالوثنيات حتى أملن قلبه إلى عبادة الأوثان وترك الوحدانية حتى قال السفر (فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب) وصورة سليمان فى التوراة لا تتناسب مع ما منحه الله من ملك عظيم وحكمة بالغة ونبوة معروفة لم تحدثنا عنها التوراة وإنما سردت المخازى ولفقت التهم .

ثم نرى صورة لوط النبى الكريم وقد زنى بابنتيه بعد أن شرب الخمر وذلك فى سفر التكوين .

كما أن اسحق عرض زوجته على احد ملوك المنطقة .
حتى موسى الذى انقذهم من فرعون وغضبه حرمه الرب وغضب عليه .
وهرون الصقوا به تهمة صناعة العجل الذهب وقادهم لعبادته حينما ذهب موسى لملاقاة ربه وبرأوا شعب اسرائيل من هذه التهمة حتى جاء القرآن ليغير حقائق العقيدة ويسلط الأضواء على السلوك الرفيع لأنبياء الله ويعفى هرون من تلك التهمة المشينة .

ولا يكفى هذا المقام لسرد اللوحات القاتمة لصور الأنبياء فى التوراة ويكفينا ما ذكرناه لنرى أن هؤلاء الأنبياء بوصفهم الذى جاء فى التوراة لا يمكن أن يقوموا بتبليغ وعد إلهى سبق ذكره أو قيادة أممهم لتحقيق هذا الوعد الخطير . وكان لنا فى هذه الحالة أن نشك فى قضية الوعد برمتها وقد رأينا هذا الركن الهام من أركان هذه القضية لا يمكن أن يقوم .

الشعب المختار :

ليس لنا إلا التوراة مرجعا لبيان حالة الشعب الذى عليه أن يحقق وعد الله كما جاء فى توراته ولنرى هل يمكن لشعب هذه مقوماته وتلك مثله واخلاقياته أن يقيم مجدا ويبنى تاريخا ؟!
فالتذمر صفتهم والتمرد سلوكهم حتى وهم فى مصر مع موسى يحاول الخروج بهم من سجن فرعون الكبير ثم أن بنى اسرائيل لم يدينوا بالوحدانية فعبدوا العجل بمجرد أن تركهم موسى لملاقاة ربه .

ولم يحترم بنو اسرائيل الأنبياء فى أسفارهم كما سبق توضيح ذلك بل لم يحظ الله لديهم بالتقدير والتنزيه .

ولم يخلص بنو اسرائيل لعبادة الله ففى سفر التثنية (كنتم تقاومون الرب حتى فى حوريب اسخطتم الرب عليكم) . واستمر ذلك الضياع حتى جاء النبى يحيى ليصرخ فى وجوههم : — (يا أولاد الأفاعى) .

وحتى انذرهم السيد المسيح بقولته (إن العشارين والزوانى ليسبقونكم إلى ملكوت الله) .
فقد كانوا لا يدينون بأية قيم اخلاقية بل يدعون أن الرب يدعوهم الى النهب والسلب (طلبوا من المصريين أمتعه فضة وذهبا وثيابا واعطى الرب نعمة فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين) وذلك حين قدروا الخروج من مصر فاستعاروا امتعة جيرانهم ثم سلبوها وهربوا ليلا !!

واشترط بنو اسرائيل على موسى رؤية الله اولا حتى يؤمنوا به وهى طريقة فريدة فى عالم الأديان بل طلبوا فى وقت من الأوقات من موسى عبادة الأصنام بعد خروجهم من مصر .
والتوراة تزخر بالمخازى التى فعلها بنو اسرائيل بعد دخولهم فلسطين حتى أن دخولهم إليها عن طريق امرأة من الساقطات مجدتها التوراة !!

ورغم ما زخرت به التوراة وما يحويه القرآن الكريم فى حكمه على هؤلاء المتطفلين على دنيا الأديان نحتكم إلى التاريخ الحضارى لنتساءل : هل قام لليهود سلطان بمعناه المتعارف عليه فى فلسطين ؟

وهل حفظ لنا التاريخ آثار حضارة اسرائيلية مادية أو أدبية ؟

وهل يعرف العالم شيئا عن الفن الاسرائيلى أو العمارة الاسرائيلية أو الأدب الاسرائيلى أو العلم الاسرائيلى ؟ وإن كل ما يحدثنا به التاريخ أسفار تحوى عفن قرون من الأكاذيب والأحقاد وارتكاب الفواحش .

حتى الأدب الغربى قد امتلأ بشخصيات أصبحت علما على اليهود حتى قبل أن تظهر فى الوجود القضية الفلسطينية . فنرى شخصية (شيلوك) التاجر اليهودى الجشع فى مسرحية شكسبير (تاجر البندقية) يرمز بها إلى أحط الطبائع وأبشعها .

ثم نرى شخصية (فاجن) التى أبدعها الروائى الانجليزى شارلز ديكنز فى روايته (أوليفر تويست) ويرمز بها إلى دور اليهود فى العبث بشباب المجتمع الانجليزى وتربيته على الجريمة .

ولنا أن نتساءل بعد كل ذلك : هل يمكن لشعب هذه صفاته وتلك إمكانياته المحدودة ومقوماته المتواضعة أن يقيم دين الله فى الأرض ثم يدعى لنفسه حقا يغتصبه بأنه سيد شعوب الأرض .

وهل استطاع هذا الشعب أن يرقى إلى مستوى الكرامة التى أرادها له الله جل شأنه حين ندبه لأداء الأمانة ، وتأدية الرسالة على يد موسى الكليم ؟!

وهل تقص علينا التوراة شيئا من قوة الايمان وصدق العزيمة فى هذا الشعب وهى صفات كان يجب أن نراها فيمن أراد أن يحقق وعدا إلهيا وعهدا ربانيا .

بل تمرد بنو اسرائيل وثاروا بمجرد تلقيهم كلمة السماء من موسى عليه السلام وطالبوه بالعودة الى مصر مرة وبعبادة العجل مرة أخرى وبرؤية الله مرة ثالثة ولم تنته متاعب موسى منهم إلا بعد حكم التيه الذى أنزلته بهم السماء .

وبهذا نرى أن شعب الله المختار إنما هو شعب معقد يمثل بقايا متحجرة فى قوقعة تاريخية تتكلم لغة غريبة عن دائرة العقائد ، وما وصلوا إليه ليس من الدين فى شىء وإنما للقضية أوجه أخرى لعل الدين أبعد وجه عنها .

ولعلنى فى هذا المقال استطعت أن أناقش الأركان الأربعة لقضية الوعد الإلهى من وجهة النظر الإسرائيلية لكى نحكم بأنها أقيمت على أسس واهية لا تحتاج إلى كثير عناء وكبير جهد لكى نهدمها ونرفضها .

ولكى يكتمل هذا البحث المختصر يجب أن نحاول إقامة هذه الأركان ومناقشتها من وجهة النظر الإسلامية ، والقرآن نورنا ، والتاريخ شاهدنا لنرى لمن كان الوعد ، وما هى حقيقته ولنشهد كلمة التاريخ ، وهى تخبرنا عن الحقيقة المذهلة عن الذين حققوا الوعد بمنطوقه حتى لو أخذنا بنص التوراة ، وذلك كله يحتاج إلى مقال آخر .

مائدة القارئ

الرجل يخطب لبنته

١ ــ قال شعيب لموسى عليه السلام : « إني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين . قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل » .
(القصص : ٢٧)

٢ ــ قال عمر بن الخطاب وقد مات زوج ابنته حفصة : لقيت عثمان بن عفان ، فعرضت عليه حفصة ، فقال : سأنظر في أمري ثم لقيته ، فقال : قد بدا لي الا أتزوج . ثم لقيت أبا بكر ، فعرضت عليه حفصة ، فصمت ولم يرد علي ، ثم لقيته ، فقال لي إنه لم يمنعني أن أرجع اليك فيما عرضت على الا أني كنت علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ، ولو تركها لقبلتها .

٣ ــ قال عبد الله بن أبي وداعة : افتقدني سعيد بن المسيب ، فلما اتيته ، قال : أين كنت ؟ قلت : توفيت أهلي فاشتغلت بها . قال : هل استحدثت امرأة ، فقلت يرحمك الله ، ومن يزوجني ، وما أملك إلا درهمين أو ثلاثا ، فقال : أنا ، ثم حمد الله وصلى على النبي وزوجني ابنته على درهمين ، وكان أحد الخلفاء قد طلبها منه فأبى أن يزوجها له سعيد رحمه الله .

حلم الربيع

قال الربيع بن سليمان صاحب الإمام الشافعي : رأيت في المنام أن آدم مات ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويريدون أن يخرجوا بجنازته ، فلما أصبحت سألت بعض أهل العلم عن ذلك ، فقال : هذا موت أعلم أهل الأرض ، إن الله عز وجل علم آدم الأسماء كلها .. فما كان الا يسيرا حتى مات الشافعي رحمه الله .

وفاة الشافعي

قال الربيع بن سليمان : توفي الشافعي رحمه الله ورضي عنه ليلة الجمعة بعد المغرب وأنا عنده ، ودفن يوم الجمعة بعد العصر آخر يوم من رجب وانصرفنا من جنازته ورأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين من الهجرة .

اغرقه العروض

جلس ابو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس النحوى المصرى على درج المقياس على شاطىء النيل ايام الفيضان – وهو يقطع بالعروض شيئا من الشعر ، فقال بعض العوام : هذا يسحر النيل حتى لا يزيد، فتغلو الاسعار ، ودفعه برجله فى النيل ، فلم يوقف له على خبر .

حافظة المتنبى

اشتهر ابو الطيب المتنبى بقوة الحفظ ، وروى انه كان عند احد الوراقين يوما ، فجاءه بكتاب من نحو ثلاثين ورقة ليبيعه ، فاخذ ابو الطيب الكتاب واقبل يراجع صفحاته ، فلما مل البائع استعجله قائلا له : يا هذا لقد عطلتنى عن بيعه ، فان كنت تبغى حفظه فذلك بعيد عنك .. قال المتنبى : فان كنت حفظته فمالي عليك .. ؟ قال الرجل : اعطيكه ، قال الوراق : فامسكت الكتاب اراجع صفحاته والغلام يتلوها به حتى انتهى الى آخره ، ثم استلبه، فجعله فى كمه ومضى لشأنه .

لا ادرى

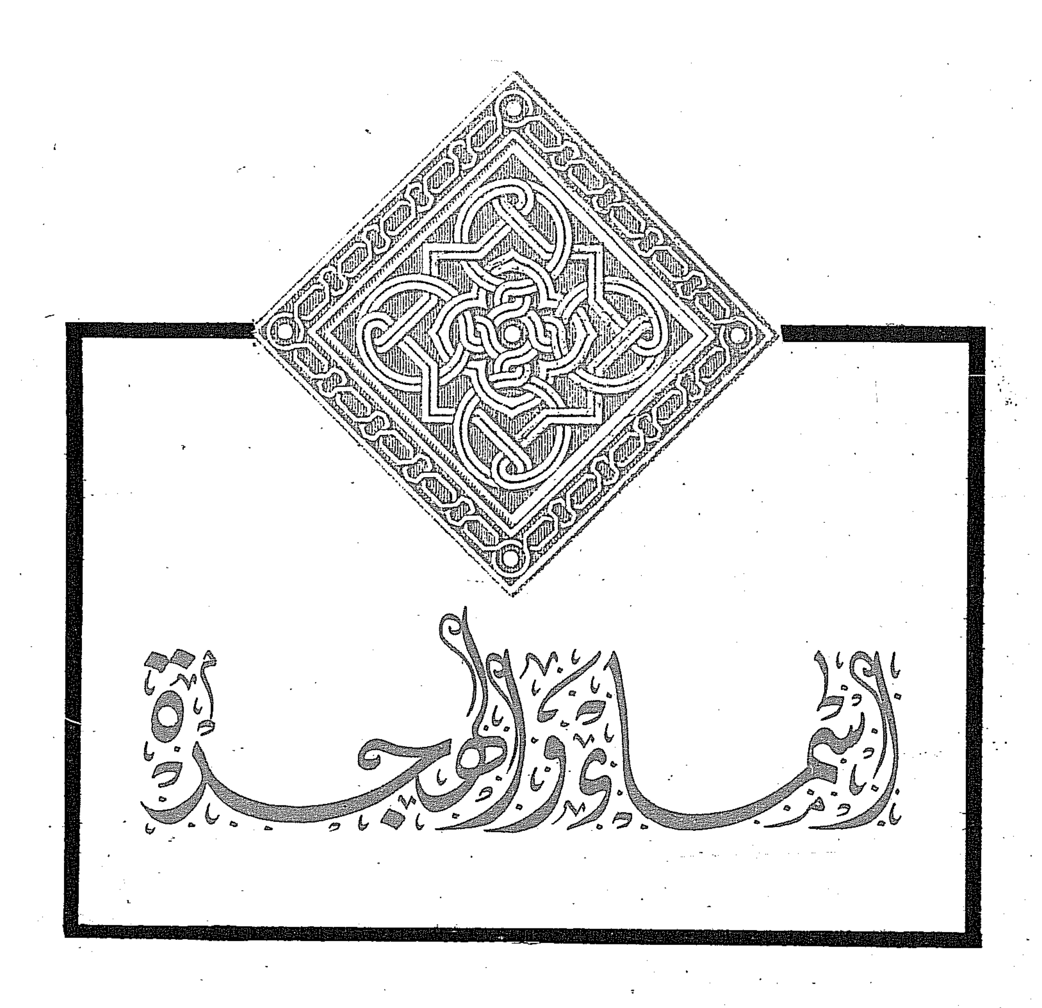
كان ابراهيم بن طهمان يتقاضى راتبا من بيت المال على الفتوى فسئل عن مسألة ، فقال : لا ادرى ، فقالوا له : تاخذ فى كل شهر كذا وكذا ولا تحسن مسألة ، فقال : انما آخذ على ما احسن ، ولو اخذت على ما لا احسن لفنى بيت المال ، ولا يفنى ما لا احسن ، فاعجب الخليفة جوابه ، وامر له بجائزة وزاد راتبه .

الدنيا ..

بضم الدال مقصورة غير منونة فى الاغلب ، وحكى كسر الدال ، وتجمع على دنى ككبرى وكبر ، والنسبة اليها دنيوى ، ودنى ، ودنياوى .

الغريب ..

ان الغريب له مخافة سارق
وخضوع مديون وذلة وامق
واذا تذكر اهله وبلاده
ففؤاده كجناح طير خافق



للشيخ مناع القطان

لم يكن حدث الهجرة حدثا تاريخيا كتلك الأحداث التى تجرى وفق سنن الله الاجتماعية فى حياة الأمم ، ولكنه كان حدثا معجزا فريدا ، أعطى للحياة الانسانية مفاهيم جديدة لوقائع التاريخ تبرز القيم الاسلامية وآثارها الحية التى يعجز البشر عن صنعها . فلا يلبث الناظر فيها طويلا حتى يردها الى القدرة الالهية التى لا يعجزها شىء فى الأرض ولا فى السماء .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن آيات الاعجاز فى هذا الحدث التاريخى الأشم ، وإنما نتناول جانبا مشرقا منه فى حياة امرأة من فضليات النساء المسلمات .

لقد عاشت المرأة فى عصور الجاهلية مهينة ذليلة ، تزدريها الأعين وتمقتها النفوس ، وتوقع بها من ضروب العنف والجبروت ما لا تتحمله الجبال الرواسي ، واعتبرتها الحضارات القديمة مخلوقا شريرا لا يصدرُ عنه الا الخطيئة ، وحرمتها كافة الحقوق التى يتمتع بها الانسان ، ووأدتها جاهلية العرب صغيرة . وعضلتها وورثتها كبيرة (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم .. يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون) (١) وعن ابن عباس قال : (كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ، ان شاء بعضهم تزوجها ، وإن شاءوا

زوجها ، وإن شاءوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية (يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهـا ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) (٢) .

فلما جاء الاسلام رفع عنها هـذا الغبن ، ونفض عن كاهلها تلـك الأوزار ، ورد إليهـا كرامتهـا وإنسانيتها .

وفي ثنايا حادث الهجرة يبدو دور المرأة المسلمة في مواقف أسمـاء بنت أبي بكر الصديق مما لا يدع مجالا للشك في مكانة المرأة بالاسلام .

الكتمان والسرية : —

لقد بايع علية القوم في المدينـة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام والنصرة والايواء ، وكـانت الهجرة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بمكة أن يلحقوا باخوانهم الأنصار ، وقال : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها ، فخرجوا أرسالا ، وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكـة والهجرة إلى المدينة ، ولم يتخلف معه بمكة أحد إلا من حبس أو فتن إلا علي ابن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وأهله .

وكان وقع هجرة الصحابـة على نفوس المشركين أليما ، حيث أدركوا أن المسلمين قد أصابوا منهم منعة . وحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم بالمدينة . وأيقنوا أنه قد أجمع لحربهم ، فائتمروا فـي دار الندوة ، وتشاوروا فيما بينهم ، وانتهى أمرهم الى أن يضربه نفر من شبابهم ضربة رجل واحد فيقتلوه ، وبذلك يتفرق دمه في القبائل ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجـوك ويمكرون ويمكر الله واللـه خير الماكرين)(٣) .

أستولى على قريش الذعـر ، وغشيتها كآبة الأسى ، ودبرت أمرها هذا وهي تخشى كل الخشية أن يفلت رسول الله صلى الله عليه وسلم من يدها ويلحق بالمهاجرين والأنصار ، ثم يكر عليهم من منطلق حصين .

وأذن الله لرسوله بالهجرة ، وفي مثل هذه الحال من تآمر المشركين وتربصهم يكون الكتمان أكبر عـون على نجاح الخطة . حتى يحبط التدبير السيء ، ويحيق المكر بأهله ، ويسقط في أيدي ذويه .

ولطالما كانت السرية من مقتضيات الحكمة في الانتصار للحق ، وبلـوغ غايته ، وتفويت الفرصة على خصومه والقرآن الكريم يحكي على لسان نوح عليه السلام قوله (ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا)(٤) وقد بدأت الدعوة إلى الاسلام سرا ، وتربى في كنف سريتها رجال آمنوا باللـه وبرسوله ، وتجردوا لعقيدة الاسلام ، وتعاهدوا على نصرتها ، فكانـوا القاعدة الصلبة للكيـان الاسـلامي الشامخ الذي بلغ قمة المجد والعزة ، وماذا يجدي الصـخب الداوي مع الخصوم الألداء الذين أعمى الباطل بصائرهم وأثارت العصبية أحقادهم ، واستخفهم الشيطان فأطاعوه .. ؟

ولن يستطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتم أمر هجرته في نفسه دون أن يعلم به أحد سواه ،

فانه فى حاجة الى من يستعين بهم من خاصته فى هذا الخطب الجلل تدبيرا وإعدادا وصحبة ، وقد استأخر أبا بكر فى الهجرة ، كما تأخر على ابن أبى طالب ، ترى من يكون هؤلاء الذين يخصهم بسره ؟ وهل يكون للمرأة دورها فى ذلك ؟

إن الاسلام كما يصنع الرجال المؤمنين الصادقين فانه يصنع النساء المؤمنات الصادقات ، والذكر والانثى فى تبعات الايمان سواء عملا وولاية :

(من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)(٥) .

(إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما)(٦) .

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)(٧) .

ولم تعرف الدنيا عقيدة من العقائد أو نظاما من الأنظمة أكرم المرأة وصان خصائصها الفطرية بمثل ما عرف فى الاسلام .

وهنا يبدو تكريم المرأة المسلمة فى ائتمانها على أكبر حدث فى تاريخ الدعوة الاسلامية بحياة بنى الاسلام صلى الله عليه وسلم ، حيث كانت أسماء بنت أبى بكر الصديق موضع ثقة وأمانة ، فعلمت بهجرة رسول الله ، وكتمت الخبر ، وأسرته فى نفسها .

وقال ابن أسحاق : فحدثنى من لا اتهم ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين انها قالت (كان لا يخطىء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار ، إما بكرة وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذى اذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة، والخروج من مكة من بين ظهرى قومه اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة ، فى ساعة كان لا يأتى فيها ، قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث ، قالت : فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبى بكر إلا انا واختى أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أخرج عنى من عندك) ، فقال : (يا رسول الله ، إنما هما ابنتاى)(٨) .

وإذا قيل : إن عائشة كانت زوجا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهى أمينة على أسرار زوجها فان هذا لا يقال بالنسبة الى أسماء ، إنما يقال عنها : إنها كانت مؤمنة فائتمنها رسول الله صلى الله عليه وسلم على سره ..

(قال ابن اسحاق : ولم يعلم فيما بلغنى بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج ، الا على ابن أبى طالب ، وأبو بكر الصديق ، وآل أبى بكر)(٩) .

البلاء والصبر : —

من خصائص المرأة رقة العاطفة ،

ولين الجانب ، وسرعة الانفعال ، وهذه الخصائص تتنافى مع البلاء والصبر ، فالمرأة بطبيعتها ليست صلبة العود ، ولا تقوى على تحمل الأذى ، ولا تصبر على النوازل ، وتلك الحقائق النفسية لا يماري فيها ؛ وواقع الحياة أكبر شاهد عليها ، فلا تكاد المرأة تسمع كلمة نابية تخدش كرامتها حتى يتجهم وجهها ، وينحدر دمعها ، ويرتفع صوتها بالعويل والصراخ .

ولكن العقيدة تصوغ الانسان المؤمن بها صياغة جديدة ، يحتسب فيها كل ما يصيبه ابتغاء مرضاة الله . ويتجرد من أحاسيسه الشخصية ليكون إحساسه إحساس عقيدته . لأنها خالطت شغاف قلبه ، وامتزجت بروحه ومشاعره ، ففنى فيها عن نفسه ، يستعذب الموت فى سبيلها ، ويرى التضحية من أجلها أسمى أمانيه .

(ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا ايمانا وتسليما . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)(١٠) .

وهكذا كان شأن العقيدة فى نفس أسماء بنت الصديق .

لقد باءت مؤامرة المشركين بالفشل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته بعد أن نام على بن أبى طالب على فراشه وتسجى ببرده ، والقى حفنة من التراب على رءوس الفتية المتربصين فأعشاهم الله فلم يبصروا رسول الله حين خرج . واصطحب أبا بكر معه مهاجرا ؛ ولم يتجه صوب المدينة بل جنح متوجها الى غار ثور ، وحين أصبحت قريش وعلمت بنجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم جن جنونها ، وطار صوابها ، وكبر ذلك على نفوس كبارها ، فماذا يفعلون ؟

إن بصيص الأمل فى الاهتداء إلى وجهة رسول الله صلى الله عليه وسلم لملاحقته يبدأ من بيت أبى بكر فهو البيت الذى تأخرت هجرته ، وأبو بكر هو الذى صحب رسول الله، وهذا يعنى أن سر كل شىء لدى هذا البيت .

عندئذ توجه أبو جهل بن هشام على رأس نفر من قريش إلى بيت أبى بكر ، فسألوا أسماء عن أبيها . عسى أن يجدوا فى جوابها بريق الأمل فما زادهم جوابها الا حيرة ، فنفس أبو جهل عن غيظه بلطمة سددها الى خدها فطار منها قرطها ، فقابلت ذلك بالصبر والاحتساب . قال ابن اسحاق : فحدثت عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت : (لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجت اليهم ، فقالوا : أين أبوك يا بنت أبى بكر ؟ قالت : قلت : لا أدرى والله أين أبى ؟ قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشا خبيثا ، فلطم خدى لطمة طرح منها قرطى)(١١) .

إن لطمة بكف أبى جهل ليست كسائر اللطمات ، فقد عرف أبو جهل بصلابة البنية ، وقوة الشكيمة ، فاذا انحدر كفه على أحد كان كانحدار الصخر من جبل شاهق ، وعلى من ينحدر كفه ؟ أينحدر على رجل فظ غليظ مثله ؟ أم على وغد خسيس

لا كرامة له ؟ لا ، إنما ينحدر على فتاة قرشية من أعرق أسر قريش نسبا ، وأعلاها كعبا ، إنه يتحدر على أسماء بنت أبى بكر الصديق ، فتلقته صابرة محتسبة ، وأجابت بهذا الجواب الذى لا يشفى علة جبار غاشم ، ولا يطفىء ظمأ هائم يتميز غيظا ، قالت : قلت : لا ادرى والله اين ابى ؟ وتمخض حلم ابى جهل فيما كان يأمله لدى أهل بيت أبى بكر عن سراب بقيعة (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب)(١٢) .

العمل والجهاد : —

وللمرأة فى ميدان الدعوة عمل وجهاد بما يلائم خصائصها ويناسب فطرتها إنها تسهم بالقدر الضرورى فى حقل وظائفها الاساسية ، وجهاد الدعوة يشمل كل جهد يبذل فى سبيلها ، ومن ذلك أعداد الطعام ، وتمريض الجرحى ، ومراقبة الأعداء .

ولم يكن دور أسماء بنت أبى بكر الصديق فى الهجرة قاصرا على ما ذكرناه آنفا من كتمانها الخبر ، وصبرها على لطمة أبى جهل ، بل تجاوز هذا الى الاسهام العملى مشاركة فى هذا الحادث العظيم ، الذى كان نقطة تحول فى تاريخ البشرية .

لقد اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غار ثور ثلاثا ، ومعه أبو بكر ، وما كانت قريش لتغمض لها عين حتى تأتى برسول الله حيا أو ميتا . وكانت هناك حاجة الى أمور لا بد منها أخذا بأسباب النجاة ووسائل نجاح الهجرة :

أولها : تسمع أخبار قريش لمعرفة ما يدبره القوم من مكائد، وما ينصبونه من شراك ، وما يحيكونه من مؤامرة .

وثانيها : تعفية أثر من ينقل هذه الأخبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه فى الغار .

وثالثها : الطعام الذى يسد الرمق ويقوم به الصلب .

أما الأمر الأول فقد تكفل به عبد الله بن أبى بكر ، حيث كان يلتقط ما يدور على السنة قريش نهارا ، وينقله الى رسول الله وصاحبه مساء .

وأما الامر الثانى فقام به مولى أبى بكر عامر بن فهيرة الذى كان يرعى الغنم ويريحها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فى الغار ، فاذا قفل عبد الله من عندهما راجعا اقتفى أثره بالغنم تعفية عليه ، فمهمة عبد الله وعامر هى مهمة الجاسوسية المشروعة لحماية الاسلام ونبيه .

أما الأمر الثالث — وهو اعداد الطعام — فقد تكلفت به أسماء بنت أبى بكر .

قال ابن اسحاق : (فلما اجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج ، اتى ابا بكر بن ابى قحافة ، فخرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عمدا الى غار بثور — جبل بأسفل مكة — فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبى بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما اذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما ،
وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما من

الطعام إذا أمست بما يصلحهما)(١٣)

والتزود بالطعام فى السفر الطويل ضرورة ملحة ، فكيف اذا كان هــذا السفر فى الصحراء القاحلة الجرداء لعدة مراحل تقطعها الراحلة يوما تلو يوم ؟ إن الزاد حينئذ يكون قـــوام الحياة .

واسماء بنت ابى بكر لم يفتها أن تزود رسول الله وأباها بطعام السفر الذى يرد عنهما غائلة الجوع ، وهى فى هذا تجود بأعز ما تحرص عليــه المرأة ، فالمرأة تهتم بزينتها ، وزينتها فى ثيابها ، ونطاقها هو حلية هــذه الثياب . وكان آنذاك تقليدا متوارثا أصيلا .

وقد نسيت أسماء حين أعدت طعام السفر أن تهيىء ما تعلقه بــه فى الراحلة ، فلم يسعها إلا أن تحــل نطاقها وتجعله عصاما تعلق به وعاء طعام السفر فسميت بذات النطــاق أو تشـــه شقين ، تتخذ احداهما عصاما وتنتطق بالشق الآخر فسميت بذات النطاقين .

قال ابن اسحاق : (واتتهما أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهمــا بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لهــا عصاما ، فلما ارتحلا ذهبت لتعلــق السفرة ، فاذا ليس لها عصــام ، فتحل نطاقها ، فتجعله عصاما ، ثم علقتها به ، فكان يقال لأسماء بنت أبى بكر ذات النطاق لذلك .

قال ابن هشام : « وسمعت غير واحد من أهل العلم يقـــول : ذات النطاقين ، وتفسيره : أنها لما ارادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين، فعلقت السفرة بواحــد ، وانتطقت بالآخرة »(١٤) .

هذه هى اسماء بنت ابى بكر فى مقتبل عمرها ، وهذه هى مواقفهــا فى حادث الهجرة ، فما أروعها من سيرة عطــرة لفضليات النســـاء والمسلمات ! وقد كان موقفها فى آخر حياتها من الحجاج الثقفى أشــــد روعة !!

---

١ — ٥٨ ، ٥٩ — النحــل .
٢ — رواه البخــارى .
(١) ٥٨ ، ٥٩ — النحل .
(٢) رواية البخارى .
(٣) ٣٠ — الانفال .
(٤) ٩ — نوح .
(٥) ٩٧ — النحل .
(٦) ٣٥ — الاحزاب .
(٧) ٧١ — التوبة .
(٨) السيرة النبوية لابن هشــام ، الجزء الثانى ص ١٢٨ ، ١٢٩ — ط الحلبى وكان ابو بكر قد انكح عائشة مـــن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك .
(٩) المصدر السابق ص ١٢٩ ج ٢ .
(١٠) ٢٢ ، ٢٣ — الاحزاب .
(١١) ابن هشام — ج ٢ ص ١٣١ ، ١٣٢ .
(١٢) ٣٩ — النور .
(١٣) ابن هشام ج ٢ ص ١٣٠ .
(١٤) ابن هشام — ج ٢ ص ١٣١ .



للدكتور أحمد الحجي الكردي

الاسرة عماد المجتمع وأساسه ، بل هي المجتمع كله ، منها يبدأ وعليها يعتمد ، وبقدر ما تكون الاسرة متراصة متينة يكون المجتمع قويا متماسكا .. وهذه الأهمية القصوى للأسرة بالنسبة للمجتمع تفسر لنا الاهتمام الكبير الذي توليه الشرائع الإلهية والتشريعات والقوانين الوضعية للأسرة حفاظا على تماسكها وتناسقها ومتانتها إن من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية على حد سواء ، لأن أي مشكلة سوف تتعرض لها الاسرة (المجتمع الصغير) لا بد وأن ترتد على المجتمع الكبير كله بكل ثقلها ، تقض مضجعه وتهد كاهله ، ولذلك نرى العلماء والمتخصصين في الحقول الاجتماعية والتشريعية والدينية يسارعون فور حدوث اي مشكلة للأسرة بالدراسة واقتراح الحلول خشية أن يتفاقم الأمر ويشتد الخطر سيما وان المشاكل الاجتماعية عامة والمشاكل الأسرية خاصة هي مشاكل معقدة في أغلب الاحيان تحتاج في حلها الى مزيد من الدراسة والبحث .

ويلاحظ العلماء والباحثون في العالم العربي والاسلامي بل العالم كله أيضا انه بدات تظهر مشكلة جديدة مضافة الى مشاكله الكثيرة تتهدد الأسرة في أصل وجودها وهي مشكلة (العزوبة) أو عزوف الشباب عن الزواج ، حيث يبلغ عمر الواحد منهم الخامسة والعشرين والثلاثين بل الاربعين أحيانا قبل أن يتزوج ، وفي هذا تهديد كبير وواضح للأسرة ونذير بخرابها دون شك ، وهي ركن المجتمع وأساسه — كما تقدم — وهذه المشكلة وان كانت في جذورها قديمة ترجع الى سنوات كثيرة ماضية إلا أنها لم تكن تشكل في الزمن الماضي ظاهرة اجتماعية ، بل كانت حوادث فردية تقع أحيانا تحت تأثير بعض الظروف الخاصة .

ولكنها اليوم أصبحت تشكل ظاهرة خطيرة تهدد أركان المجتمع وتهز كيانه ، أصبحت ظاهرة كبيرة تثير اهتمام المشتغلين بالقضايا الاجتماعية والاحصائية ، وتفرض عليهم دراستها واقتراح الحلول المناسبة لها ، وإلا زادت تعقيدا واستعصت على الحل .

ومعلوم ما للزواج من قيمة كبرى في بناء المجتمع إذ هو حجر الأساس فيه ، يبني الأسرة ويلطف الطباع

ويشبع الحاجات النفسية والجسدية ويقمع توترها ويمنع الانحراف والشذوذ ، ويؤمن للناس جميعا حياة الوداعة والهدوء والسكن النفسى ، وما الى ذلك من المعانى الكثيرة التى يحققها الزواج . وتحت وطأة هذا الإلحاح الشديد الذى تفرضه هذه الظاهرة المشكلة على العلماء يطلع علينا بعض الناس بحلول لهذه المشكلة تكاد تكون مرتجلة أو غير عميقة فاذا بهم يزيدونها تعقيدا وإشكالا ، لأن هذه الحلول ليست حلولا جذرية مدروسة دراسة كافية، لكنها كالسراب يبدو للناظر فيغريه بالتقرب منه حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

ومن هذه الحلول مسألة تحديد المهور ، حيث يذهب البعض الى أن سبب هذه الظاهرة الخطيرة هو ارتفاع المهور حيث تصل فى بعض البلدان العربية الى ثلاثة آلاف جنيه أو أكثر ، وهو أمر يعجز عن توفيره الشباب فى كثير من الاحيان فيضطرون الى التمسك بالعزوبة البغيضة التى يتسبب عنها تفتت المجتمع وعموم الانحراف فيه — فى بعض الاحيان — وغير ذلك . ولذلك فهم يقترحون اصدار قوانين من السلطات المختصة تحدد بموجبها مهور النساء على وجه يتيسر فيه لأكثر الشباب دفعها ، فتتأمن المصلحة ويقبل الشباب على الزواج وتختفى هذه الظاهرة .

وإننى وانا ادلى بدلوى فى بحث هذه المشكلة ، أتساءل : هل درس هذا البعض من الناس هذه المشكلة من جميع جوانبها دراسة عميقة فاحصة وانتهوا الى أن السبب الوحيد أو الرئيسى لها هو غلاء المهور .. ؟ وهل حللوا ظاهرة غلاء المهور الى عناصرها وانتهوا الى أنها لا تحل إلا بإصدار التشريعات المحددة لها .. ؟ وهل توقعوا أن التشريعات هذه يمكن أن تحل المشكلة .. ؟

اعتقد أن شيئا من ذلك لم يكن مطلقا ، وأن عزوف الشباب عن الزواج لم يكن متسببا عن غلاء المهور ، ذلك أن العزوف عن الزواج منتشر بين الشبان الأغنياء أكثر منه بين الشبان الفقراء وهذا أمر لا مراء فيه ولا شك وتثبته الاحصائيات ، ثم إن القضاء على غلاء المهور إذا سلمنا جدلا بسببيته لهذه المشكلة لا يمكن أن يحل بالتشريعات أبدا، ذلك أن الزواج لا يتم ولا يجوز أن يتم إلا بالرغبة النفسية والانسجام العاطفى بين الزوجين ، وهذا أمر لا مدخل للتقنين فيه ، ولا تأثير لقسر السلطة عليه .

وما دام هذا الحل عاجزا عن معالجة مشكلتنا هذه فلا بد من اقتراح الحلول المناسبة لها .

وطبيعى أن المشكلات الاجتماعية مشكلات معقدة كما أسلفت ، تحتاج الى تضافر جهود المختصين لأن أى حل خاطىء لها سوف لا يكون عاجزا عن حلها فقط بل سيكون له مردود عكسى عليها يزيدها تعقيدا وجسامة .

ولكن الى أن تتاح الفرصة لحلها على الوجه المذكور لا يجوز تركها من غير حل تزداد خطورة وشدة ، بل الواجب العمل على دراستها وتقديم الاقتراحات المناسبة لحلها عسى أن تكون هذه المقترحات نبراسا ومنبها لمجموعات المتخصصين فى الحقول الاجتماعية الى خطورة هذه المشكلة ومن ثم العمل على حلها .

وإننى وأنا أدرس هذه المشكلة أرى أن سببها الرئيسى ليس ارتفاع المهور أبدا لما أسلفت ، وليس الجهل بمعنى الزواج وقيمته فى المجتمع أيضا — كما يدعى البعض — بدليل أن هذه الظاهرة عامة فى الفئات المثقفة أكثر منها فى الطبقات الجاهلة أو هى متساوية بينهما على الأقل .

وليس سببها أيضا كثرة متطلبات الحياة وارتفاع أثمان الحاجيات ، لأن هذا الارتفاع رهين بالحالة المادية لكل أمة يتناسب معها طردا وعكسا، فترتفع الاسعار حيث يكثر الدخل ، وتقل حيث ينزل مستوى الدخل ، ولكنه فى الواقع قلة الرغبة ، وضعف الميل الجنسى من كل من الجنسين نحو الآخر .

فإن الله سبحانه وتعالى قد خلق فى كل من الجنسين رغبة وميلا نحو الجنس الآخر ، وهذه الرغبة مقدرة بمقدار معين يضمن توقان كل من الجنسين نحو الآخر توقانا منتظما يحمله على تخطى كل الصعاب فى سبيل الوصول إليه والتزوج منه، وذلك لضمان استمرار الحياة البشرية على وجه الارض .

فالزواج مسؤولية كبرى تحتاج الى تضحيات جلىّ من كلا الزوجين، إذ فى الإنفاق على الزوجة والأولاد ، وفى خدمة البيت والأولاد والزوج مسؤولية صارفة غالبا لكلا الزوجين عن تحملها لولا ذلك التوقان النفسى الذى أودعه الله — جل شأنه — فى كل من الجنسين .

ولكن هذا التوقان، أو هذه الشهوة الجنسية لا بد لها أن تقف عند حد لا تغادره ، فلا تزيد عليه ولا تنقص عنه ، لأنها إن نقصت عنه عزف الشباب عن الزواج فرارا من المسؤولية الكبرى التى يفرضها عليهم إن مادية أو معنوية .. وإن زادت عن حدها هذا انفجرت بركانا يحرق الاخضر واليابس ويقوض أركان المجتمع من أساسه ، وهو ما يحصل فى الدول النامية عندما تنفتح على الحضارة أو على (ما يسمى حضارة اليوم) فجأة ، فيكثر فيها اختلاط الجنسين بعد ما كان ممنوعا فيها منعا يكاد يكون كاملا .

ولذلك نرى أن الاسلام راعى هذه الناحية وسن شرائع ونظما متعددة تحفظ لهذه الشهوة الجنسية قوتها وشدتها عند الحد اللازم لها ، أو عند الحد الذى يضمن لها استمرارها بالعمل الذى خلقت من أجله .

فقد سن الاسلام لذلك الحجاب للمرأة وجعله عليها فرضا لازما ، وسن آداب النظر للرجل والمرأة معا فقال جل من قائل : « يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن » . وقال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن » .

كما منع الاسلام الاختلاط بين الجنسين وخلوة كل منهما بالآخر فى غير الحالات المأمونة (المحارم) أو حالات الضرورة ، فقد جاء فى معنى الحديث الشريف عن النبى — عليه الصلاة والسلام — قوله : « ما خلى رجل بامرأة أجنبية عنه إلا كان الشيطان ثالثهما » ، كما منع النساء من السفر وحدهن من غير زوج أو محرم حتى الأداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام عند جمهور الفقهاء .

الى غير ذلك من التشريعات المتعددة التى تضمن أن لا يطفح الكيل وتزداد الشهوة ، أو تقل عن حدها المفروض لها فتخرج عن الغاية التى خلقت لها .

هذا وإن الاختلاط بين الجنسين الذى نراه يعم الآن — للأسف — فى مجتمعاتنا المسلمة والعربية منها وغير العربية ، وانحسار الحجاب الساتر للمرأة ، وعموم التبرج بل التهتك أحيانا بين النساء ، وتدنى أخلاق الرجال الى حد لم يعودا معه يتورعون عن اللعب بالمرأة لعبهم بالكرة وفضلا عن استراق النظرة المسمومة منها استمتاعا بجمالها وأنوثتها الى غير ذلك مما يجل عن الوصف ويعلمه كل فرد منا .

كل هذا سبب زيادة حادة فى قوة هذه الشهوة خرجت بها عن الحد

المقرر لها ، ولكن الروح الاسلامية والعادات الاسـلامية العريقة فى بلادنا ، والفئة القليلة المحافظة على تعاليم دينها بيننا ، كل ذلك حال دون اندفاع هذه الشهوة المتأججة لتعيث فى الأرض الفساد فى بلاد الاسلام ، أو فى بعضها على الأقل ، فانكبتت هذه الشهوة فى وكرها وضاق عليها جرابها ، دون أن تستطيع تمزيقه فمرضت وانكمشت على نفسها وشعرت بخيبة الأمل فعادت أنكاسا ترجع الى الوراء وتضعف وتذبل حتى نزلت نزولا سحيقا عن الحد المقرر لها ، والذى تستطيع معه القيام بمهمتها فى التغلب على كل معوقات الزواج الصالح المنتج الذى يبنى الاسرة والمجتمع السليم . فقلت الرغبة وضعف التوقان والتفتت أنظار الشباب والشابات معا عن الزواج ، وبدأت المعوقات تنتحل من كل منهما انتحالا بغية الابتعاد عن الزواج فرارا من مسؤولياته من حيث لا يدرون ، فغلت المهور وجلت الشروط الى غير ذلك مما نراه من العقبات الكثيرة التى تنتحل اليوم لتعويق الزواج ، واستعاض الشباب (أو حاولوا ذلك) عن الزواج بالنظرة العابرة ، والجلسة المختلسة والمشية الهادئة فى الشارع والسهرة المشينة فى النادى و .. وفى ذلك من الدمار والخراب للمجتمع الاسلامى الذى نرنوا اليه ما فيه .

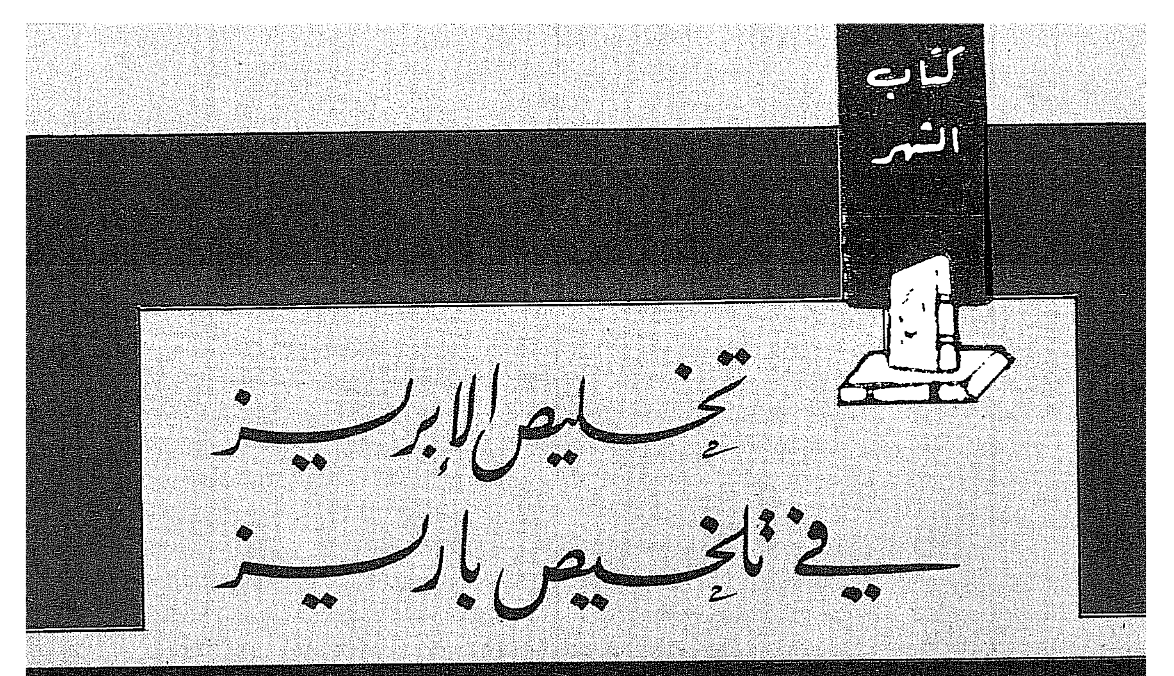
هذا هو السبب الرئيسى فى نظرى لظاهرة العزوف عن الزواج فى بلادنا ، قلة الرغبة والتوقان الجنسى الناتجين عن الاختلاط غير المأمون وتبرج النساء المشين ، الى جانب ضعف الوازع الخلقى . وليس غلاء المهور وكثرة متطلبات النساء . لأن ذلك ما هو إلا قشة من تبن تخفى وراءها الاسباب الرئيسية الهامة التى قدمتها .

ثم إن حظ البلاد الاجنبية من مساوىء هذا التبرج والاختلاط لم يكن بأدنى من حظنا منه ، نعم إن الشهوة البهيمية قد انطلقت فى نفوس الشباب لديهم نتيجة ما تقدم ولم تنكبت كما حصل فى بعض بلادنا الاسلامية ، إلا أن النتيجة كانت واحدة وهى عزوف الشباب عن الزواج أيضا .. ذلك أن هذه الشهوة انطلقت انطلاقا عشوائيا تحصد الأخضر واليابس وتنتج الأولاد غير الشرعيين بالألوف تلقيهم عالة على المجتمع تفتت بهم كرامته وعزته .. فوجد الشباب فى ذلك غنى عن تحمل مسؤوليات الزواج الكثيرة فاكتفوا بذلك الاتصال المحرم الميسور لهم عنه .

لذلك كله انتهى الى أن السبب الرئيسى لظاهرة العزوبة فى العالم كله على وجه العموم وفى مجتمعاتنا الاسلامية على وجه الخصوص هو ضياع القيم الاخلاقية ، وتبرج النساء واختلاطهن بالرجال بطريقة لا تتفق وما شرعه الله ـ جل شأنه ـ نظاما للمجتمع .

ثم إن الحل الوحيد فى نظرى لهذه الظاهرة المعقدة هو الرجوع بالمرأة المسلمة الى الحجاب الاسلامى ، ومنع اختلاط الجنسين إلا بالطرق والشروط التى وضعها الاسلام لذلك، والعمل على توعية الشباب من المسلمين بأخطار الاختلاط العشوائى، ومضار اطلاق النظر اللاهى العابث .. وإن كان هذا الحل صعبا وقاسيا ويحتاج الى وقت طويل لكنه الحل الوحيد الذى لا يمكن أن يحل غيره محله أبدا .

أما عن حدود الحجاب الاسلامى وكيفية الدعوة اليه ، وعن حدود الاختلاط المباح بين الجنسين وشروطه فى الشريعة الاسلامية فهو مما لا يتسع له المقام الآن ، وأرجو أن أوفق فى تقديم موجز عنه فى مناسبة أخرى .



وموقفنا من الحضارة الغربية

للأستاذ ابراهيم محمود عوض

خلف الشيخ رفاعة الطهطاوى كتبا عدة فى كثير من الموضوعات والفنون ، بعضها من وضعه ، وبعضها الآخر قام بترجمته ، ومن كتبه التى ألفها هو كتابه المشهور «تخليص الإبريز فى تلخيص باريز» الذى يقول عنه على مبارك فى خططه (ﺣ ١٣ ص ٥٣) : « وأوصاه شيخه المومى اليه — يقصد الشيخ حسن العطار — قبل سفره بأن يفيد بلاده بعمل رحلة تجمع ما عليه المملكة الفرنساوية عموما ، وتضبط أحواله خصوصا » . ويجلى الشيخ رفاعة هذه النقطة بقوله فى كتابه السالف الذكر (ص ٥٦ ط وزارة الثقافة والارشاد القومى) : « لما رسم اسمى فى جملة المسافرين وعزمت على التوجه أشار بعض الاقارب والمحبين لا سيما شيخنا العطار — فانه مولع بسماع عجائب الاخبار والاطلاع على غرائب الآثار — أن أنبه على ما يقع فى هذه السفرة وعلى ما أراه وما أصادفه من الامور الغريبة والاشياء العجيبة وأن أقيده ليكون نافعا فى كشف القناع عن محيا هذه البقاع التى يقال فيها أنها عرائس الافكار ، وليبقى دليلا يهتدى به الى السفر اليها طلاب الأسفار » . وفى (ص ٥٧) نراه يلقى مزيدا من الضوء على هذا الامر فيقول « وانطقتها — الرحلة — بحث ديار الاسلام على البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنائع ، فان كمال ذلك ببلاد الإفرنج أمر ثابت شائع ، والحق أحق أن يتبع ، ولعمر الله اننى مدة اقامتى بهذه البلاد فى حسرة على تمتعها بذلك ، وخلو ممالك الاسلام منه » .

وهذا الكتاب يمكن النظر اليه من عدة زوايا ، يمكن أن ينظر اليه من جهة لغته ومكانها من تطور الاساليب العربية ودورها فى التمهيد للاسلوب الذى نكتب الآن به فى آدابنا وعلومنا وصحافتنا ، كذلك يمكن أن ينظر اليه على أساس الصورة التى يرسمها رفاعة لفرنسا عموما ولباريس بخاصة ، وأيضا يمكن النظر اليه على أساس انه يبين لنا مجهودات الشيخ رفاعة طالب البعثة فى باريس وكيف كان يقضى وقته ؟ ومن الأساتذة الذين اتصل بهم هناك ؟ وكيف كانت علاقته بهم؟ وهكذا تتعدد الزوايا التى يمكن أن نسلط الضوء منها على الكتاب ، الا أننى لا أريد أن أتناوله الا من جهة دلالته على موقف الشيخ رفاعة من الوضع الحضارى للبلاد الاسلامية ، والبلاد الاوربية كما تمثلها فرنسا ، وماذا علينا — فى رأيه — أن نأخذ من الحضارة الاوربية ؟ وما الذى علينا أن ندعه ؟ وبخاصة أن الشيخ رفاعة قد أفاض القول فى هذا السبيل ، فهو لم يجمل رأيه اجمالا ، وانما فصله ولم يدع أمرا من الامور التى عرضت له فى باريس — سواء فيما يتصل بالعادات والتقاليد او بالثقافة أو بالسياسة أو بالنواحى المادية كالمسكن والملبس وبعض الآلات وما الى ذلك — الا تحدث عنه وقارن بينه — فى غالب الاحيان — وبين ما يقابله فى بلادنا وأبدى رأيه فيه .

ان ما يلفت النظر حقا فى الكتاب — بالنسبة لهذه الزاوية التى نتناوله منها هو اهتمام الشيخ رفاعة بدينه اهتماما عظيما وقيام كل رأى أبداه على أساس منه سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

فهو فى تقسيمه لبلاد العالم وتفضيله بعض البلاد على بعض انما يفعل ذلك بناء على انتشار الاسلام فى هذه البلاد (أو) لا ، فالدول الاسلامية تأتى فى المقدمة وغيرها يليها ، يقول (ص ٧٨) : « أقسام الدنيا خمسة يصح تفضيل بعضها على بعض بحسب مزية الاسلام وتعلقاته ، فحينئذ تكون آسيا أفضل الجميع ، ثم تليها أفريقية لعمارها بالاسلام والاولياء والصلحاء ، خصوصا باشتمالها على مصر القاهرة ، ثم تليها بلاد أوربا لقوة الاسلام ووجود الامام الاعظم امام الحرمين الشريفين سلطان الاسلام فيها .. الخ » .

ولا شك أن كثيرا من القراء سيدهشه هذا الترتيب ، وبعضا آخرين سينكرونه ، اذ كيف يفضل الشرق الاسلامى على أوربا ، وهو — فى نواح كثيرة — متخلف بالنسبة اليها على حسب ما ينص عليه رفاعة نفسه فى أكثر من موضع من كتابه ؟ والجواب — فى رأيى — لا صعوبة فيه ، فان رفاعة حين أقام تفضيله انما كان على أساس العقيدة التى نجده يحلها من نفسه مكانا عليا ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى على أساس الامكان لا على أساس الواقع ، أو بتعبير آخر على أساس القوة لا على أساس الفعل ، فهو يرى أن بلاد الاسلام ان كانت متخلفة اليوم أشواطا فى ميدان العلوم الطبيعية وواقعها المادى فان فهمها للاسلام فهما سليما مصفى من الاكدار والاقذار التى خالطته على كر الأدهار وبناء حياتها على أسسه يؤديان — بالضرورة — الى أن تتبوأ مكان الصدارة التى كانت تتبوؤه قديما ، فهو يرى أن للحضارة دورة ، واننا قد ساهمنا فيها دهرا طويلا وبخاصة أيام العباسيين اذ كنا (كما يقول ص ٦٢) « أكمل سائر البلاد تمدنا ورفاهية وتربية زاهرة زاهية ، وسبب ذلك أن الخلفاء كانوا يعينون العلماء وأرباب الفنون وغيرهم ، على أن منهم من كان يشتغل بها بنفسه » ، ثم يمضى الزمان فى دورته فاذا شوكة الفرنج قد قويت ببراعتهم

وتدبيرهم وعدلهم ومعرفتهم فى الحروب وتنوعهم واختراعهم فيها .
ومما له صلة بهذا أورده (ص ١٢٤) قائلا « ومن عقائدهم القبيحة تفضيلهم الفلاسفة على الأنبياء ، وانكار بعضهم القضاء والقدر وانكار خوارق العادات » فإنا نرى — من هذا النص — كيف ينظر رفاعة الى الحضارتين : حضارة الاسلام وحضارة أوربا ، فالاولى فى أصلها تقوم على وحى السماء ، بينما الثانيــــة تقوم على النظر العقلى الذي يخطىء ويصيب ، ان العقيدة عندنا يتلقاها الرسول من الله ، أما عندهم فيتوصل اليها الفلاسفة بتفكيرهم وتأملاتهم التى مهما ارتقت وقامت على ثقافة واسعة وعميقة فهى معرضة — لا محــــالة — لكثير من الأخطاء .

على أن الامر — فى مقابل الحضارة الاوربية العقلانية — ليس أمر دين على الاطلاق ، انما هو دين الاسلام ، فهو (ص ١٠١) حين يستطرد الى الحديث عن نصـــارى مصر والشـــام الموجودين فى مارسيليا وكانوا قد خرجوا مـــع الحملة الفرنسية حين جلت عن بلادنا يقول « ويندر وجود أحد من الاسلام الذين خرجوا مع الفرنسيس ، فإن منهم من مات ، **ومنهم من تنصر — والعياذ بالله — »**.

ونمضى معه حتى ص ٢١٠ فإذا به — فى أثناء حديثه عن الخزانةالسلطانية فى باريس وما فيها من الكتب العربية والمصاحف — يقول « وبعضهم — أى بعض المفكرين الفرنسيين — لخص من القرآن العظيم سائر الآيات التى اختارهـــا للترجمة ، ثم ترجمها وضم اليها قواعد الاسلام وبعض شعبه ، وقال فى كتابه : انه يظهر له أن دين الاسلام هو أصفى الاديان وأنه مشتمل على مالا يوجد فى غيره من الأديان » .

إلا أن الذى يجب أن نضعه فى الاعتبار هو أن رفاعة لا يصطاد مثل هـــذا الرأى الذى يبديه بعض المفكرين الاوربيين فى الاسلام ويفضله على ســــائر الاديان — لا يصطاد مثل هذا الرأى اصطيادا ، لأننا نراه فى الصفحات الاولى من الكتاب يرتب بلاد العالم على أساس من اعتناقها الاسلام ومدى انتشاره فيها ، إن رفاعة مقتنع بعقيدته ودينه وفضلهما على ما عداهما كل الاقتناع ، وإن إقامته فى فرنسا واطلاعه على جوانب الحضارة الاوربية فيها لم يجعلاه يغير رأيه هذا ، فهو مستمسك به أشد الاستمساك ، مستمسك به بقوة وجهارة ، لا على ضعف واستخذاء ، فهو يقف (فى الفصل الثالث عشر « فى دين أهـــل باريس ») موقف الحكم عليهم فى دينهم ، فهم — فى نظره — ليس لهم من دين النصرانية الا الاسم ، فلا يعتنون بما حرمه دينهم أو أوجبه ... تراهم ما دامت حياتهم لا يهتمون الا باكتساب الاموال بأى وجه كان ، واذا حضرهم الموت ماتوا كالبهائم » . ثم إنه ينتقل إلى الحكم على رجال الدين أنفسهم ، إذ يعيب على القسس عدم زواجهم لان عدمه يزيدهم فسـقا على فسقهم ، كذلك يســـتنكر طقوس الاعتراف ، ويذكر أن للقسيسين بدعا لا تحصى ، وأهل باريس يعرفون بطلانها ويهزءون بها (انظر ص ٢٠٣) .

لكن هل معنى هذا اننا غير محتاجين الى الغرب ؟ أنرفض الغـــرب وكل ما يتعلق به بالكلية ؟ يجيب الشيخ رفاعة (ص ٦١) « بأن البلاد الاسلامية قد برعت فى العلوم الشرعية والعمل بها والعلوم العقلية وأهملت العلوم الحكميـــة (يقصد العلوم الطبيعية) بجملتها ، فلذلك احتاجت الى البلاد الغربية فى كسب مالا تعرفه وجلب ما تجهل صنعه ، ولهذا حكم علماء الافرنج بأن علماء الاسلام

انها يعرفون شريعتهم ولسانهم ... ولكن يعترفون لنا بأنا كنا أساتيذهم فى سائر العلوم وبقدمنا عليهم » . الذى نحتاجه إذن من أوربا ليس شيئا آخر غير العلوم الطبيعية ، ولا صحة ـ كذلك اذن ـ لما حاول د. لويس عوض أن يوهمنا به فى كتابه « تاريخ الفكر المصرى الحديث ـ الفكر السياسى والاجتماعى » (ص١١١ هلال) من أن رفاعة قد تصدى لمهمة الدعوة الى الاخذ بالفلسفات الحديثة لتجديد الحياة الفكرية على أرض مصر » أية فلسفات حديثة دعا اليها رفاعة لتجديد الحياة الفكرية على ارض مصر ؟ أشهد الله أن ذلك غير موجود الا فى خيال الكاتب وأوهامه ، والا فمن أين استقى تلك الفكرة ، وهذا رفاعة ـ فضلا عما تقدم ـ يعدد (ص ٦٦) « العلوم والفنون والحرف والصنائع المطلوبة » فيذكر « الرياضيات والتاريخ والجغرافية والرسم والحربية والبحرية والمياه والقناطر والارصفة والميكانيكا وسبك المعادن والطب والبيطرة والفلاحة والتاريخ الطبيعى والنقاشة وترجمة الكتب » ثم يعقب قائلا « سائر هذه العلوم المعروفة معرفة تامة لهؤلاء الافرنج ناقصة أو مجهولة بالكلية عندنا ، ومن جهل شيئا فهو مفتقر لمن أتقن ذلك الشىء . » ؟ فالامر اذن واضح لا يحتاج الى اختلاف ولا يحتاج أيضا الى تأويل . لقد سبق أن ذكرنا كيف عد رفاعة من عقائد الفرنسيين القبيحة تفضيلهم للفلاسفة على الانبياء ، فكيف يجوز أن ينسب لرفاعة أنه تصدى لمهمة الدعوة الى الاخذ بالفلسفات الحديثة لتجديد الحياة الفكرية على أرض مصر ، ليس هذا فقط ، بل ان رفاعة ـ فى رأى الدكتور ـ حينما تصدى لهذه المهمة « كان نعم المفكر ونعم البشير »!! أية جرأة هذه ؟ ان هذه شنشنة معروفة عن الدكتور لويس عوض ، فهو يستنبط من النصوص آراء وأحكاما ما أنزل الله بها من سلطان ، وأحسب أن رفاعة لو قيض له أن يقوم من قبره ويطلع على ما نسبه اليه د. لويس لفغر فاه دهشة واستغرابا ، ولو حاول أن يعترض على ذلك لمد د. عوض يده فأغلق فمه بهاوأنذره بالويل والثبور وعظائم الامور ، وقال له ماقاله رئيس ديوان التفتيش ـ فى رواية الإخوة كرامازوف لدستويفسكى ـ للسيد المسيح بعد عودته الى الارض فى طوفة عابرة ونزوله فى اشبيلية أيام محنة التفتيش وفظائعه ، فان السيد المسيح ـ عليه السلام ـ أخذ يعظ الناس ويصنع المعجزات ، والشعب والحزانى يقبلون عليه ويبثونه شكاواهم ومخاوفهم ، حينئذ أقبل رئيس ديوان التفتيش فى حرسه وقبض عليه وأودعه حجرة السجناء ، ثم عندما دخل عليه فى المساء ليحقق معه قال له « إننى أعرفك ولا أجهلك ، ولهذا حبستك ، لماذا جئت إلى هنا ؟ لماذا تعوقنا وتلقى العثرات فى سبيلنا ؟ » .

ويزداد عجبنا ودهشتنا حينما نجد د. لويس عوض فى موضع آخر من كتابه يقول عن رفاعة : « لم يكن طريقه التماس حق الثورة فى الشريعة لإثبات شرعية أو وجوب الخروج عن طاعة الخليفة العثمانى ، وانما كان طريقه تحقيق استقلال مصر بفصل الدين عن الدولة ، وهذا معنى قوله « فلنقل إن أحكامهم ـ أى الفرنسيين ـ القانونية ليست مستنبطة من الكتب السماوية ، وانما هى مأخوذة من قوانين أخر أغلبها سياسى ، وهى مخالفة بالكلية للشرائع ، وليست قارة الفروع ، ويقال لها : الحقوق الفرنساوية ، أى حقوق الفرنساوية بعضهم على بعض ، وذلك لان الحقوق عند الافرنج مختلفة » هو اذن يريد أن يحرر

المصريين بموجب حقوق الانسان وليس بموجب سنن السلف الصالح . ثم ترتفع نبرته العقلانية فيكاد يحض الناس حضا على العقلانية اساسا للعدل ولحضارة الانسان . ان العدل والحضارة مترابطان ، فالعدل سبيل الحضارة ، وقيم الدين جوهرها العدل ، ولكن العقل أيضا يمكن أن يؤدي الى العدل ومن ثم الحضارة ، فهو يقول في دستور ١٨١٨ المعروف في فرنسا بالشرطة اي الميثاق: ان غالب ما فيه ليس من تعاليم الدين ولكنه من إملاء العقل لتعرف كيف حكمت عقولهم بأن العدل والإنصاف من أسباب تعمير الممالك وراحة العباد ، وكيف انقادت الحكام والرعايا لذلك حتى عمرت بلادهم وكثرت معارفهم وتراكم غناهم وارتاحت قلوبهم ، فلا تسمع فيهم من يشكو ظلما أبدا ، والعدل أساس العمران» (ص ١٣٣ ، ١٣٤ تاريخ الفكر المصرى) .

ونحب أن نقف أمام هذا النص قليلا لنرى ما الذى يقوله رفاعة وما الذى يحاول الدكتور أن يستنبطه منه ؟ ان رفاعة — كما هو واضح تمام الوضوح — يقرر أمرين ، الامر الاول أن غالب أحكام الفرنسيين ليست مأخوذة من الشريعة، والامر الثاني أن العقل قد أدى بهم الى معرفة أن العدل اساس الملك . ان موقف رفاعة هنا لا يزيد عن أنه يقرر ما يراه ولا يخرج عن التقرير الى التقدير ، انه لا يصدر حكما وانما يصف الواقع ، فمن اى النصين اللذين أوردهما الدكتور لرفاعة الطهطاوى يمكننا ان نفهم أن رفاعة يدعو الى فصل الدين عن الدولة ؟ ثم هل مجرد كون الفرنسيين قد عرفوا — بعقولهم — أن العدل أساس تعمير البلاد وراحة العباد أمر خطير ؟ هل معرفة أن العدل أساس الحضارة والسعادة يحتاج الى ذكاء كبير ؟ فالدكتور هنا شأنه هناك يلوى رقبة النص الى الجهة التى يريد هو ، ولكن النص — كما يرى القارىء — عسير القياد لا يسلمه مقوده لا بسهولة ولا بصعوبة ؟

إن بتر النصوص وفصلها عن سياقها هما ديدن د. لويس عوض ، ذلك لانه يدخل على النص بهواه واغراضه وشهواته وأحقاده ، محاولا أن يفرضها عليه ، متصورا ان كشف ذلك أمر عسير . الى هنا وانا لم اذكر تعقيب الشيخ رفاعة على القانون الفرنسى بعد أن نقله مترجما الى كتابه ، قال (ص ١٥٤) :

« أن أحكامهم القانونية ليست مستنبطة من الكتب السماوية ، وانما هى مأخوذة من قوانين أخر أغلبها سياسى ، وهى مخالفة بالكلية للشرائع » ،ثم ذكر بعد ذلك بيتين من الشعر يعبر بهما عن موقفه من قضية: « الفصل بين الدين والدولة » الذى أدعى السيد الدكتور — كيف ؟ علم ذلك عند علام الغيوب ! — أن رفاعة قال به ودعا اليه ، والبيتان هما :

من ادعى أن له حاجة	تخرجه عن منهج الشرع
فلا تكونن له صاحبا	فانه ضر بلا نفع !

أظن أن كهنة التأويل — هنا — يجب أن يخرسوا ، اللهم الا اذا كانوا يرون أنهم أحق من الكاتب بفهم رأيه والتعبير عما يريد أن يقوله !!

والشرع الذى يذكره الشيخ رفاعة فى بيتيه هو الشرع كما هو لا كما تسربت اليه الانحرافات التى التوت به عن قصد السبيل وانعكس ذلك على واقع المجتمعات الاسلامية ، فهذا الواقع يشنؤه رفاعة نفسه فى أكثر من موضع وينبه

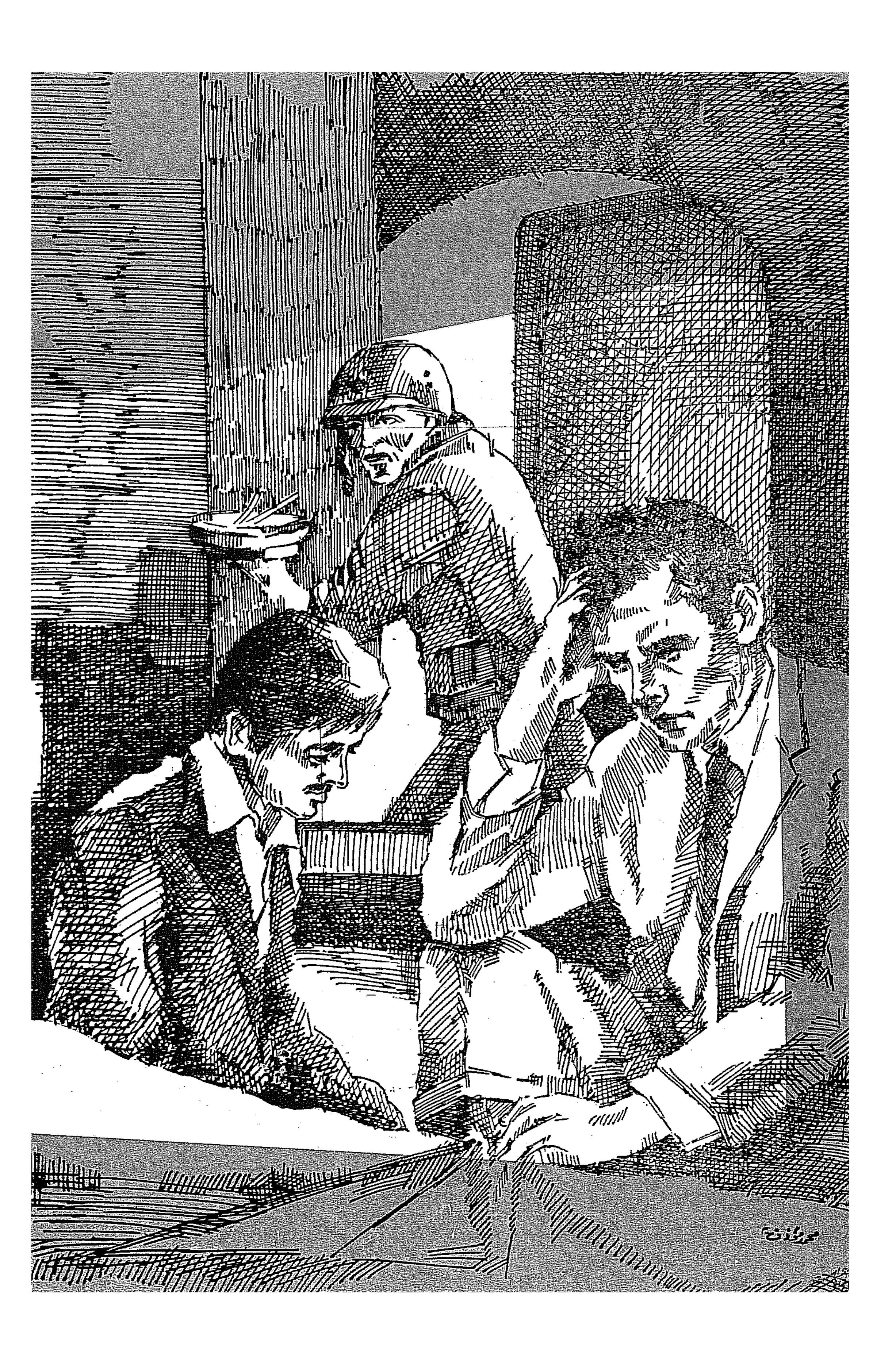
على فساده ، كما يظهر من هذه النصوص التى يقارن فيها بين الحال هنا والحال عندهم . قال (ص ١٦٨) عن الرقص الثنائى عند الفرنسيين بالنسبة الى رقص الغوازى عندنا « انه غير خارج عن قوانين الحياء ، أما عند النساء عندنا فلتهييج الشهوات » ، لكنه يعود فيستدرك (ص ١٦٩) حين يتكلم عن مس الرجل الفرنسى للمرأة أثناء الرقص قائلا : « وبالجملة فمس المرأة أيا ما كانت فى الجهة العليا من البدن غير عيب عند هؤلاء النصارى » ، فهو ان كان يرى الا خروج على الحياء فى الرقص الثنائى الذى لا يتلاصق فيه الراقصان ولا يتخاصران يرى غير ذلك فى الرقص الذى يمس فيه الرجال النســـاء .

ويقول (ص ٧٢) عن المغاطس : « والحمامات فى باريس متنوعة » وفى الحقيقة هى انظف من حمامات مصر ، غير أن حمامات مصر انفع وأتقن وأحسن فى الجملة .. وليس عندهم مغطس عام فى مصر ، ولكن هذه المادة أســـلم بالنسبة للعورة » ، أن حماماتهم انظف ، غ . أن حماماتنا — فى نفس الوقت — اتقن وانفع واحفظ للحيـــاء .

ويقول (ص ٢٠٦) : « والعلوم فى مدينة باريس تتقدم كل يوم ، فانهم قد يكتشفون فى السنة عدة فنون جديدة او صناعات جديدة او وسائط أوتكميلات » . إلخ ..

اظن انه قد وضح تماما الآن موقف رفاعة الطهطاوى من الحضارة الاوربية .. اننا — على المستوى الروحى لا نحتاج الى شىء من أوربا ، لا بل نحن نتفوق عليها فى هذا الجانب بلا جدال ، ذلك أن عندنا ديننا ، وهو حسبنا وكفايتنا . أما على المستوى المادى فلا شك اننا على تخلف مريع ، وهذا التخلف طارىء ، بمعنى أن الحضارة الاسلامية أيام أن كانت زاهرة كانت مكتملة الجوانب ولم تكن تعرف هذا التخلف فى نواحى الحياة المادية . وقد رأينا عمق نظـــرة رفاعـــة الطهطاوى فى رؤيته دورة الحضارة وأن الايام دول بين الامم والشعوب ، كذلك رأينا حماسته للتنبيه على النقص الذى نعانيه فى ميدان العلوم الطبيعية ، ولقد كان رفاعة فى هذا الموقف متفقا مع استاذه العظيم الشيخ حسن العطار الذى كان يشكو من اهمال علوم الحكمة واللغة ، ويذكر أن الأئمة الاعلام كـــانوا يطلعون على غير علوم الدين ويحيطون بها ، ويتجاوزون ذلك الى مؤلفات غير المسلمين ، مع اهتمامهم بالذوق والأدب ومطارحات الشعر . (عبقرى الاصلاح والتعليم محمد عبده ، للعقاد ص ٥١ ، ٥٦) .

أما ما يزعمه الدكتور لويس عوض من أن الشيخ رفاعة كان يـــرى فصل الدين عن الدولة ، فقد رأينا أنه — اعتمادا على ما كتبه رفاعة نفسه لا جريا وراء الشهوات ولا ليـــا لأعناق النصوص — ليس له اساس من الصحـــة ، بـــل ان رفاعة نفسه يرى عكس ذلك على خط مستقيم ، أليس هو القائل (ص ٥٨ من التخليص) : « ومن المعلوم انى لا أستحسن الا ما لم يخالف نص الشريعـــة المحمدية ! » .





بين خرائب برلين

للأستاذ محمد المجذوب

كانت قد تحولت الى خرائب وركام تلك العاصمة التي كانت قبل خمس سنوات فقط تخطط لفرض سلطانها على الدنيا ..

لقد انقطع القصف الجوى الذى استمرت طائرات الحلفاء تصبه على برلين طوال عام او اكثر دونما انقطاع ، وسكتت المدافع التى ظلت منذ اشهر تدك انحاءها من كل جانب .. وصار بوسع بقية سكانها أن يغادروا اقبيتهم الى اى مكان شاءوا ، دون أن يخافوا الغارات أو يتوقعوا الشظايا ، ولكنهم مع ذلك قلما يغادرون مخابئهم لولا الضرورات القاهرة التى لا يمكن مقاومتها ، وذلك لما احدق ببلدهم من رزايا جديدة لا تقل هولا عن ذلك الجحيم الذى طغى عليه اثناء اشد معاركه ، اذا لم تفقه اضعافا مضاعفة ..

كان جنود الاحتلال — على اختلاف جنسياتهم — ينتشرون فى كل بقعة وفى كل زاوية ومنعطف ، وكان منظرهم بخوذهم الفولاذية ، وباسلحتهم المعدة للاطلاق ، وبالصرامة الرهيبة التى تفشى وجوههم الكالحة ، مصدر رعب لا يوصف لأولئك المساكين ، الذين باتوا بعد سقوط عاصمتهم اشبه بقطيع من الغنم اغتيل رعاته ، وانطلق خلاله الذئاب الجائعة ، فتمزق جمعه ، وتناثر اشتاتا لا يدرى اين يجرى ..

ولعل مما ضاعف البلاء على هؤلاء أنهم فلول من الشيوخ والنســاء والاطفال ومشوهي الحرب .. لا تكاد العين تقع بينهم على شاب فوق الرابعة عشرة ، لأن الحرب قد أكلت الملايين من فتيانهم ، وذهب الأسر بالملايين الاخرى .. وعميت الأنباء عن كلٍّ من أولئك وهؤلاء فلا يدري الأسير شــيئا عن مصير أهله ، ولا يعلم هؤلاء خبرا عن مفقوديهم . وعلى كل واحد من هؤلاء وأولئك مع ذلك ألا يفكر إلا بنفســه ، لأن دوي المحنة لا يدع له مجالا للتطلع الى ما وراء حدود آلامه .. !

وشاء الله أن يشارك في تجرع هذه المرائر عدد غير يسير من شــباب البــلاد العربية ، الذين وفدوا الى اوروبا للالتحاق بجامعاتها ، فلما تفجرت براكين الحرب العالمية الثانية أحيط بهم فلم يســتطيعوا من شرورها فرارا ، واستحال عليهم ان يجدوا قرارا ، فكانت حياتهم سلسلة من العذاب الثقيل .. وكان هؤلاء الذين احتجزهم شرق برلين من أولئك الطلاب ، اثناء تلك الحرب الضروس ، من أسوئهم حظا ، اذ كان عليهم أن يشاطروا اولئك المستضعفين من بقايا ســكانها الرعب والجوع وتوقع ما كان ويكون من جديد الــكوارث والملمات ..

وكان المنزل الذى يضم جابرا العراقى وعبد الله الدمشــقى ــ اللذين حصلا على الدكتوراه فى السياسة والطب الباطنى ــ قد اســتحال معظمه انقاضا تحت اثقال القنابل التى صبت على ذلك الحى المجاور لجامعة برلين .. وهما انما آثراه على السكن فى سواه لقربه من الجــامعة قبل الحرب ، ولتوقعهم ان يكون أبعد عن الغارات اثناء الحرب ، ظنا منهم ان المتقــاتلين يظلون ــ مهمــا يبلغ انحطــاطهم الفرزى ــ أحرص على دور العلم من أن يعرضوها للارهاب او الإيذاء .. غير انهم سرعان ما تبددت أحلامهم عنــدما شاهدوا نصيب ذلك الحى من تلك الاهوال ، فتعلموا ان المحارب كمدفعه حين يتحرك للقذف لا يفرق بين مكان ومكان ولا بين انسان وانسان .. !

وتقلص ما ادخره المساكين من مواد الغذاء ، فلم يسعهم الا الخروج من جحورهم لالتماس ما يقيمون به أودهم ، ويســكتون صراخ صغارهم .. وما أهول ما كان يكلفهم ذلك من عناء وأرزاء ! .. فالأقوات مفقودة ، واذا عثروا بشىء منها بعد جهاد طويل عجزت طاقتهم الشرائية عن تحصــيله .. وكان المعقول الذى تفرضــه القوانين الدولية فى الأمم المتحضرة أن يقوم المحتلون بتأمين حياة الشعوب المغلوبة فيحصوا عددهم ، ويقدروا حاجتهم ، ثم يمدوهم بما يمسك عليهم الرمق على الأقل .. ولكن هذه التقديرات النظرية تصبح من الاوهام المحضة فى ظلال الاحتلال العسكرى .. حتى لكأن ارادة المحتلين مقيدة بشىء واحد ، هو التخلص نهائيا من هذه الشعوب ، وانجح وسيلة الى ذلك هو التجويع والاهمال المؤيد بألوان الارهاب .. ! وهكذا بلغت القسوة فى قلوب اولئك الجنود حدا لا يبلغه التصور ، اذ كانوا يساومون المرأة على عرضها ، فلا يمنحوها الرغيف الا أن تمنحهم جسدها ! .. والويل لها اذا رفضت ، لأن وراء ذلك موت الاطفال والقضاء على الشيوخ والعجزة ، ومع كل ذلك فهيهات أن تسلم هى مما يراد بها أخيرا .. !!

وتسلل الثلاثة ــ جابر وزميله والمرأة صاحبة الحطام الذى كان منزلا ــ يتلمسون فى حذر بالغ طريقهم بين الخرائب ..

اما الفتيان .. فقد اعتادا القيام بمثل هذه المغامرة حتى الفا مخاطرها .. ولم يعودا يأبهان بما يواجهانه من فظاظة الجنود في كل مرة ، اذ باتا مدركين لما يجب أن يفعلاه ليتخففا من هذه المتاعب .. فهما لا يغادران وكرهما الا عند الضرورات التي لا قبلَ لهما بدفعها ، وقبل ذلك لا بد لهما من خلع ساعتيهما وافراغ جيوبهما من كل شيء ذي قيمة ، الا ما لا مندوحة عنـــه من نقود تكفي لشراء ما يبغيان من اغذية . ولكي يسهل خلاصهما من ايدي الجنود على كل منهما أن يتحقق من الهوية المثبتة لشخصيته ..

على أن مخرجهما الآن كان اكثر حرجا ، لأن وجود المرأة معهما سيسبب لهما جديدا من العناء لم يجرباه من قبل .. ولو استطاعا ان يدفعاها عنهمـــا لفعلا ، ولكنهما رضيا مرافقتها مضطرين لفرط ما الحت عليهما ، ولما يعرفان من حاجتها الى هذا الخروج ، الذى كانت تتجنبه ما دام لديها ما تقدمه لطفليها الصغيرين ، اللذين فقدا والدهما ، ولم يبق لهما من عائل سواها .. وهي انما تخرج اليوم للاتصال بمركز ((الصليب الاحمر)) الذى أقيم حديثا للحصول منه على بطاقة تتيح لها بعض المعونات الضرورية بين الحين والآخر .. ولكن أخبار التصرفات الرهيبة التى يتناقلها النســـوة امثالها عن اولئك الجنود كانت تملأ قلبها رعبا وتدفعها الى التريث ما استطاعت اليه سبيلا .. حتى اذا ضاقت بها الحيل لم تجد مندوحة عن المغامرة .. ووجدت فى مرافقة الشـــابين العربيين ضربا من الأنس الذى تتوقع أن يخفف عنها الكثير من الاعباء .. !

وواصل الثلاثة سيرهم فى كثير من الأناة ، حتى لو استطاعوا لحبسوا انفاسهم .. وتعمدوا ان يتجنبوا المرور بكل مظنة للجنود .. وكادوا يصيرون الى مكتب (الصليب الاحمر) بسلام .. لولا تلك المفاجاة غير السارة ..

كانت الدورية مؤلفة من خمسة جنود من الروس يتقدمهم ضابط منهم .. ولم يكن امام الثلاثة متسع لأى محاولة تجنبهم ذلك التلاقى ، الذى تم عند رأس المنعطف المواجه للمكتب الذى يقصـــــدون .. وبمثل ارتدادة الطرف صوّبت المسدسات الرشاشة الى صدور الثلاثة جميعا ، وانطلق صوت الضــــابط يأمرهم برفع الأيدي .. ثم تقدم بعض الجنود يفتشون الشابين ، فى حين اخذ الضابط بيد المرأة فجعلها الى جانبه ، وما هو الا ان تحققوا من هويتهما حتى سمحا لهما بالعبور دونها ! .. وفى حركة عفوية تحركت يد الدكتور عبد الله بالاشارة الى المرأة كأنه يدعوها للحاق بهم ، ولكنه ما ان فعل ذلك حتى جاءته لكمة كادت تحطم فكه الايمن ، ثم تبعتها ركلة من حذاء شديد الصلابة اكرهته على الالتواء .. !

وواصلت الدورية مسيرتها فى الشارع الآخر ، خلف الضابط الذى راح يجر المرأة وهي تصرخ بكل ما ترك لها الذعر من طاقة .. !

وضغط الدكتور جابر على يد زميله وهو يشد به ، يريد الا يدع له مجالا للتفكر ولا للتردد .. ويهمس فى صوت مجروح : ((عبد الله .. حذار ان تلتفت .. دعنا نسلم بأرواحنا .. ان دينك لا يكلفك أن تقضي على نفسك وعليّ .. اسالك بالله أن تضبط عواطفك وتغلق اذنيك ! ..)) .

وتتابع استغاثة المرأة المسكينة ، وتهتف بالشابين تستحلفهما الا يدعاها .. ويتعذر على الدكتور عبد الله ان يصم سمعه عن ذلك النداء ، فاذا هو يلتفت ليراها وقد انهارت اعصابها ، وجعل الجنود يدفعونها باعقاب مسدساتهم، ،هى لا تنفك عن البكاء والصراخ .. !

ويغلب على الفتى الدمشقي هول المشهد ، ويتذكر الطفلين اللذين ينتظران عودة والدتهما ، فلا يتمالك الا أن يتخلص من زميله ، ليتجــه نحو الجنود الغلاظ ، ويخليط من الالفاظ الالمانية والروسية يخاطبهم شارحا لهم مأساتها ، محاولا اثارة الرحمة في قلوبهم عليها وعلى طفليها .. وحاول جهده أن يسبغ على لهجته لبوس الرقة والاستعطاف ، غير أن جفاف فمه ، وارتجاف أطرافه ، وجحوظ عينيه ، كانت توحي بكل ما في قلبه من نقمة وكراهية واحتقار .. !

وباشارة من الضابط الروسى أقبل اثنان من جنوده على الفتيين العربيين يكبلان يديهما بالقيود ، ثم يسوقانهما تحت الضرب الى المصير المجهول ..

—•—

كانت الحجرة التى القى فيها الدكتوران العربيان غير رديئة اجمالا .. فهى جزء من بناء جميل وسليم ، أختير لاحدى المفارز الروسية .. ولكنها عارية الجوانب ، الا من فراشين ضيقين محشوين قشا .. أو ما يشــــبه القش ، وعليهما غطاءان من الصوف يصــلحان لدرء البرد الذى كان محتملا .. وقد سرهما ارتفاع الغل عن أيديهما منذ دخلاها ، اذ أتيح لهما أن يتحركا فى حرية ولكن ضمن الحدود التى تفرض على سجناء المعسكرات الحربية ، فلا يحدثان اية ضجة ، ولا يتكلمان الا همسا .. وقد نبههما الى ذلك الجندى الذى كلف حراسة محبسهما قبل أن يغلق عليهما الباب .. وشد ما ضايق هذا الوضع جابرا ، الذى كان فى صدره الكثير مما كان يريد أن يقوله لصاحبه ..

وغرق الشابان هنيهة فى غمرة الصــمت ، واطرق عبد الله بنظره الى ما بين يديه ، يستعيد فى خياله صورة المشهد المثير الذى ســـبب لهما هذه الورطة ، وترك لتصوراته أن تلاحق شبح المرأة وهى مدفوعة بقبضات الجنود ، أو مجرورة على أرض الخرائب .. ثم يقصر ادراكه عن متابعتها ، فينقطع حبل تفكيره من هذه الناحية ، لينتقل به الى الناحية الاخرى ، ناحية الصغيرين اللذين الف أن يداعبهما كل صباح ليزيل عنهما وحشة اليتم ، وليزيل بهما عن نفسه وحشة الغربة .. ودون وعى منه أو ارادة يتمتم : ((هل يعلمان بمصير امهما .. ! وهل يحتملهما الجيران الى غير نهاية .. !!)) وتلامس همهمته سمع جابر فينتفض كانه ازعج من سبات ، ثم ينظر الى وجه زميله فى نقمة عارمة ، وهو يقول بصوت خفيض ولكنه جاف لاذع : ((ارايت .. ارايت الى اين جرنا فضــــولك ! .. اهذا ما يامرك به اســـــلامك .. أيها المؤمن .. الصالح .. !)) .

ويرفع عبد الله الى صاحبه عينين مبتلتين ، وبعد طويل من الصمت ، وتركيز عميق من النظر الذى يتجــاوز مقلتى جابر الى ما لا يعلم ، يتمتم مرة ثانية وكانه يخاطب نفسه : ((أجل .. ذلك هو واجبى الاسلامى .. ان قلب المؤمن لا يستطيع الصـــبر بازاء تلك الجريمة .. لأنه ليس حجرا .. ليس حجرا ..)) .

ويهم جابر بالرد ، ولكن حركة المفتاح ، وهو يدار فى جوف القفل ، تحول بينه وبين ذلك ، وما هى الا لحظات حتى انشق الباب ، ودخل الجندى الحارس

بإناءين من الصفيح ، يضعهما على مقربة من المدخل ، ثم يشير الى الفتيين بما فهما منه أن في أحدهما ماء للشرب ، وأن الثاني فارغ يستطيعان أن يستعملاه لفضلاتهما .. ! ثم لم يلبث أن عاد من حيث أتى مغلقا وراءه الباب كما كان ..

وتتلاحق الساعات عليهما بطيئة كئيبة ، وقد جلس كل منهما على فراشه مشيحا بوجهه عن زميله ، مقبلا على ذكرياته يجترها في مرارة .. ولعل جابرا كان أضيق الاثنين صدرا وأشدهما قلقا ، اذ كان لعبد الله ما يسرّى به بعض أوهامه ، وذلك بالصلاة ينهض اليها بين الحين والحين ، وبالقرآن يسترجع ما يحفظ منه ساعة بعد ساعة ، وبالدعاء والذكر يهمس بهما خلالهما .. على حين ظل جابر حبيس انفعالاته تتقاذفه كالريشة فلا يستقر على حال .. !!

وانقضى النهار ثم تبعه الليل ولم يلق اليهما بطعام ، فاكتفيا بجرعات الماء يمتصانها كلما استشعرا لذعة الجوع .. وخشيا أن يقطع عنهما الماء ايضا ، فصمما على الاقتصاد بالموجود منه الى أقصى حد ممكن .. واجتزأ عبد الله بالتيمم عن الوضوء لكل صلاة .. حتى اذا جاء ظهر اليوم التالي فتح الحارس الباب ليستبدل بالإناءين غيرهما ، ثم ارتد لينسحب ، ولكن عبد الله لم يتمالك أن وثب نحوه ليسأله بالاشارة وبالالمانية عن الطعام .. ! فلم يفعل الجندي سوى أن قلب كفه وشفتيه كأنه يعتذر لهما عن ذلك .. ثم مضى في طريقه دون كلام ..

والتفت جابر الى زميله يقول : ((ما أحسب سؤالك الا جارّاً علينا بعض المصائب الجديدة ..

وأجاب عبد الله : ((لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا)) .

وفي غضب همس جابر : ((وهل بقي ما يكتبه لنا الا الموت .. ؟!)) .

ويرد عبد الله في ثقة لا توصف : ((ان بيده الموت والحياة والضنك والفرج .. فلِمَ تتوقع يا صديقي شر الأمرين ؟ .. أما أنا فقد غضبت له ، وسترى أنه لن يضيعني ..)) .

قال هذا وأخذ سمته باتجاه القبلة ودخل الصلاة .. وقبل أن يفرغ من الركعة الرابعة تحرك مفتاح القفل ، فانخلع قلب جابر ، وقفز نحو عبد الله يشد به وهو يقول : ((الا تسمع ؟ .. دع الصلاة لئلا تزيد في محنتنا ! ..)) .

ولكن عبد الله كان في شغل عن حركة صاحبه ، فلم يبال ما سمع منه ، وظل في مناجاته اكثر ما يكون اطمئنانا .. حتى فتح الباب ، واندفع منه الجندي يحمل طبقا صغيرا ليضعه في وسط الغرفة .. على أنه لم يكد يلمح وضع عبد الله حتى جمد مكانه ، وراح يحدق في حركاته وسكناته .. ثم عاد من حيث دخل دون أن ينبس ببنت شفة .. !

وأقبل جابر على صديقه يقرعه : ((لقد رآك هذا الشيوعي تصلي .. وما أظنه الا قد ذهب ليخبر رؤساءه .. ! وسترى عاقبة ذلك .. ألم أقل لك انه الموت ! ..)) .

وفي هدوء عجيب يعقب عبد الله على ذلك التقريع : ((قلت لك انه لن يضيعني .. وسترى ..)) .

ونظر الفتيان الى محتويات الطبق فاذا هى نتف من الخبز وبقايا من ارز خلط بمرق البطاطس ، فلم يشكا انه حثالة من طعـام بعض الجنود .. وكادت نفساهما تغثيان لما تصوراه من اشياء واشياء ، من شأن كل منهما أن يبعث التقزز .. ولكن سلطان الجوع أنساهما كل ذلك ، واخذا فى التهام هذه المبعثرات حتى اتيا على آخرها ..

واقبل الليل على الفتيين بأفضل من غفوة الامس ، اذ شبعا بعد جوع ، وكادا يأمنان عاقبة ما توقع جابر ، اذ لم يأتهما احد فيسالهما عن دينهما ، أو يحاسبهما على عقيدتهما ! .. غير أنهما ما كادا يفيئان عن وعى اليقظة حتى أحسا حركة القفل ، ثم شاهدا الحارس داخلا وفى احدى يديه طبق أكبر من سابقه .. وبخلاف ما ألفاه منه أغلق خلفه الباب ، وتقدم منهما وهو يقول فى صوت منخفض لا يخلو من الرعشة : ((السلام عليكم ..)) وكانت مفـاجأة أيبست الحروف فى حلقيهما قليلا فلم يتمكنا من الرد الا بعد لحظات ، فأجابا معا : ((وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ..)) .

ودون تردد جلس الجندى على طرف أحد الفراشين ثم اخذ يتكلم بلغة عربية تكاد تكون غريبة عن مسمعيهما لبعدها عن لغاتهما الدارجة ، ولما يخالطها من آثار العجمة : ((انا مسلم مثلكما والحمد لله .. وأبى من شيوخ المسلمين فى القفقاس .. وطبّاخنا مسلم ، وكذلك ضابط المفرزة ..)) .

وكان الجندى يفضى بعباراته هذه فى نغمة تفيض باللهفة والفرح والخوف جميعا .. وفى همس يكاد لا يصل الى سمع الفتيين الا بجهد .. !

واقبل عبد الله على الجندى يعانقه ويقبله وهو يردد : ((الحمد لله .. الحمد لله ! ..)) وفعل جابر مثله .. واستأنف الجندى يقول — موجها كلامه الى عبد الله — : ((لقد فوجئت بك تصلى فبُهت ، ثم مضيت فأخبرت أخوىّ المسلمين فاهتما بكما كثيرا ، واوصيانى بالمبالغة فى رعايتكما .. ومنذ اليوم ستتناولان افضل الطعام ، وتقضيان حاجتكما خارج الحجرة .. وسأظل على صلة بكما أتفقدكما حتى يتاح للضابط الافراج عنكما ..)) .

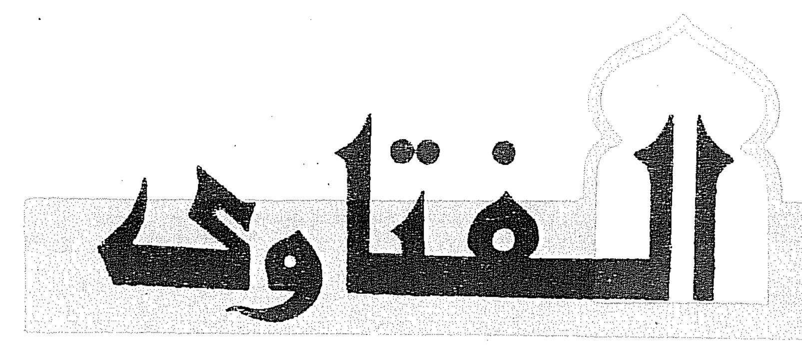
وهمس جابر : ((ومتى تراه يتم هذا الافراج ؟! ..)) .

قال الجندى : ((قريبا ! .. قريبا ان شاء الله ..)) .

ولم يستطع البقاء بعد مصافحة كلا منهما ثم انسحب من الحجرة فى هدوء وحذر بالغين ..

وصدق الجندى ما وعد ، واستمر على صلته بالشابين ، يقدم اليهما اطايب الطعام والفاكهة ، ويمكنهما من الخروج لحاجتهما كلما امكنه ذلك .. حتى كان ظهر اليوم الرابع ، فاذا هو يقبل عليهما بوجه يفيض بشرا ، ثم يبلغهما نبأ الافراج عنهما ويقول : ((بعد اليوم لن يكون بيننا لقاء ، ولكننا لن ننساكما أبدا ، فلا تنسيانا أنتما من دعائكما ..)) .

وقبل أن يبارح الدكتوران الغرفة همس عبد الله فى اذن الجندى احمدوف يسأله : ((والمرأة المسكينة .. أم اليتيمين .. اين اصبحت ؟ .. وهل اخلى سبيلها ؟ ..)) فيرسل الجندى احمدوف زفرة حزينة ثم يقول : ((يستحيل على احد أن يعرف مصيرها .. لأن النسوة اللاتى يخطفهن اولئك الكافرون كل يوم اكثر من أن يستوعبهن الاحصاء ! ..)) .



ميـــراث المتبنى

السـؤال :

كان في بلدنا رجـل غني معروف بالاستقامة ولكنـه لم ينجب ، وتبناني ، ثم مات وورثت عنه عقارا ومالا ، فهل هذا الميراث حلال شرعا .

س.د ـ الأردن

الإجـابة :

الإسلام هدم التبنى لأنه تزوير على الحقيقة قال تعالى : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيـل . ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » . وكل ما يترتب على هذا التبنى من الأرث وغيره لا يقره الشرع وبناء على هـذا فالمال الموروث حرام ، ولا يحل منه شيء ، وعلى من أخذ المال والعقـار أن يرده الى الورثة الشرعيين فهم أصحابه ، فان تنازلوا عنه له كان منحة منهم .

ميـراث ابـن الزنـا

السـؤال :

هل يرث ابن الزنـا من أبويه ، وهل يرثانه اذا مات .

ن. غ ـ العراق

الإجـابة :

ابن الزنا وهو المولود من غير زواج شرعى لا توارث بينه وبين أبيه باجماع المسلمين فاذا مات الابن أو مات الأب لا يرث أحدهما الآخر وانما التوارث بينه وبين امه وقرابتها ، فاذا مات ورثته ، واذا ماتت ورثها .

فـى الصيـد

السـؤال :

خرجت للصيد ، ورميت طائرا واصبته ، وقد بحثت عنه طويلا ، فلم اعثر عليه إلا بعد يوم ووجدته ميتا ، فهل يحل لى أكله ؟

محمد الموسي ـ الشارقة

الإجـــابة :

إذا رمى الصائد الصيد فأصابه ثم غاب عنه ، ثم وجـــده ميتا ، فانه يكون حلالا بشروط ثلاثة :

الأول : الا يكون قد تردى من جبل أو وجده في الماء لاحتمال أن يكون موته بسبب ترديه أو غرقه .

روى البخارى ومسلم عن عدى بن حاتم قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا رميت بسهمك فاذكر الله ، فان وجدته قد قتل فكل الا أن تجده قد وقع فى ماء ، فانك لا تدرى المـــاء قتله أو سهمك .

الثانى : أن يعلم أن رميته هى التى قتلته ، وليس به أثر من رمى غيره او حيوان آخر .

عن عدى قال : قلت : يا رسول الله أرمى الصيد فأجد فيه سهمى من الغد قال : « اذا علمت أن سهمك قتله وليس فيه أثر سبع فكل » وفى رواية للبخارى : « إنا نرمى الصيد فنقتفى اثره اليومين والثلاثة ، ثم نجده ميتا وفيه سهمه قال : يأكل ان شاء الله » . .

الثالث : الا يفسد فسادا يبلغ درجة النتن ، فانه حينئذ يكون من المستقذرات الضارة التى تمجها الطباع .

عن أبى ثعلبة الخشنى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا رميت بسهمك فغاب ثلاثة أيام وأدركته فكل ما لم ينتن » أخرجه مسلم .

وقـــت الأضحيـــــة

الســـــؤال :

اشتريت اضحية لأذبحها يوم العيد ، ولكن طرات ظروف عائلية لم اتمكن معها من الذبح فى هذا اليوم وذبحتها فى اليوم الثالث ، فهل تجزىء هـــــذه الأضحيـــة ؟

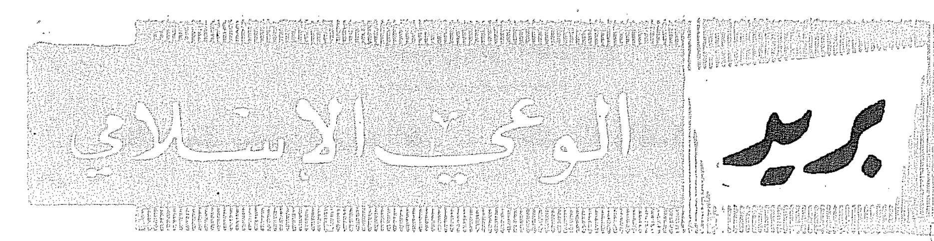
على صالح ـــ القاهرة

الإجـــابة :

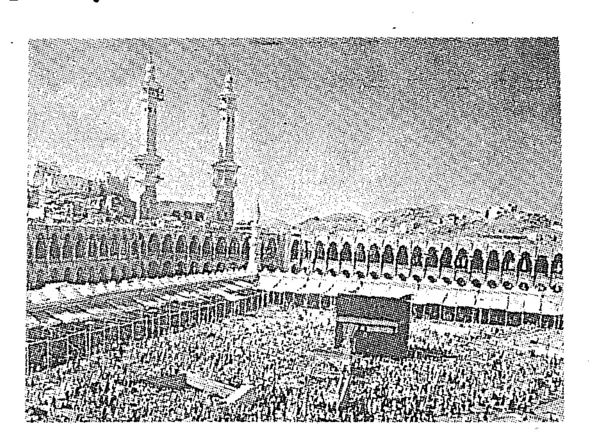
يبدأ وقت الأضحية بعد طلوع الشمس من يوم العيد ومرور وقت يسع صلاة العيد ، ويصح ذبحها فى اى يوم من الأيام الثلاثة فى ليل أو نهار وينتهى وقتها بانقضاء هذه الأيام . .

عن البراء رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان أول ما نبدأ فى يومنا هذا ان نصلى ، ثم نرجع فننحر ، فمن فعل ذلك فقد أصـــاب سنتنا ومن ذبح قبل فانما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك فى شىء » .

وبناء على هذا فان أضحيتك تجزىء لأنك ذبحتها فى اليوم الثالث .



اعداد : عبد الحميد رياض



حدث خطأ في طبع غلاف العدد ٩٦ .. ونعيد اليوم طبع الصورة في الوضع الصحيح ، وذلك تحقيقا لرغبة كثير من القراء الذين كتبوا للمجلة في هذا الموضوع .

■ ردود قصيرة :

● وردت للمجلة عدة رسائل من مختلف البلاد الاسلامية يستفسر فيها أصحابها عن (الجزء الأول) من كتاب (المطالب العالية) بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر تحقيق الأستاذ / حبيب الرحمن الأعظمي والذي سبق أن أصدرته الوزارة ، وبالرجوع الى المسئولين تبين أن هذا الجزء نفد ، كما يطلب منا كثير من الهيئات والأفراد كتبا اسلامية ، فنضطر الى احالتها لادارة الشئون الاسلامية بالوزارة للاختصاص ، ولهذا نرجو من أصحاب هذه الطلبات أن يكتبوا مباشرة للادارة المختصة ، وكذلك الأمر بالنسبة للمساعدات المادية في بناء المساجد والمراكز الاسلامية .

● نظرا لنفاد عدد (محرم) من المجلة وتحقيقا لرغبة القراء الذين يطلبون زيادة الكميات المطبوعة منها حتى يمكنهم الحصول على الاعداد واتمام المجموعات التي يحرصون على اقتنائها ، نعدهم مستقبلا بعون الله أننا سنوفر لهم الأعداد المطلوبة .

● طلب بعض الناشرين الاذن لهم بجمع (الفتاوى) المنشورة في المجلة وطبعها ، ولما كانت المجلة ستقوم بطبع هذه (الفتاوى) في كتيب وتوزيعها (هدية) مع بعض الأعداد فاننا نعتذر عن تحقيق هذه الرغبات .

الايمان هو العلاج

ابتليت منذ شبابي بشرب الخمر — عافاك الله والمسلمين منها — وقد لحقني من أم الخبائث أضرار مادية وآلام جسدية ، وويلات عائلية ، تفوق الوصف ، ومع هذا فأنا احافظ على الصلاة ، وقد حاولت كثيرا الاقلاع عن الشرب ، ولكن الآلام والانفعالات التى تنتابني اثناء تركها كثيرة ، وقد لجأت الى الأطباء للاستشفاء، فأفادوا بانني وصلت الى حالة الادمان ، وأن علاجي منها يحتاج الى دخــــولي مصحة فترة طويلة ، ولكني عامل ورزقي يوم بيوم فماذا أفعل ؟!

س . م :

اعتقد انك لست بحاجة الى معرفة أدلة تحريم الخمر ، ولا الى بيــان اضرارها ولا حكمة تحريمها ، ويكفيك ما حل بك من الآلام ، أو ما تستشعره من الندم ، والعــلاج لا يحتاج الا الى قوة الايمان التى تشد العزم والارادة ، فالايمان بالله تعالى أقوى من كل القوانين الوضعية ، وقد لجأت دول كثيرة بعد ما تبين لها أضرار الخمر وتأثيرها على الصحة والانتاج الى وضع القوانين لمنعهـــا ، ولكن كان ينقصها الايمان الصحيح بالله .

واذا قارنا بين العقيدة والخوف من الله ، وبين اثر كل المحــاولات التى تبذل لمنع الخمر وجدنا الفرق كبيرا ، جاء في كتاب التنقيحات لأبى الأعـــلى المورودي ما يأتي :

منعت حكومة أمريكا الخمر وطاردتها فى بلادها ، واستعملت جميع وسائل المدنية الحاضرة كالمجلات والمحاضرات والصور والسينما لتهجين شربها ، وبيان مضارها ومفاسدها ، ويقدرون ما أنفقت الدولة في الدعاية ضد الخمر بما يزيــد على ٦٠ مليون دولار ، وأن ما نشرته من الكتب والنشرات يشتمل على ١٠ بلايين صفحة ، وما تحملته فى سبيل قانون التحريم في مدة أربعة عشر عاما لا يقل عن ٢٥٠ مليونا من الجنيهات ، وقد أعدم فيهـــا ٣٠٠ نفر وسجن ٥٣٢ر٣٣٥ نفســـا وبلغت الغرامات الى ١٦ مليونا من الجنيهات ، وصادرت من الأملاك ما يبلــغ ٤٠٠ مليون وأربعة ملايين من الجنيهات .

إن أمريكا قد عجزت عجزا تاما عن تحريم الخمر بالرغم من الجهود الضخمة التي بذلتها ولكن الاسلام الذي ربى الأمة على أساس من الدين ، وغرس في نفوس أفرادها غراس الايمان الحق ، وأحيا ضميرها بالتعاليم الصالحة والأسوة الحسنة لم يصنع شيئا من ذلك ، ولم يتكلف مثل هذا الجهد ، ولكنها كلمة صدرت من الله استجابت لها النفوس استجابة مطلقة . روى البخاري ومسلم عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال :

ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ ، إني لقائم أسقي أبا طلحة ، وأبا أيوب ورجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في بيتنا اذ جاء رجل فقال هل بلغكم الخبر ؟ فقلنا لا فقال : إن الخمر قد حرمت ، فقـــال يا أنس أرق هذه القلال ، قال فما سألوا عنها ، ولا راجعوها بعد خبر الرجل .

وهكذا يصنع الايمــان بأهلــه .

بأقلام القراء

من أمراض اليهود

كتب الدكتور فاروق محمود مساهل تحت هذا العنوان يقول :

لا بد من الاشارة في البداية انه لا يوجد مرض يختص بالمسلمين دون غيرهم ، على العكس ففي تأدية الفرائض الالهية واتباع السنة المحمدية وقاية وعلاج من عديد من الأمراض ، وعلى سبيل المثال فان تأدية فريضة الصلاة وما يصحبها من حركة لعضلات ومفاصل الجسم ركن من اركان علاج مرض الالتهاب العظمي المفصلي المزمن . كما وان سنة الختان للذكور تمنع الاصابة بسرطان القضيب . كذلك فان اجتناب شرب الخمر والامتناع عن اكل لحم الخنزير والابتعاد عن الزنا حماية من شرور كثير من الأمراض التي تتسبب في تدمير صحة الانسان ومجتمعه الذي ينتمي اليه .

وهناك مجموعة من الأمراض تصيب اليهود ، بعضها مقصور عليهم وبعضها شائع بينهم ، ويرجع السبب الرئيسي في ذلك أن اليهود يشكلون ما يسمى « بالمجتمع المغلق » الذي لا يسمح بالاختلاط ولا بالاتصال بباقي الاجناس و « احياء اليهود » مثل على ذلك حيث يجتمعون في مناطق خاصة بهم داخل المدن ، ولا تزال الأوساط اليهودية تعيش الضجة المعروفة حول عدم اعتباره يهوديا من كان احد ابويه ليس بيهودي ، وهذا دليل على تمسكهم بالانعزالية ، واستعلائهم أن يختلط دم اليهود بدم سواهم ، مسيطرة عليهم أوهامهم بأنهم « شعب الله المختار » وانهم « ابناء الله واحباؤه » « ... قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء .. » المائدة : ١٨ .

أما المجتمع الاسلامي فلا يقتصر تركيبه على جنس واحد ، كما وان بمقدور المسلم الزواج من اهل الكتاب .

وكل صفة يتميز بها الانسان — كالطول والقصر والبدانة والنحافة وغيرها — تتكون من جزئين : واحد من الأم والآخر من الأب ، ومثلهم صفة المرض الوراثي تأتي من الابوين احدهما او كليهما ، وهذه الصفة اما أن تكون سائدة ، اي أن الجزء الذي ينتقل الى النسل من احد الابوين ويكون حاملا للمرض ينقلب على الجزء الآخر والذي لا يحمل المرض ومن ثم يظهر المرض على المولود .. واما أن تكون صفة المرض متنحية ، وفيها ينقل الجزء الحامل للمرض من احد الابوين متخفيا ويحمل المولود المرض في خلاياه ولكنه لا يظهر عليه ، وعند التقاء زوجين حاملين لهذه الصفة المتنحية فان الجزءين (من الأم والاب) يتحدان ويظهر المرض في الذرية ، وقد وجد ان هذه الذرية تنقسم الى : ربع مريض وربع سليم والنصف الباقي من الأولاد يحمل المرض ولكنه لا يظهر عليه وإنما يقوم بنقله الى نسله .

وأمراض اليهود في غالبها من نوع الصفة المتنحية ، وهي امراض خطيرة واهمها :

١ — مرض جوشر — Gaucher's disease
٢ — مرض نيمان — بك — Niemann-Pick disease
٣ — البله والعمى العائلي — Amaurotic Familial idiocy

وهي من امراض اضطراب التمثيل الغذائي للدهن .

٤ — مرض برجر — Buerger's disease — ويصيب الأوعية الدموية .
٥ — مرض السكر — Diabetes mellitus

وهذه اهم خصـــائص كل من هـــذه الأمراض :

١ ـــ مرض جوشر : ويحدث فيه تجمع كثيف للدهن غير الطبيعي في الطحال والكبد ونخاع العظام والعقد الليمفاوية ، يعقبه تضخم عظيم في حجم الطحال الذي سرعان ما يمـــارس نشـــاطا زائدا عن حده العادي ممثلا في تحطيم أعداد هائلـــة من كريات الدم الحمـــراء ومسببا فقـــرا بالدم . وحيث أن كريات الدم الحمراء والبيضاء الضرورية لحيـــاة الإنسان يتم انتاجها في نخاع العظـــام فإن غـــزو الدهـــن للنخـــاع يقضي على مصـــدر صـــــناعة كريات الدم فتزداد شـــدة فقر الدم Leuco-erythroblastosis وتتضخم الكبـــد من تجمع الدهن فيها ، وتترسب بها مادة الحـــديد وأيضا في البنكرياس والكليتين والقلب والجـــلد الذي يصطبغ باللون البني ، وتظهـــر بالعينين بقع ملونة مميزة . وضحايا هـــذا المرض هم الأطفال الذين نادرا ما يتمون الســـنة الاولى من اعمـــــارهم .

٢ ـــ مرض نيمان ـــ بك : وهو أخطر من مرض جوشر ويقتل الإناث من أطفال اليهـــود خلال السنتين الاوليتين من حياتهن ، ويحـــدث فيه التجمع الدهني بالطحال والكبد والعقد الليمفاوية ونخـــاع العظـــام والغدد الصماء والرئتين والأمعاء والمخ ، وتتميز المصابة به بالتأخر العقلي .

٣ ـــ البله والعمى العائلي : ويصيب اطفال اليهـــود ابتداء من الشهر الخامس وتكون الوفاة عنـــد السنة الثالثة او الرابعة ، وهـــذا المرض يؤثر على الجهـــاز العصبي ويؤدي الى العمى والشلل والجنـــون .

٤ ـــ مرض برجـــر : يصيب هـــذا المرض بخاصة يهود روســـيا وبولنـــدا ويقتصر على الرجـــال دون الاربعين ولا يعرف سببه على وجه التحـــديد ، لكنه قد يكون ناتجا عن الاصـــابة بفيروس (ميكروب دقيق الحجم جـــدا) أو زيادة حساسية الجسم للتدخين او تهيج زائد بالجهـــاز العصبي السمبثاوي Sympathetic يؤثر على الأوعية الدموية الصغيرة التي تغذي الشرايين . وفي هـــذا المرض يحدث التهاب بالشرايين والأوردة والأنسجة المحيطة بها وخاصـــة في الساقين ، ومراحل المرض أربعـــة :

أ ـــ التهاب بالأوعية الدموية السطحية مع ورم القدمين والساقين .

ب ـــ آلام مبرحـــة بالساقين عند المشي تزول بالراحة . Claudication

جـ ـــ تسوء الحالة ويصبح ألم الساقين مستمرا حتى اثناء الراحة ، ويزداد برفع الساقين ويقل عند خفضهما مما يضطر المريض اثناء النوم الى تدلية ساقيه دون مستوى الفراش .

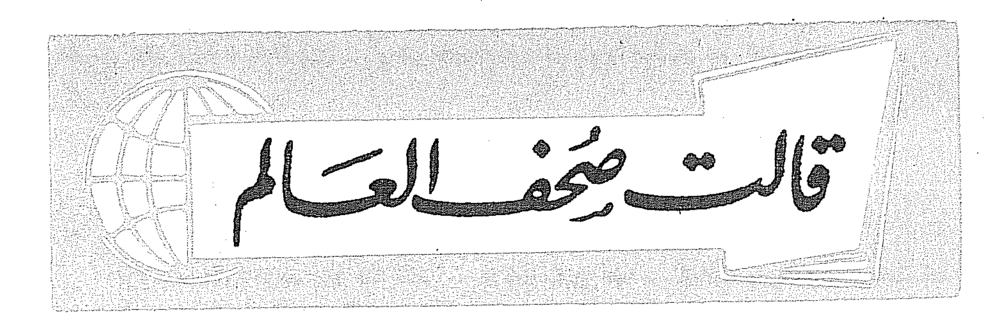
د ـــ غنغرينا القدمين والساقين Gangrene يحدث من سنة الى عشر سنوات من بداية آلام الساقين ، وعلاجها بتر الساق كلها أو جزئها .

٥ ـــ مرض السكر : المعروف طبيـــا أن مرض الســكر يميل نحو إصـــابة اليهود اكثر من غيرهـــم .

هـــذا بالاضافة الى إصابتهم بجميـــع الأمراض التي تصيب باقي الأجناس .

وعليه فلا نعجب أن يكون عدد اليهود في العالم حسب اكثر الاحصائيات تسامحا هو ١٥ مليونا ، بينما يبلغ من عداهم من أي جنس عشرات أو مئات الملايين .

وصدق فيهم قول الله سبحانه وتعالى : « ضربت عليهم الذلة اين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبيـــاء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » . آل عمران : ١١٢ .



((الحادث الأكبر))

تعد هجرة النبى عليه الصلاة والسلام من مكة الى المدينة اخطر حادث فى تاريخ الدعوة الاسلامية ، وتعد بالنسبة لتاريخ العالم انحناءة أساسية فيه ، حولت مسيرته من طريق الى طريق ففى مدى سنوات قليلة بعد الهجرة طلع من قلب الجزيرة العربية شعب بهر العالم بقوته النابعة من ايمانه ، وقدر له أن يبلغ بسلطان الدعوة الجديدة مشارق المحيط الأطلنطى ، وأواسط أوروبا ويقيم هيثما بلغ مجتمعا يعلى من كرامة الانسان ويدعو الى التحرر من الخرافات والأساطير ، ويمجد العقل ويحض على النظر فى الآفاق فى مساواة بين الناس ، ولا تفريق بينهم ولا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو اللون أو الثروة والجاه ((ان أكرمكم عند الله أتقاكم ..))

قاوم الدعوة الجديدة الأباطرة والأكاسرة والمتجبرون ممن أذلوا الشعوب وجعلوا كلمتهم هى العليا ، فابى الله الا أن يتم نوره ويجعل كلمته هى العليا . وكان الصراع بين الدين الصاعد والمفاهيم السائدة ، مرا قاسيا ، يريد الماديون ممن سيطروا على الشعوب والعقول بالقهر والغصب وقوة السلاح ، أن يذودوا عن أنفسهم شر هذا الدين الجديد ، ولكن سحر الايمان وروعته وجلاله أفسدت ما كانوا يدبرون ..

وقد حاول الكثيرون من المفكرين والباحثين ان يفسروا سر تلك الظاهرة غير المسبوقة بمثال والتى مكنت لقوم من البدو فى الارض شرقا وغربا فى عدد من السنين قليل ، وذهبوا فى التفسير طرائق شتى ، ولكنهم أجمعوا على أن الايمان الذى لا يتزعزع كان الأساس الذى انطلقوا منه فى المسيرة الناجحة ولجأوا اليه واستعاذوا به اذا أظلمت أمامهم السبل ..

ولم تكن هجرة النبى من مكة الى المدينة ايثارا للأيسر على الأشق الأصعب ، وانما كانت تعديلا فى الأسلوب وتجميعا للأنصار حيث يوجد الأنصار ، وتهيئة للمعركة الفاصلة بين الايمان والشرك ... لم تكن عدولا عن المعركة الفاصلة مع قريش ولكن كانت استعدادا لها وحرصا عليها وتأكيدا لأسباب النصر فيها .. لقد كانت قريش مدلة بقوتها وثروتها وأحسابها وأنسابها وميراثها القديم ، تحسب أن كل أولئك لن يهزم ، فاذا بكل أولئك يذوب أمام قوة الايمان والصبر والمصابرة ، واذا بها تسلم وتستسلم ، واذا بالنبى الكريم يطرق أبواب مكة ويهدم انصابها وأزلامها وآلهتها واذا به يؤمن بعد النصر أهلها ، واذا بالناس يدخلون فى دين الله أفواجا .. واذا بالجزيرة العربية تدخل عهدا جديدا واذا بالدعوة تنطلق الى العالم كله ، تنشر ، اينما ذهبت ، الاخاء والمساواة ، وتعلى كلمة الله .

ولولا الهجرة ما كان هذا كله ، ولولا الحركة والجهاد ما انعقد النصر للمؤمنين . وهـذا هو الدرس الأكبر والعظـة الكبرى .. وعلى هديها سار الاسلام والمسلمون عبر التاريخ الطويل ..

« عن صحيفة أخبار اليوم »

حـول ظاهرة احتشام الفتيـات

الزى المحتشم للفتيات أخذ هذا العام طابعا يكاد يكون عاما فى القاهرة وفى جميع المحافظـات واذا كان قد قوبل باستحسان كل غيور على الدين والأخلاق الا أنه يحلو للبعـض من الرجـال والنساء أن يجعلوا منه مادة للسخرية سواء بالرسم أو بالتعليق ..

ومن الجماعة الدينية بكلية البنات الاسلامية بجامعة الأزهر جاءنا هذا البيان :

يسوء البعض أن تتفشى هذه الظاهرة بين فتيات فى مقتبل العمر أصبح عددهن الآن يزيد على عشرات الألوف فى طول البلاد وعرضها بوازع من ضميرهن لا بتنظيم جمعية نسائية ولا جمعية دينية ولا بوحى الصحف اليومية ولا المجلات الاسبوعية أو الشهرية بل استمررن فى ارتداء هذا الزى الاسلامى رغم استهزاء المستهزئين من الرجال والنساء الذين أزعجتهم هذه الظاهرة والتى كانت رد فعـل قوى لروح التدين واللجوء الى الله سبحانه عقب النكسة التى وقعت فى حرب سنة ٦٧ ولقد كانت هذه الظاهرة مصدر قلق لكثير من أعداء الدين حتى أنهم سخروا ألسنتهم وأقلامهم للنيل من الاسلام واظهاره بمظهر الجمود والتخلف ونراهم عندما كتبوا ورسموا لم يسلكوا طريق العقل والمنطـق فى هجومهم وانما طاشت منهم العقول وجانبوا المنطق السليم وتمسكوا بالمضحكات فى تنفير الناس من هذه الظاهرة (يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرين) فيا أيتها الفتيات ان لبسكن لهذه الملابس الطويلة الساترة للفتن المانعة للأبصار عن التحقيق والتدقيق قد جن منه جنون الملحدين والملحدات وانتن بالخيار بين دعوة الى لبس الملابس القصيرة التى يدعون انها لا تعوق تقدما حتى تكن متحضرات تظفرن بالازواج وبين الاستجابـة لدعوة الايمـان ولأمر الله سبحانه فى دعائه الى ان يحييكن حياة طيبة فى الدنيا والآخرة ..

ولقد رسمت سورة النور للمرأة المسلمة طريق الهداية والنور وغض البصر وصيانة المـرأة من الابتـذال فنصت على أنه يجب على المرأة المسلمة ان تغض من بصرها وان تحفظ نفسها الا من زوجها وطلب اليها خالقها أن تمشى على الارض مشية طبيعية « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن . » وقال سبحانه « يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » ..

أيتها الفتاة المسلمة احذرى دعوة الشيطان والشيطانة ان تسلكى سبيلها وانظرى بعين العقل والفكر هل أدى هذا العرى الى سعادة المرأة الغربية وهل أظفرها بطمأنينة النفس وسكون البـال واستقرار الحياة أم ان هذا العرى الفاضح اغراء باتخاذ الخليلات ذوات العدد ..

: « يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر » .

أيتها الفتاة تفكرى واذكرى ان كان منك فيما مضى شىء من اظهار مفاتن جسدك فقـد كـان اثما كبيرا ، ومن أجل ذلك طلب الله منك التوبة وممن كان قد رضى بهذا التبديل حيث يقول ـ « وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

« عن مجلـة الاعتصام القاهرية »

إعداد : فهمى الإمام

الكويت : احتفلت البلاد بالعيد الوطنى فى اليوم الخامس والعشرين من فبراير الماضى ، وعطلت فيه الأعمال فى الوزارات والدوائر والمؤسسات ، ونظرا للظروف التى تمر بها الأمة العربية فقد صدر بيان عن الديوان الأميرى بعدم إقامة احتفالات رسمية فيه .

● قرر مجلس الوزراء الإسهام فى عمليات التوطين فى جنوب السودان بمبلغ ٢٥٠ الف دينار على مدى عامين ، وستقام فى مديريات الجنوب مساجد ومدارس ومستوصفات وآبار ارتوازية .

● توافدت على البلاد وفود الدول العربية لحضور مؤتمر وزراء الأوقاف الأول الذى تقرر عقده فى الكويت فى الفترة من ٢٦ فبراير إلى ٣ مارس سنة ١٩٧٣ م ، وقد قامت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية باتخاذ الاجراءات ووضع التنظيمات لهذا المؤتمر ، وسننشر فى العدد القادم كل ما قدم فيه من حديث ، وما دار فيه من مناقشات ، وما اتخذه من قرارات وتوصيات .

● اصدرت الوزارة الجزء الأول من كتاب معجم الفقه الحنبلى وهو مستخلص من كتاب المغنى لابن قدامه ، كما فرغت من إعداد الجزء الثانى وسيصدر قريبا ..

● اصدر مجلس الجامعة قرارا بتشكيل لجنة لإعداد دراسة وافية عن مشروع إنشاء كلية للطب بمختلف تخصصاتها .

مصر : قررت مصر وليبيا إنشاء لجنة مشتركة تتولى الإشراف على صناعة الأسلحة وتطوير هذه الصناعة فى البلدين .

● قرر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تسجيل تفسير القرآن الكريم باللغتين الانجليزية والفرنسية على اسطوانات وطباعته ، وذلك تلبية لطلب الهيئات الإسلامية فى أفريقيا وآسيا ، وحتى يسهل فهم القرآن الكريم وتداوله .

السعودية : تمت الموافقة على افتتاح اربعة مراكز إسلامية لتنظيم حملات توعية للدعوة والإرشاد فى كل من — الدمام — وعرعر — وابها — وجدة .

● تبرع جلالة الملك فيصل بمبلغ ٢٥٥ الف ريال لدعم جمعية النهضة الإسلامية بحلب وجمعية المقاصد الإسلامية الخيرية فى بيروت .

العراق : عثر فى مدينة البصرة على المدخل الرئيسى لمسجد البصرة الكبير الذى بنى فى عام ١٤ هـ فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وظل قائما الى العصور العباسية المتأخرة .

لبنان : دعا سماحة مفتى لبنان محبى العدالة والسلام فى العالم الى مساندة الذين يدافعون عن الحرية والمقدسات فى فلسطين .

● تعقد مؤتمرات دورية فى المحافظات لبحث موضوع إقرار عطلة يوم الجمعة فى لبنان .. وقد طالبت اللجنة التنفيذية للمتابعة المنبثقة عن الهيئات الاسلامية باتخاذ قرار حاسم حول العطلة الأسبوعية فى لبنان .

سوريــــة : تصدى الطيران السورى لطيران العدو الاسرائيلى عدة مرات وأرغمه على الفرار .

● صرح رئيس مجلس الشعب السورى خلال زيارته للكويت بأن الأرض العربية لن تتحرر إلا عن طريق العرب وبأيديهم فقط .

القدس المحتلة : انهار حائط داخل القبة المشرفة فى المسجد الأقصى .. وقد أعلن المجلس الإسلامى الأعلى أن ذلك لن يؤخر أعمال ترميم المسجد .

ليبيـــا : تلقى المركز الإسلامى فى أوغندا مبلغ مليون دينار ليبى بالإضافة الى ١٠ آلاف نسخة من القرآن الكريم باللغة العربية مع التفسير باللغة الانجليزية لتوزيعها على المسلمين فى أوغندا ، وسينفق المليون دينار على إنشاء المدارس والمساجد فى أنحاء أوغندا .

● أصدر مجلس الوزراء الليبى قرارا بإنشاء لجنة عليا للتربية والتعليم مهمتها اقتراح برنامج تربوى فى ضوء تعاليم الإسلام بحيث تراعى فيه كل مظاهر التقدم العلمى الحديث .

عمـــان : صادقت سلطة عمان على ميثاق المؤتمر الإسلامى . وبذلك ارتفع عدد الدول التى صادقت على الميثاق حتى الآن ١٧ دولة .

اخبـــار متفرقـــة

بريطانيـــا : تلقت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية من هيئة المدينة المنورة فى بريطانيا عدة رسائل تناشدها فيها تزويدها بكميات كبيرة من الكتب الإسلامية باللغة الانجليزية لمواجهة الإقبال الهائل عليها ، ولنشر الإسلام فى بريطانيــا .

ماليزيـــا : من المقرر أن يشيد فى ماليزيا خلال العام الحالى مجمع إسلامى كبير ، يشتمل على مسجد ، ومقر للشئون الدينية ، ومركز أبحاث إسلامية ، ومعاهد لدراسة القرآن الكريم ، وتخريج الدعاة الى الإسلام ، وتبلغ تكاليف المشروع ٠٠٠ر١٥٠ جنيه استرلينى .

موريشيوس : تلقت الوزارة من الجمعيات الإسلامية فى جزيرة موريشيوس الواقعة فى المحيط الهندى شرق جزيرة مدغشقر عدة رسائل تعرب فيها عن حاجتها الى الكتب الإسلامية باللغتين الفرنسية والانجليزية ، وعدد المسلمين فى الجزيرة ١٢٠ الفا .

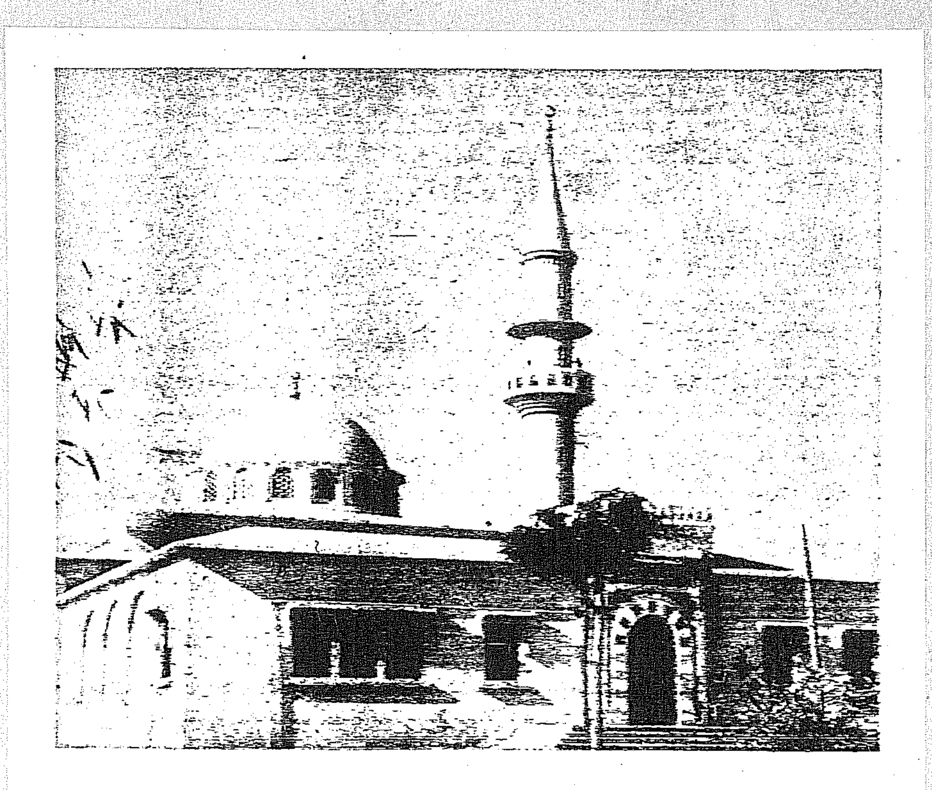
كوالالمبـور : أعلن تنكو عبد الرحمن الأمين العام للمؤتمر الإسلامى فى كوالالمبور أن الاجتماع الخامس لوزراء خارجية الدول الإسلامية سيعقد فى بنى غازى بليبيا فى شهر مارس القادم .

أوغنـــدا : أمر الرئيس الأوغندى بترحيل المبشرين الأجانب الذين يقدر عددهم بحوالى ٥٠٠ مبشر ، جميعهم من الأوروبيين ، وذلك منعا لأى محاولات للتخريب تقوم بها الإرساليات الأجنبية .

ومما هو جدير بالذكر أن قرابة ٤٠٠ مواطن أعلنوا إسلامهم فى جنوب أوغندا ..

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	صفر ١٣٩٣ هـ	مارس ١٩٧٣ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغروب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاثنين	١	٥	٤ ٤٠	٦ ١٠	١٢ ٠٠	٣ ٢٠	٥ ٤٩	٧ ٧	١٠ ٥١	١٢ ٢١	٦ ١١	٩ ٣٠	١ ١٨
الثلاثاء	٢	٦	٣٩	٩	٠٠	٢٠	٥٠	٨	٤٩	١٩	١٠	٣٠	١٨
الاربعاء	٣	٧	٣٨	٨	٠٠	٢٠	٥١	٩	٤٧	١٧	٩	٣٠	١٨
الخميس	٤	٨	٣٧	٧	١١ ٥٩	٢٠	٥١	٩	٤٦	١٦	٨	٣٠	١٨
الجمعة	٥	٩	٣٦	٦	٥٩	٢١	٥٢	١٠	٤٤	١٤	٧	٢٩	١٨
السبت	٦	١٠	٣٥	٥	٥٩	٢١	٥٢	١٠	٤٣	١٣	٧	٢٩	١٨
الأحد	٧	١١	٣٤	٤	٥٩	٢١	٥٣	١١	٤١	١١	٦	٢٩	١٨
الاثنين	٨	١٢	٣٣	٣	٥٩	٢١	٥٤	١٢	٣٩	٩	٥	٢٨	١٨
الثلاثاء	٩	١٣	٣٢	٢	٥٨	٢١	٥٤	١٢	٣٨	٨	٤	٢٨	١٨
الاربعاء	١٠	١٤	٣١	١	٥٨	٢٢	٥٥	١٣	٣٦	٦	٣	٢٧	١٨
الخميس	١١	١٥	٣٠	٥ ٥٩	٥٨	٢٢	٥٦	١٤	٣٤	٤	٢	٢٧	١٨
الجمعة	١٢	١٦	٢٨	٥٨	٥٧	٢٢	٥٦	١٤	٣٣	٢	١	٢٦	١٨
السبت	١٣	١٧	٢٧	٥٧	٥٧	٢٢	٥٧	١٥	٣٠	٠٠	٠٠	٢٥	١٨
الأحد	١٤	١٨	٢٦	٥٦	٥٧	٢٢	٥٨	١٦	٢٨	١١ ٥٨	٥ ٥٩	٢٥	١٨
الاثنين	١٥	١٩	٢٥	٥٥	٥٧	٢٢	٥٨	١٦	٢٧	٥٧	٥٩	٢٤	١٨
الثلاثاء	١٦	٢٠	٢٤	٥٣	٥٧	٢٣	٥٩	١٧	٢٥	٥٥	٥٨	٢٤	١٨
الاربعاء	١٧	٢١	٢٢	٥٢	٥٦	٢٣	٥٩	١٧	٢٣	٥٣	٥٧	٢٣	١٨
الخميس	١٨	٢٢	٢١	٥١	٥٦	٢٣	٦ ٠٠	١٨	٢١	٥١	٥٦	٢٣	١٨
الجمعة	١٩	٢٣	٢٠	٥٠	٥٦	٢٣	١	١٩	١٩	٤٩	٥٥	٢٢	١٨
السبت	٢٠	٢٤	١٨	٤٨	٥٥	٢٣	١	١٩	١٧	٤٧	٥٤	٢٢	١٨
الأحد	٢١	٢٥	١٧	٤٧	٥٥	٢٣	٢	٢٠	١٥	٤٥	٥٣	٢١	١٨
الاثنين	٢٢	٢٦	١٦	٤٦	٥٤	٢٣	٢	٢٠	١٤	٤٤	٥٢	٢٢	١٨
الثلاثاء	٢٣	٢٧	١٥	٤٥	٥٤	٢٣	٣	٢١	١٢	٤٢	٥١	٢٣	١٨
الاربعاء	٢٤	٢٨	١٤	٤٤	٥٤	٢٤	٤	٢٢	١٠	٤٠	٥٠	٢٤	١٨
الخميس	٢٥	٢٩	١٢	٤٢	٥٣	٢٤	٤	٢٣	٨	٣٨	٤٩	٢٥	١٩
الجمعة	٢٦	٣٠	١١	٤١	٥٣	٢٤	٥	٢٤	٦	٣٦	٤٨	٢٦	١٩
السبت	٢٧	٣١	١٠	٤٠	٥٣	٢٤	٦	٢٥	٤	٣٤	٤٧	٢٧	١٩
الأحد	٢٨	أبريل	٨	٣٩	٥٣	٢٤	٦	٢٥	٢	٣٣	٤٧	٢٨	١٩
الاثنين	٢٩	٢	٧	٣٨	٥٢	٢٤	٧	٢٦	٠٠	٣١	٤٦	٢٩	١٩



مسجد ابو بكر الصديق بالشامية ـ كويت

ابو بكر الصديق

اسمه : عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى القرشى التميمى ، أبو بكر الصديق بن أبى قحافة ، اول من آمن برسول الله من الرجال ، وأول الخلفاء الراشدين .

مولده : ولد بمكة بعد الفيل بسنتين وستة اشهر ، ونشأ سيدا من سادات قريش ومن كبار موسريهم وكانت العرب تلقبه بعالم قريش . .

صحبته : استمر مع النبى طول مدة اقامته بمكة ورافقه فى الهجرة وفى المشاهد كلها ، وكانت الراية معه يوم تبوك ، حج بالناس فى حياة الرسول سنة تسع .

خلافته : بويع بالخلافة بعد وفاة النبى سنة ١١ وحارب المرتدين والمانعين للزكاة ، وافتتحت فى عهده بلاد الشام وقسم كبير من العراق ، ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر .

وفاته : توفى يوم الاثنين فى جمادى الأولى سنة ١٣ هـ وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وله فى الصحيحين (١٤٢) حديثا .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : { طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســـا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مؤسسة دار العروبـــة .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة


اقرأ في هذا العدد